تاريخ العالم الإسلامى

(الولاه والولايات فى الدولة الأموية)

خراسان " الجزء الخامس "

الأستاذ الدكتور

محسن سعد عبد الله

أستاذ ورئيس قسم التاريخ الإسلامي

فى كلية اللغة العربية بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين - سيدنا محمد النبى الأمي الكريم.

وبعد ،

فهذه دراسة سياسية لتاريخ ولاه الدولة العربية في الأقاليم التى حكموها نيابة عن الخلافة الإسلامية فى حقبتى الراشدين ثم الأمويين حيث سبق لنا إصدار ثلاثة أجزاء من هذه الدراسة تحدثنا فيها عن تاريخ أمراء المدينة ثم تاريخ أمراء البصرة ثم مصر .

وهنا تخصص صفحات الجزء الرابع لتاريخ ولاة ثغر خراسان

- وتبدو لنا أهمية تلك الدراسة من وجوه أولها : أن هذا الثغر اضطلع بدور عظيم فى مجاهدة أعداء الإسلام ونشره بين العُجم فتحولوا من رجال كانوا يحملون السيوف لمناهضته إلى جنود آلوا على أنفسهم ألا أن يسهموا فى بناء الدولة الإسلامية فى هذه الأماكن النائية عن حاضرة الخلافة الأموية .
- ومنها أن الطبيعة الجغرافية لهذه البلاد ذات مناخ وتضاريس لم يألفها العرب الفاتحون ومع ذلك فقد استطاعوا بعد جهد كبير معايشتها ومخالطة أهلها بل اتخاذها موطناً دائماً لهم فعاشوا على أرض خراسان يبنون جنباً إلى جنب حضارتها مع سكانها الأصليين فعل العرب ذلك لأيمانهم بأن نشر الإسلام فى أرجاء المعمورة

فريضة فرضتها عليهم عالمية الإسلام وكون هذا الدين خاتماً للأديان .

• ومنها أن هذه البلاد غنيةٌ بمواردها الاقتصادية حتى أن مصادر التاريخ ذكرت لنا أخباراً عن نفائس الهدايا التى كان ولاة خراسان يرسلونها إلى الخليفة الأموى فلو لم تكن البلاد ذات ثراء كبير ما أرسل ولاتها النفائس العظيمة التى جعلت أصحاب المصادر التاريخية يهتمون بذكرها وأوصافها مثلما يراه القارئ مذكوراً فى أكثرَ من موضع بهذا الكتاب ولا مراء فى أن غنى البلاد يجعلها بؤرة لصراع كبير يدور بين المسلمين وأعدائهم الطامعين فى الاحتفاظ بخراسان حتى تبقى المورد الذى يمدهم بما يحتاجون إليه من أموال وزروع وثمار تعينهم على البقاء والتصدى للأخطار التى قد تحدق بهم مما جعل الدولة الإسلامية تبذل النفيس والرخيص من أجل الإحتفاظ بهذه البلاد فخاضت حروباً كثيرة ضد الترك والصغد ومن دار فى فلكهما من رجالات الطوائف الأخرى.

• وثمت سبب رابع هو أن هذه الحروب التى خاضتها الدولة الإسلامية ضد أعدائها بخراسان كانت تربةً خصبةً لظهور نيران العصبية القبلية متمثلةً فى السعى بهذا الرجل أو ذاك لدى الوالى القادم لحكم البلد فينتج عن ذلك تغييب وجهاء خراسان وأبطالها عن الأنظار بالاعتقال حيناً وإزهاق الأرواح أحياناً مما اثر على مراحل الصراع بين المسلمين الفاتحين و الترك و السغد المتمردين

ليس هذا فحسب بل إن هذا الصراع القبلى كان سببا فى فقدان الكثير من الولاة لمناصبهم حين تكيد ثُلَّةٌ من الناس لهذا الوالى أو ذاك لَدَى الخليفة الأموى أثناء الزيارة لحاضرة الدولة مما جعل هذا المنصب فى كثير من الأحايين مصدر شقاءٍ لمن شغلوه بعد عزلهم - كما سيراه القارئ - وهو يطالع أخبار الولاة المعزولين مع الحكام الجدد الذين جاؤا إلى هذا الإقليم .

- وخامسها أن هذا المُؤَلَفَ تتبع وبدقة أحسبها وافية أخبار نصر بن سيار آخر حكام الدولة الأموية بخراسان وهذا الوالى لم يكن على غرار أسلافه فى هذا الإقليم فقد طالت مدة حكمه لهذا المصر إذ تولى أمره عشر سنوات عاصر فيها أكثر من خليفة أموى وكانت خراسان التى يحكمها نصر بن سيار هى المنطقة التى انطلقت منها شيعةُ العباسيين حاملة المعاول لدك صروح الدولة الأموية .
- وقد أظهر هذا الوالى براعةً فى الحكم و الإدارة قَلَّ أن تجد نظيرها عند معظم ولاة الدولة الأُمُوية إذ عالج قضية الجزية التى أَنَّ منها العُجم طويلاً بشكلٍ حاسم ونال وتر المسلمين الذين نال منهم الترك فى موقعة العطش - مثلما يراه القارئ - وهو يطالع أخبار مسلم بن سعيد والى خراسان
- أما عن المنهج الذى سلكناه فى كتابنا هذا فإنه قام على :-

١- إلتزمت الدراسة بتتبع الروايات المتعارضة فى كل حدث أو قضية عالجتها صفحات الكتاب وما ذكره الباحثون المحدثون من آراءٍ تتعلق بها مرجحين منها ما سكنت النفس إليه مع التعليل لذلك الميل.

٢- جعلت الحاشية لتخريج البلدان والترجمة لأهم الأعلام وتفسير المصطلحات ومبهمات الألفاظ الواردة فى متن المؤلف .

٣- هذه الدراسة التى يطالعها القارئ اعتمدت على المصادر الأصيلة للتاريخ الاسلامى فى استقاء المعلومات التى ضمها هذا المؤلف بين دفتيه ولم نرجع إلى مرجع حديث إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك مثل التماس رأى جديد أو الرد على حُكْم حكَمَ به صاحبه حول قضيةٍ من القضايا أو موقف من المواقف وما أكثرها فى هذا الموضوع .

٤- اقتصرت الدراسة التى يطالعها القارئ على إبراز الأحداث السياسية لولاة الدولة الأموية فى هذا الإقليم دون أن نعرض لما عداها من الجوانب الحضارية تلك التى كان لبعض الولاة أثر عظيم فيها حيث نجعل فى مؤلف مستقل يعالج الجوانب الحضارية فى تلك الأقاليم الذي كان لبعض الولاة اثر عظيم فيها حيث نجعل ذلك في أقاليم الدولة الأموية

٥- التزمت هذه الدراسة بذكر كل والٍ على حدة حسب التاريخ الذى حكم فيه خراسان إلا أننا نضطر أحيانا إلى إرجاء تناول معركة أو قضية حدثت فى عهد والٍ من الولاة إلى آخر يتلوه فى الحكم لكون الأخير حسمها أو قام بأمر جوهرى متصل بها من ثَّم رأينا ذكر المعلومات متصلة مع الإرجاء أولى من ذكرها منفصلة مع كل والٍ على حدة تمشياً مع طبيعة الدراسة التى هى عن ولاة الدولة الأموية

فى خراسان لما فى هـذا النـهج مـن الفـائدة التـى أرجـو أن يسـتفيد القارئ منها بعد مطالعته لكتابنا عـن ولاة خراسـان .

- هذا وقد قامت الدراسة على مقدمة وأربعـة فصـول وخاتمـة
- أما المقدمـة فإنـها أبـرزت كمـا رأيـت أهميـة هـذا الموضـوع والدوافع التى جعلتنا نوليـه عنايتنـا .
- والفصل الأول تتبع بإيجاز المعالم الجغرافيـة لخراسـان ثـم إطلالـه سريعة على تاريخها القديم إلى أن دخلـها المسـلمون الفـاتحون .
- ثم جاء الفصل الثانى مـبرزاً للظـروف والملابسـات التـى واكبـت تعيين كل والٍ من ولاة خراسان فى العـهد السـفيانى .
- ونظير ذلك كـان الفصـل الثـالث الـذى اهتـم بـأمر ولاة الأسـرة المروانية فى هذا الثغر فقارنا الضوابط التى كـان علـى أساسـها يختـار الوالى فى العهد السفيانى وتلـك التـى بمقتضاهـا لختـار الخلفـاء ولاة خراسان فى العهد المروانـى .
- أما الفصل الرابع فقد جعلناه مخصصاً لنصـر بـن سـيار والعقبـات التى واجهته فى حكـم خراسـان فيـه يـرى القـارئ الكريـم كيـف أن الرجل استطاع التغلب على معظمها باسـتثناء اليسـير الـذى كـان مـن الصعـب عليـه التصـدى لـه بنجـاح حيـث شـغل القـادة الأمويـون بالنزاعات الداخلية فى الأسـرة الأمويـة عـلاوة علـى صراعـها مـع أعدائها العباسـيين .

- أما الخاتمة فإنها أبرزت عدداً من النتائج التـــى توصلنـــا إليـــها بعـــد دراسة هذا الموضـــوع .

- وبعد فهذا جَهْدِى بعد ســـباحة طويلـــة فـــى بحـــور التـــاريخ تمنيـــت خلالها الوصول بأمان إلى مرفَـــأ الحقيقـــة التاريخيـــة تلـــك التـــى تريـــح النفس بعد طول عناد و تَنْفُضْ عـــن كواهلـــى وعثـــاء الســـهر الطويـــل فإن كنا وفقنا إلى ذلك فقد نلنا مـــا تمنينـــا وان كـــانت الأخـــرى فحســـبنا أننا اجتهدنا من أجل الحقيقة والله الهادى إلـــى ســـواء الســـبيل .

الفصل الأول

قيام الدولة الأموية

إن مَنْ يقرأ التاريخ الإنسانى يجد مناطق بعينها اضطلعت بدور ميَّزها عن غيرها من المناطق الأخرى . وهذا إما راجع إلى موقعها الجغرافى الذى تشغله ، و إما يعود إلى طبيعة ساكنيها وما اعتقدوه مِنْ معتقدات أثرت فى أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية و السياسية .

وإقليم خراسان هُوَ واحد مِنْ هذه الأقاليم التى لعبت دوراً متميزاً فى التاريخ القديم وشهدت أحداثا عظيمة بعد أن دخلها الفاتحون المسلمون فحسبك أنه انطلق مِنْ أرضها دُعاة العباسيين يحملون معاول دكوا بها صروح الدولة الأموية

وحتى يكون القارئ على بيِّنَةٍ مِنْ أمره وهو يطالع ولاة خراسان فى عهدى الراشدين والأمويين يحسن بنا الإشارة إلى الموقع الجغرافى لهذا الإقليم وما كان عليه أهله قبل أن يدخل الإسلام أرضهم

- أرض خراسان

اختلف البلدانيون المسلمون القدامى حول حدود هذا الإقليم فمنهم مَنْ زادها ومنهم مَنْ نقصها ولقد أتى صاحب معجم البلدان على ذكر هذا فقال : خراسان بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق أزاذور قصبة جوين و بيهق و آخر حدودها مما يلي الهند طخارستا و غزنة و سجستان و كرمان ، و ليس ذلك منها إنما هو من أطراف

حدودها ومنْ الناس مَنْ يُدخل اعمال خوارزم فيها ويُعـــدُ مــا وراء النــهر منها .

وقال البلاذرى (خراسان أربعــة أربــاع فــالربع الأول إيــران شــهر وهى نيسابور وقهستان والطيسان وهــراه وبوشــنبج وبــاذغيس وطــوس واسمها طــابران والربــع الثــانى مروالشــاهجان ، ونســاوابيورد ومــرو الروز والطالقان، وسرخس وخوارزم ، وآمل وهمــا علــى نــهر ملجــون ، الربع الثالث وهو غربــى النــهر وبينــه وبيــن النــهر ثمانيــة فراســخ الفارياب، والجوزجان وطخارســتان العليــا وخَسْــت وأندرابــة والباميــان وبغلان ووالج ورستاق بيل وبنخشــان وهــو مدخــل النــاس إلــى كــابل الترمذ وهو فى شرقى بلخ ، والصغانيــان وطخارســتان الســفلى وخُلْــم ، وســمنجان والربــع الرابــع مــا وراء النـــهر بخـــارى والشـــاش ، والطرابنــدر والصغــد وهوكــش ، ونســف والروبســتان وأشروســنة وسنام، وفرغانه ، وسمرقند) بيد أن ياقوت لــم يرتضــى الأخــذ بــالرأى الأخير ومال إلى القول أولــي فــي تحديــد إقليــم خراســان و علــل ذلــك بقوله أن البلاذرى حين ذكر هذا التحديد الســابق لإقليــم خراســان أدخــل فيه مناطق كان إلى والى خراسان تعيين مَنْ يتولــى آمرهــا وهــى ليســت منها مثل بلاد الهياطلة الواقعة فيما وراء النــهر إذ هــى ولايــة مســتقلة وكذلك [1]سجســتان .

أما الجغرافيون المحدثون فقد ذكروا أن إقليــم خراســان يُعــرف فــى العصر الحديث بدولة أفغانستان [2] وهــى تقــع وســط آســيا [3]ويحدهــا

---

(١) ياقوت الحموى - معجم البلدان - ج٣ صـ ٢١٨ ، ٢١٩ / ابن الفقيه - مختصر ص ٢٩٢.

(٢) يسرى الجوهرى - آسيا الاسلامية صـ٢١٩/جغرافية الشعوب الاسلامية ص ٢١٩ / احمــد عطية - القاموس الاسلامى - ج٥ - ص ٢٢٤ .

مِنْ الشرق الهند ومِنْ الغربِ إيران ومِـنْ الشـمال تركسـتان وهـى مِـنْ دول الكومنولث الإسلامية التى كانت منضمـة للاتحـاد السـوفيتى سـابقاً ومِنْ الجنوب باكستان وتبلغ مسـاحتها نحـو ٢٧٠,٠٠٠ [٤] ميـل مربـع و أطلق عليها هذا الاسم عوضاً عـن اسـم خراسـان فـي القـرن الثـاني الهجري و هذه المنطقة داخليـة لا تطـل علـى البحـار الكـبرى بموانـئ وتقع بيـن دائرتـى عـرض ٢٩,٣٠° ، ٣٨,٣٠ ° شـمالاً وبيـن خطـى طول ٦٠,٣٠ °، ٧١,٥٠ ° شـرقاً إذا اسـتثنينا عنـق وخـان فـإذا مـا أردنـا الوقـوف علـى تضـاريس هـذه المنطقـة رأينـا سلسـلة جبـال هندكوش، وما تفرع منها تكـون عمودهـا الفقـرى وتشـطرها شـطرين وسـطح أفغانسـتان غـير منتظـم ، إذ تشـاهد فيـه الجبـال المرتفعـة والأودية العميقة وحوافـها عاليـة فـى الشـرق والشـمال أمـا سـطحها فينحدر مِنْ الشمال الشرقى إلى الجنـوب الغربـى والجنـوب ويتبـع هـذا الانحدار جريان الأنهار وتصريفـها فـى مجموعتيـن كبـيرتين [٥]والتـى من أهم أنهارها نهر بنخشان من الشرق ونـهر جيحـون مـن الشـمال [٦] وسهولة تتألف من مناطق بنخشان ومراعى مـزار شـريف وقطغـن فـى الشمال وهى سهول خصبة فسيحة : يـرد بـها نـهر جيحـون وروافـده وتعتبر هذه السهول مِنْ أغنى مناطق أفغانسـتان و أكثرهـا إنتاجـا .

---

(٣) محمود شاكر – تاريخ العالم الاسلامى الحديث والمعاصر قارة آسيا ص ٢٤٥ / يسرى الجوهرى آسيا الاسلامية ص ٢١٩ / احمد شلبى – موسوعة التاريخ – ج٨ ص ٢٢١ ، ٢١٢.

[٤] محمود شاكر – العالم الإسلامى الحديث والمعاصر . (قارة آسيا) ص ٢٤٥ .

[٥] يسرى الجوهرى – آسيا الإسلامية ص ٢٢٠ ، جغرافية الشعوب الإسلامية ص٢٩١ .

[٦] ابو العينين فهمى محمد / افغانستان بين الأمس واليوم ص ٨٦ ، ٨٧ / كى لسترنج - بلدان الخلافة الشرقية – ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عوّاد ص ٢١ ، ٣٨٩.

وجدير بالذكر أن هذه السهول كانت مهداً لحضارة بشرية من أقدم الحضارات وأكثرها ازدهاراً وتضم هذه السهول مدينة بلخ عاصمة آريانا (أفغانستان القديمة) مِنْ اعظم مدن العالم القديم و أوسعها ثراء وتسمى أم المدائن .

أما المناخ فإنه قارى شديد البرودة شتاءاً والحرارة صيفاً وربما يتغير الطقس عدة مرات فى اليوم الواحد ما بين حرارة وبردة ، وبإقليم خراسان (أفغانستان حاليا) مناطق مرتفعة تقل فيها درجات البرودة إلى ٣٠ ° درجة تحت الصفر [٧] فكانت وما تزال تشكل عقبة كؤود أمام الجيوش التى تحارب على أرضها فقد سموا جبل هندكوش " بقاتل الجنود " لهذا السبب .

ومن اشهر المدن الأفغانية مدينة كابل - قندهار - هراه وغيرها من المدن .

ولقد عرف الأقدمون أرض خراسان فقد نزل فيها بنو إبراهيم عليه السلام فكانوا يستسقون بكلمات علمهم إبراهيم إياها فجاءهم الخزر فقالوا ينبغى للذي علمكم هذا أن يكون خير أهل الأرض أو ملك الأرض فسموا مِنْ وقتئذ ملوكهم خاقان [٨]

---

[٧] ابو العينين فهمى محمد / أفغانستان بين الأمس واليوم ص ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ /يسرى الجوهرى - آسيا الإسلامية - ص ٢٢١ ، ٢٢٣ ، جغرافية الشعوب الإسلامية ص ٩٣ . ٢٩٥ / أحمد شلبى موسوعة التاريخ الإسلامى - ج٨ ص ٢١٢ / كى لسترنج - بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٠ ، ٣٧٢ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ .

[٨] الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج١ - ص ٣١١ .

والأدلة التاريخية الأثرية تثبت أن هـذه البلاد ذات حضارة قديمة ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ فقد اكتشف علماء الاتحاد السوفيتى أن كهوف إنسان ما قبل التاريخ كانت موجودة فى جبال منطقة نهراً موعلى الحدود الأفغانية - كما ثبت أيضا - أن سكان الكهوف استوطنوا فيما بعد شواطئ ثلاثة أنهر كبيرة هى نهر آمو ، ونهر السند وهما يقعان على طرفى حدود أفغانستان ونهر هلمند الذى يقع فى قلب أفغانستان كما اثبت ذلك أيضا الكشوف الأثرية الخاصة بحياة الإنسان وحضارته قبل ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة من الميلاد والتى نمت على ضفاف نهر آمو وفى قندهار وغيرها من المناطق .

ومن آثار ما قبل التاريخ حضارة (قرة كمر) التى اكتشفت سنة ١٩٥٣ فى الجانب الشرقى مِنْ الأجزاء الشمالية الأخيرة لسلسلة جبال هندكوش وتبعد ١٢ كم مدينة (سمنكان) فى شمال أفغانستان .

ويعتقد الدكتور (كالنتن كون) الأمريكى المتخصص فى إنسان ما قبل التاريخ أن الإنسان فى المرحلة الأولى والثالثة كان يعيش فى مغارة(قرة كمر) وفى هذا العصر أيضا كان عدد مِنْ الصيادين يلجأون إلى هذه المغارة ويستدفئون بالنار ويصنعون الآلات الحادة من حجر الجمقمق ذى اللون البني الذى تمَّ العثور على آلاف [٩] منه.

وعلى كل حال فإن هذا الإقليم خضع لسيطرة الفرس الذين حكموه ومِنْ ابرز أكاسرة الفرس الذين أولوا خراسان عنايتهم سابور

---

[٩] محمد فهمي أبو العنين – أفغانستان بين الأمس واليوم ص ٢٩ .

الذى حكم البلد بعد هلاك اردشيرفولى خراسان هرمز فسيره إليها فأحسن السيرة فى أهلها وضبط أمورها مما آثار عليه حفيظة الوشاة فسعوا به عند سابور فأوهموه أنه يريد الإستقلال بخراسان لنفسه عن الامبراطورية الفارسية وإنه إن دعاه لم يجب .

ولما نمت هذه الأخبار إلى هرمز خلا بنفسه فقطع يده وحسمها وبعث بها إلى سابور وكتب اليه بما بلغه وإنه إنما فعل إزالة للتهمة عنه ولأن فى رسمهم ألا يملكوا ذا عاهة فلما وصل الكتاب بما معه إلى سابور تقطّع أسفاً وكتب إليه بما ناله من الغم بما فعل واعتذر ، واعلمه انه لو قطع بدنه عضوا عضوا لم يُؤْثِرْ عليه أحد بالملك [١٠]

ولمّا انقضى عهد سابور جاء من بعده سابور ذو الأكتاف فاهتم بإنشاء المدن و إسكان الرعية فبنى مدينة سماها خنى سابور وكوركوره[١٢] والذى تجدر الإشارة إليه أن حكام الفرس أدركوا أهمية موقع خراسان و تأثيره على دولتهم فكان الأكاسرة يولون هذا الإقليم إلى أحد أبنائهم فى الأغلب فها هو ذا بهرام كسرى فارس لما آل الدولة إليه عهد بإقليم خراسان إلى أخيه هرمزوهو فى ذلك يتبع نهج العديد من الاكاسرة الذين سبقوه فى شأن العناية بهذا الإقليم [١٢] .

ومن ثم فإن هذا الإقليم كان يتأثر أكثر من غيره بالانقسامات الداخلية التى كانت كثيراً ما تحدث بين أفراد البيت الكسروى الحاكم

(١٠) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج٢ - صـ٥٢ .

(١١) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج٢ - ص ٥٨.

(١٢) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج٢ - صـ ٧٧ .

ذلك أنه لما شجر خلاف بين الأخوين فيروز وهرمزا بنى يزدجرد بن بهرام جور لعب أهل خراسان دوراً عظيماً فى نصرة الأول على الثانى فلما صفا لفيروز الأمر احسن تدبير أمور خراسان فاستطاع عبور الأزمة الاقتصادية التى مرت بها هذه البلاد نتيجة القحط الذى أستمر الخرسانيون يعانون منه سبع سنوات متتالية وكان اهل خراسان عُدة فيروز فى حروبه ضد الهياطلة بطخارستان إذ كان هؤلاء آزروا هرمز فى حربه ضد فيروز فأراد الأخير بسط سيطرته على بلاد الهياطلة من ناحية ومن ناحية اخرى ينال وترهم غير أن الحرب التى دارت بين الفريقين وضعت أوزارها دون نتيجة حاسمة لأى من الفريقين مما ألجئهما إلى عقد صلح بينهما فاسترد فيروز بمقتضاه ما كان الهياطلة أسروه وسبوه من رعيته وجنده [١٣]

وحين صار حكم بلاد الفرس إلى كسرى أنوشروان عمل على النهوض بالدولة فجعل إدارة الجند التى كانت تخضع لرجلٍ واحد يدير شئونها إلى أربعة رجال عُرفوا باسم (اصبهذين) [١٤] (رؤساء) فهم أصبهذ المشرق وهو خراسان وما والاها وأصبهذ المغرب وأصبهذ نيمروز بلاد اليمن وأصبهذ انربيجان وما والاها [١٥] .

---

[١٣] الطبرى-تاريخ الرسل والملوك - ج ٢ ص ٨٢ المسعودى- مروج الذهب - ج١ - ص٢٧٥

[١٤] ينطقها بعضهم اصفهبذوهى لفظة فارسية كانت سائدة ابان الفتح الاسلامى ، لقب بها الضباط العسكريون الذين اليهم قيادة الفرق العسكرية ومن دونهم فى الرتبة يلقب بلقب مرزبان . أحمد عطية - القاموس الاسلامى ج١ - ص١٢٥.

[١٥] الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج٢ - ص ٩٩.

ولم يكن أصبهذ خراسان على غرار غيره ممن ما تلقبوا بهذا اللقب بالأقاليم الأخرى لما تتمتع به هذه المنطقة من خيرات وفيرة فكانت طموحاته تفوق ما كان منها لدى غيره فتذكر المصادر الأصيلة للتاريخ الإسلامى أن أصبهذ خراسان (فرخهرمز) اهتبل فرصة اعتلاء امرأة عرش الكسروية فأرسل إلى آزرميدخت بنت كسري بعدما تولت الحكم يطلب منها النكاح فأرسلت إلية أن التزويج للملكة غير جائز و قد علمت أن دهرك فيما ذهب إلية قضاء حاجتك و شهوتك في حضر إلي ليله كذا و كذا ففعل فرخهرمز و الحب اليها في تلك الليلة التي تواعدا الالتقاء فيها حتي يقتله فنفذ صاحب حرسها لأمرها وأمرت به فجر برجلة و طرح في رحبة دار المملكة فلما أصبحوا وجدوا فرخهرمز قتيلا فأمرت بجثته فنحيت و كان أصبهذ خراسان حين فصل منها للقاء آزرميدمت جعل علي خراسان ولده رستم فلما بلغه خبر غدر أزرميدخت بأبيه اقبل في جند عظيم حتى نزل المدائن وسمل [١٦] عينيها فقتلها [١٧].

سهلت كل هذه الانقسامات الداخلية أمر فتح بلاد فارس على المسلمين ذلك أن بوران التى آل إليها أمر الإمبراطورية الفارسية بعد وفاة آزرميدخت رأت أن الرجل الذى يمكنها الاعتماد عليه فى شد

---

[١٦] سمل العين : فقؤها ، يقال : سملت عينه تسمل إذا فقئت بعد بدة محماة ، وفى المحكم : سمل عينئة يسملها سملا واستملها : فقأها وفى حديث العرينة بن الذين ارتدوا عن الإسلام : أن النبى (صلعم) امر بسمل أعينهم – ابن نتظور –لسان العرب – ج٢ – صـ٢١٠١.

[١٧] اليعقوبى – تاريخه – ج١ – ص١٧٣ الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج٢ – ص٢٣٢ .

أركان ملكها الذى استمر عاماً ونصف [١٨] هو رستم بن فرخهرمز فأرسلت إليه فجاءها مِنْ خراسان فدعته إلى القيام بأمر أهل فارس وشكت إليه تضعضعهم وأدبار أمرهم على أن مُملّكه عشر حجج ثم يكون الملك فى آل كسرى إن وجدوا مِنْ غلمانهم أحداً و إلا ففى نسائهم فقال رستم أما أنا تابع مطيع . غير طالب عوضاً ولا ثواباً أن شرفتمونى وصنعتم إلى شيئاً فأنتم أولياء ما صنعتم ، إنما أنا سهمكم وطوع أيديكم فقالت بوران : اغدُ علىَّ فغدا عليها ودعت مرازبه [١٩] فارس وكتبت له بأنك على حرب فارس ، ليس عليك إلا الله عز وجل ، عن رضا مِنّا وتسليم لحكمك . وحكمُك جائز فيهم ما كان حكمك فى منع أرضهم وجمعهم أن فرقتهم .وتوّجته وأمرت أهل فارس أن يسمعوا له ويطيعوا فدانت له فارس [٢٠] .

مما تقدم نري أن خراسان لعبت دوراً مؤثراً فى رسم سياسة الكسروية الفارسية سواء أكان ذلك مِنْ خلال الاستعانة بأهلها فى حروب الدولة الفارسية الخارجية أم كان ذلك فى استعانةِ فريق على آخر فى الفترات التى كان فيها البيت الكسروى مُتقسم على نفسه [٢١]

---

[١٨] المسعودى – ج١ – ص ٢٩٢.

[١٩] واحدها مرزبان وهى كلمة فارسية مؤلفة مِنْ لفظين هما مرز بمعنى حدو حدود دولة ، وبان بمعنى رئيس وحاكم ، وإذا الحقت باسم تعنى فارس او حامى . واصلها البهلوى مرزبان . وعرف الشعراء العرب هذه اللفظة ، كما استعملوا أيضا الجمع منها (مرازبة) حسن الباشا – الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية – ج٣ – صـ ١٠٧٧ ، ١٠٧٨.

[٢٠] الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج٣ – ص٤٤٧ .

[٢١] ابن الفقيه – البلدان – ص ٢٨٦ .

وهذا يرجع فى رأينا إلى وفرة خيرات البــلاد وقــوة بنيــة ســاكينها وهذه الحقيقة لم تغب لحظة عــن المســلمين فــى زمــن الراشــدين لمــا سيرّوا الجيوش إلى بلاد فارس فعندما حققــوا النجــاح تلــو الآخــر أرادوا الإجهاز بشكل كامل على الإمبراطورية الفارســـية فوجــدوا أنــه لا ســبيل لتحقيق هذا المرتجا إلا إذا حــازوا خراســان .

• الفتح الإسلامى لخراسان

انطلق المسلمون فى فتحهم لخراســان مــن منطلــق دينــى قبــل أى شىء آخــر صحيــح أن العــامل العســكرى ثــم الاقتصــادى كــان لــهما اعتبارهما عند الفاتحين إلا أن ذلــك كــان بعــد الدافــع الدينــى حيــث أن رسول الله (ﷺ) بشر المؤمنين بحيازة هــذا البلــد العظيــم فقــد روى عنــه انه قال يا بريده ستبعث بعدى بعوث فإذا بعثت فكــن فــى بعــث المشــرق ، ثم كن فى بعث خراسان ، ثم كن فى بعــث ارض يقــال لــها مَــرْو فــإذا أتيتها فانزلْ مدينتها فانه بناها ذو القرنين وصلـــى فيــها عُزَيْــز أنــهارها تجرى عليها بالبركة ،على كل نهر منها ملـــك شــاهر ســيفه يدفــع عــن أهلها السوء إلى يوم القيامــــة . (٢٢)

ولقد أختلف الرواة حول العلم الــذى أخــذ فيــه المســلمون يفكــرون فى فتح بلاد خراسان فذكر بعضهم أن سنة ثمــان عشــرة للــهجرة كــانت البداية لهذه الحملات العســـكرية .

---

(٢٢) ابن الفقيه – البلدان ص ٢٨٧ ، ٢٨٨

ومنهم منْ قال أن سـنة إحـدى وعشـرين هجريـة هـى التـاريخ الذى اخذ فيه المسلمون طريقهم إلى بـلاد خراسـان .

وكيفما كان فإن المُجمـع عليـه أن عمـر بـن الخطـاب حيـن أذن للمسلمين بالإنسياح فى بلاد فارس دفع لواء خراسـان إلـى الأحنـف بـن قيـس . (٢٣)

أمده برجال من أهل الكوفة منـهم علقمـة بـن النضـر ، وبعبـد الله بن أبى عُقيل ، وربْعىّ بن عامر ، وبـابن أم غـزال (٢٤).

سلك الأحنف بن قيس وهُوَ متوجـه إلـى خراسـان طريـق مـهرجا نقذب إلى اصبهان ومنها إلى طبس (٢٥)ويقـال عنـها أيضـا (طبسـين)و أوغل حتى بلغ هراه (٢٦)فافتتحها عنـوة (٢٧) ومنـها أرسـل مطـرف بـن

---

(٢٣) هو الضحاك بن معاوية بن حصين ابو بحر التميمى ، وشهر بالاحنف لحنف رجليـه ، وهـو العوج والميل . أسلم فى حياة النبى مُحمد . ووفد على عمر وحدّث عنه وعن علىّ وعن أبـى ذر وغيرهم .

روى عن الأحنف الحسن البصرى وعروة بن الزبير وغيرها ، وكان منْ قواد جيش علـى يـوم صفين ، وقيل توفى سنة سبع وستين او إحدى وسبعين - ابن سعد- الطبقـات الكـبرى - ج٧ - ص٦٤ ، ٦٨ ، ابن الجوزى - صفة الصفوة -ج٢ - ص٣ ، ابن عساكر - تاريخ دمشـق - ج٧ - ص٣٥١ ، الذهبى - سيْر اعلام النبلاء - ج٥ ص ١١٩ : ١٢٧ .

(٢٤) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج٤ - ص ٩٤، ١٣٨ ، ابن الوردى - تاريخـه - ج١ - ص١٤١.

(٢٥) مدينة فى برية بين نيسابور واصبهان وكرمان - ياقوت - معجم البلدان - ج٦ - ص ٢٥٠ .

(٢٦) مدينة عظيمة منْ امهات المدن بخراسان - ياقوت - معجم البلدان - ج٨ - ص٤٧١ .

(٢٧) ابن الفقية - البلدان - ص ٢٨٩ ، أحمد عادل كمال سقوط للمدائن - ص ٢٩٥ .

عبد الله بن الشخير[٢٨] إلى نيسابور فلم يلق قتالاً حتى بلغها وقد تسمت هذه المدينة بمدينة ابر شهر وليس بإقليم خراسان مدينة أصح هوَاءًا و لا اكبر من نيسابور . و أرسل الأحنف بن قيس بعد ذلك الحارث بن حسان إلى مدينة سرخس [٢٩] ففتحها ترك الأحنف جانباً من قواته في هراه بقيادة صحار بن فلان العبدى وسارهو إلى مرو الشاهجان [٣٠] [٣١].

وفيها كان يزدجرد قد اتخذ بيتا أقامه في بستان على فرسخين منها كما بنى بيت نار للعبادة المجوسية وأقام آمنا مطمئنا من أن يصل المسلمون إليه وهو في هذا البعد الشاسع من مملكته ولكن الأحنف طوى تلك المسافات في طريقة إليه واقترب الأحنف من مرو الشاهجان فخرج منها يزدجرد كما اعتاد مِنْ قبل أن يخرج مِنْ

---

[٢٨] ابو عبد الله الحرشي العامري البصرى ، حدث عن ابيه رضى الله عنه وعليّ وعائشة وغيرهم ، وروى عنه الحسن البصرى وغيره ، وقد اختلف فى تاريخ وفاته فقيل كان ذلك فى اول ولاية الحجاج على العراق ، ومنهم مَنْ ذكر انها سنة خمس وتسعين - ابن سعد - الطبقات الكبرى - ج٧ -ص١٠٣ : ١٠٧ ، الذهبى - سيرّ اعلام النبلاء - ج٥ - ص .

[٢٩] بفتح أوله وسكون ثانية وفتح الخاء المعجمه وآخره سين مهملة و يقال سرخس بالتحريك و الأول أكثر مدينة قديمة من نواحى خراسان كبيرة واسعة وهى بين نيسابور ومرو فى وسط الطريق بينهما وبين كل واحدة منها ست مراحل . ياقوت - معجم البلدان -ج٥ ص٣٧.

[٣٠] الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج٤ - ص ١٦٧ ، أحمد عادل كمال - سقوط المدائن ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

[٣١] قصبة خراسان بينها وبين نيسابور سبعون فرسخا ومنها إلى سرخس ثلاثون فرسخاً والى بلخ مائة واثنان وعشرون فرسخا - ياقوت - معجم البلدان - ج٨ - ص ٢٥٣ .

المدائن والرى ومن سواها حتى نزل مرو الرُوذ[٣٢] ونزل الاحنف مكانه فى مرو الشاهجان .

ولما كان الاحنف بن قيس يدُرك البعد الاستراتيجى الذى أراده المسلمون مِنْ زحفهم إلى خراسان وهو ملاحقة آخر أكاسرة الفرس (يزدجرد) الذى فرَّ مِنْ إلى حاضرة ملكه أمام المسلمين وفراره هذا يشكل خطراً عظيماً على الفتح الإسلامى لبلاد فارس ومِنْ ثمَّ يحول بين المسلمين وبين استقرارهم آمنين على هذه الأرض فقرر الأحنف المضى قُدما فى ملاحقته ليزدجرد فخرج مِنْ مرو الشاهجان واستخلف عليها حاتم بن النعمان الباهلى [٣٣] بعد ما لحقت بالأحنف إمدادات أهل الكوفة فقسم جيشه إلى أربع فرق على رأس كل واحدة منها أمير .

فلما وصل جيش الأحنف إلى مرو الرُونفرَ منها يزدجرد إلى بلخ لأنذا بها فالتقى المسلمون به هُناك ولحقوا بجيش الفرس هزيمة منكرة ففر يزدجرد وجيشه إلى جيحون طالبين النجاة بأنفسهم [٣٤]وكتب الأحنف إلى عمر بن الخطاب بالفتح فقال أمير المؤمنين

---

[٣٢] المرو الحجارة البيضاء و الروذ تعنى النهر ، وهى مدينة تقع على نهر كبير بخراسان بينها وبين مرو الشاهجان مسيرة خمسة ايام – ياقوت – معجم البلدان – ج٨ – ص ٢٥٣ .

[٣٣] بن عمر بن عمارة بن عبد العزيز بن قيس بن عيلان الباهلى ، شهد مع معاوية صفين ، افتتح مرو زمن ابن عامر الاتى ذكره ، وقيل انه فتح نصفها ونافع بن خالد الطاحى النصف الآخر .

ابن عساكر – تاريخ دمشق – ج١١ – ص ٣٧٩: ٣٨١ .

[٣٤] الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج٤ – ص١٦٨ ، ١٦٩ ، احمد عادل كمال – سقوط المدائن ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(لوددتُ أنى لم اكن بعثت إليها جُنْدًا ولوددتُ أنه كان بيننا وبينها بحر من نار فقال علىّ و لِمَ يا أمير المؤمنين ؟ قال لأن أهلها سينقضون ثلاث مرات فيُجتاحون فى الثالثة فكان أن يكون ذلك بأهلها أحبُّ إلى مِنْ أن يكون بالمسلمين)[٣٥]

وقد أجاب عمر بن الخطاب الأحنف بن قيس على رسالته سالفة الذكر فكتب له رسالة ضمنها خوفه على المسلمين بهذه البلاد وتوصيته لهم من خلال قائده الأحنف بأن يتمسكوا بدينهم فيه فتح الله عليهم خراسان (أما بعد فلا تجوزن لنهر واقتصر على ما دونه وقد عرفتم بأى شئ على خراسان فداوموا على الذى دخلتم يُدِمْ لكم النصر وإياكم أن تعبروا فتفضوا)[٣٦]

ومن الواضح هنا أن عمر لم يكن يود الالتحام بالترك او الصغد مكتفياً بفتح فارس دون المضى إلى أقصى حدودها ، وحين تقول فارس فلابد أن يحضرنا أنها كانت إحدى القوتين العظميين فى العالم وقد صارت برمتها إلى المسلمين الذين قاموا يرثون الأرض ، وما عليها ، فى حين كانوا يدوخون القوة الأخرى - الروم - ويقتطعون منها .[٣٧]

ومهما يكن من أمر فإن يزدجرد حار فى أمره ما جرده هؤلاء الفاتحون من أرضه وألجاؤه إلى آخر شبر منها وهم على وشك أن

---

(٣٥) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج٤ - ص ١٦٨ .

(٣٦) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج٤ - ص ١٦٨ .

(٣٧) احمد عادل كمال - سقوط المدائن - ص ٣٠ ، ٣٠١ .

يجردوه من ثيابه فإلى أين يذهب والى مَنْ يلجأ فـــرأى ألاَّ نجـــاة لـــه مـــن المسلمين إلا بالكتابة إلى ملكى الصيـــن والـــترك يطلـــب منـــهما المعاونـــة على المســـلمين . [٣٨]

أما ملك الصين فإنه قال لرســـول يزدجـــرد حيـــن مَثُـــل بَيَـــن يديـــه برسالة كسرى فارس (صف لـــى هـــؤلاء القـــوم الذيـــن أخرجوكـــم مـــن بلادكم فإنى أراك تذكر قلةً منـــهم وكـــثرة منكـــم ولا يبلـــغ أمثـــال هـــؤلاء القليل منكم مع كثرتكم إلا بخير عندهم وشـــر فيكـــم . فقلـــت سـلنى عمـــا أحببت .فقال : أيوفون بالعهد ؟ قلت : نعـــم . قـــال : ومـــا يقولـــون لكـــم قبل القتال ؟ قال قلت يدعوننا إلى واحـــده مِـــنْ ثـــلاث امَّـــا دينـــهم ، فـــإن أحببنـــا أجرونـــا مجراهـــم ، او الجزيـــة والمنيعـــة ، او المنـــابذه : قـــال :فكيف طاعتهم أمراءهم ؟ قلـــت : أطـــوع قـــوم و أرشـــدهم . قـــال :فمـــا يحلون وما يحرمون ؟ فأخبرتـــه قـــال : هـــل يحلـــون مـــاحُرِّم عليـــهم أو يحرمون ما حلل لهم ؟ قلـــت :لا. قـــال : فـــإن هـــؤلاء القـــوم لا يزالـــون على ظفرٍ حتى يحلوا حرامهم او يحرمـــوا حلالـــهم . ثـــم قـــال : أخـــبرنى عـــن لباســـهم ؟ فأخبرتـــه ، وعـــن مطايـــاهم ؟ فقلـــت : الخيـــلُ العـــراب ،ووصفتها له . فقال : نعمت الحصـــون ! ووصفـــت لـــه الإبـــل وبروكـــها وقيامها بحملها فقال هذه صفة دواب طوال الأعنـــاق . وكتـــب معـــه إلـــى يزدجرد : إنه لم يمنعنى فى أن ابعـــث إليـــك بجنـــد أولـــه بمـــرو وآخـــرة

---

[٣٨] الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج٤ – ص ١٦٨ ، ١٩٦ ، أحمد عـــادل كمـــال – ســـقوط المدائن ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

بالصين لجهالة بما يحق عليّ ، لكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك لو يحاولون الجبال لهدُوها ولو خلالهم سربهم ! أذالوني ماداموا على وصف ، فسالمهم وارضى منهم بالمساكنة ولا تُهيجهم مالم يهيَجوك)[٣٩]

أما خاقان الترك فإنه استجاب لاستغاثة يزدجرد به فأقبل في جنده وحشر أهل فرغانة [٤٠] والصغد ثم خرج بهم وخرج يزدجرد راجعاً إلى خراسان حتى عبر إلى بلخ .

وأصبح لزاماً على الأحنف الدفاع عن الانتصارات التي أحرزها بمرو على الفرس الذين عادوا إليه بصحبة الأتراك .

ولما صار الجيشان وجهاً لوجه لجهد الأحنف نفسه في البحث عن خطة حربية يستطيع بها مواجهة هذه الجيوش الفارسية التركية الجرارة فقرر الخروج ليلاً وحده يتسمع أفراد معسكره لعله يقف من خلال ذلك على رأى يُعينه على مواجهه الاعداء

فسمع رجلين يقول أحدهما للآخر لو أن الأمير أسندنا إلى هذا الجبل فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقاً وكان الجبل في ظهورنا مِنْ ألا نؤتي من خلفنا وكان قتالنا وجه واحد رجوت أن ينصرنا الله فرجع

---

[٣٩] الطبرى - تاريخ الرسل والملوك -ج٤ - ص ١٧٢ ، ابن الاثير الكامل - ج٣ ص ٣٦ ، ٣٧

[٤٠] بالفتح ثم السكون وعين معجمه وبعد الألف نوت . مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان فى زاوية من ناحية هيطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك كثيرة الخير واسعة الرستاق بينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً . ياقوت - معجم البلدان - ج٦ - ص ٤٢٨ .

واجتزأ بها وكان فى ليلة مظلمة فلما أصبح جمع النـــاس ثـــم قـــال (إنكـــم قليل وعدوكم كثير فلا يهولنكم ، فكم من فئـــةٍ قليلـــة غلبـــت فئـــة كثـــيرة بإذن الله والله مع الصابرين . ارتحلوا مـــن مكـــانكم هـــذا . فاســـندوا إلـــى هـــذا الجبـــل . فـــاجعلوه فـــى ظـــهوركم واجعلـــوا بينكـــم وبيـــن عدوكـــم وقاتلوهم مِنْ وجه واحد ففعلوا) [٤١] وعلى الرغـــم مـــن الكـــثرة العدديـــة للجيوش المناوئة للمسلمين فإنـــهم لـــم يســـتطيعوا إحـــراز انتصـــار علـــى المسلمين مما جعل خاقان الترك يقول لرجالـــه (لقـــد طـــال مقامنـــا وقـــد أصيب هؤلاء القوم بمكان لم يصب بمثله قط مالنا فـــى هـــؤلاء القـــوم مـــن خيره ، فـــانصرفوا) .

فرجعوا و ارتفع النـــهار للمســـلمين و لا يـــرون شـــيئا ثـــم جـــاءهم الخبر بانصراف خاقان الـــترك ومِـــنْ معـــه إلـــى بلـــخ [٤٢] ولحـــق بـــهم يزدجـــرد .

أما أهل خراسان فإنهم بعد الذى رأوه مِـــنْ كســـرى وخاقـــان أقبلـــوا على المسلمين وصالحوا الأحنـــف بـــن قيـــس و أعطـــوه أمـــوال كســـرى التى كان تركها عندهم وتراجعوا إلى بلدانهم على افضـــل مـــا كـــانوا عليـــه زمن الأكاسرة ، واغتبطوا بملك المسلمين أصـــاب الفـــارس يـــوم يزدجـــرد كسهمه يـــوم القادســـية [٤٣] كـــان الإخفـــاق الذى ألـــم بمحـــاولات الـــترك إعادة يزدجرد إلى ملكه بمثابـــة آذان بغـــروب شـــمس هـــذا الرجـــل فإنـــه

---

[٤١] الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج٤ –ص ١٦٩،ابن الاثير – الكامل – ج٣ – ص ٣٤، ٣٥

[٤٢] الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج٤ – ص ١٧٠ ، ابن الاثير – الكامل – ج٣ – ص ٣٥ .

[٤٣] ابن الاثير – الكامل فى التاريخ – ج٣ – ص ٣٦ .

صار هائما على وجهه يطلب النجاة بنفسه حتى يدبر أمره من جديد كى يستطيع التصدى للزحف الإسلامى الذى افقده حكم بلاده غير أن ذلك لم يتحقق له فقد مات فى سنة إحدى وثلاثين للهجرة دون أن يحقق مأربه .

فذكر الطبرى عدة روايات عن الكيفية التى فقد بها يزدجرد كسرى فارس حياته نورد واحدة منها ضاربين صفحاً عن بقيتها لضيق المقام (٤٤) فذكر على بن محمد أن يزدجرد قد هرب من كرمان (٤٥) فى جماعة يسيرة إلى مَرْو فسأل مرزبانها مالاً فمنعه ، فحافظوا على أنفسهم ، فأرسلوا إلى الترك يستنصرونهم عليه فأتوه فبيتوه ، فقتلوا أصحابه ، وهرب يزدجرد حتى أتى منزل رجل ينقر الأرحاء على شط المرغاب فأوى إليه ليلاً ، فلما نام قتله (٤٦)

وكان ملك يزدجرد عشرين سنة ، منها أربع سنين فى دعه ، ست عشرة سنة فى تعب من محاربة العرب ، وكان آخر مَنْ ملك من آل أزد شير ، وصفا الملك بعده للعرب (٤٧) .

---

(٤٤) إذا ما اراد القارئ الكريم الوقوف على هذه الروايات كاملة فليطالع - الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج٤ ص ١٧١ ، ٢٩٣ : ٣٠٠ ، اليعقوبى - تاريخه - ج١ - ص ١٧٤ ، ابن الوردى - تاريخه - ج١ - ص١٤٤ .

(٤٥) بالفتح ثم السكون وآخره نون ، وربما كسرت والفتح اشهر بالصحة فشر فيها مكران ، ومفازه ما بين مكران والبحر من وراء البلوص وعزبيها ارض فارس ، وشمالها مفازه خراسان وجنوبيها بحر فارس . ياقوت - معجم البلدان - ج٧ - ص ١٣٢

(٤٦) الطبرى - ج٤ - ص ٢٩٣ .

(٤٧) ابن الجوزى - المنتظم - ج٣ - ص ٢٦٧ .

وعلى كل حال فإن موت يزدجرد لم يكـن يعنـى نهايـة الجـهاد فـى بلاد خراسان فإن هذه البلاد ظلت تشـهد معـارك حربيـة بـهدف إخضـاع المسلمين لأهلـها .

ولما كانت البصرة والكوفة همـا القاعدتـان اللتـان تنطلـق منـهما جيوش الدولة الإسلامية إلى خراسان فـان أحوالـها تـأثرت بـأمر الـولاة فيهما تأثيراً مباشراً [٤٨] لأنه كان إلى والى البصـرة تعييـن العمـال علـى خراسان كما كان على والى الكوفة أن يسير الإمـدادات إلـى هـذا الإقليـم بأمرٍ من الخليفة ووالـى البصـرة والكوفـة كـان بينـهما تنـافس فيمـن يحوز مساحات اكبر من إقليم خراسـان بواسـطة رجالـه .

وآية ذلك ما فعله سعيد بن العاص والـى الكوفـة مِـنْ قبـل عثمـان وعبد الله بن عامر والـى البصـرة حيـن قصـد كلاهمـا خراسـان لفتـح المزيد من ارضها ونشر الأمن فـى ربوعـها فوصـل الأخـير إلـى ابـر شهر قبل الأول . فلما علم سـعيد بذلـك نـزل قومـس ، وهـى صلـح ، صالحهم حذيفة بعد نهاوند ، فأتى جرجان ، فصـالحوه علـى مـائتى ألـف ، ثم أتى طميسة [٤٩]، وهى مدينة على ساحل البحـر ، وهـى فـى تخـوم جرجان ، فقاتله أهلها حتـى صلـى صـلاة الخـوف ، فلمـا طلبـوا منـه

---

[٤٨] اطلق الناس على جند البصرة والكوفة الذين يؤمون خراسان ثم يعودون منهما إلى المصريـن اسم المعقبة ابن عساكر - تاريخ دمشق - ج ٢٨ - ص ١٢ .

[٤٩] بفتح اوله وكسر ثانية ثم ياء مثناة ، بلدة من سهول طبرستان بينهما وبين سارية . تة عشر فرسخاً وهى آخر حدود طبرستان من ناحية خراسان - ياقوت - معجم البلدان - ج٦ - ص ٢٦٦

الأمان أعطاهم ذلك ثم قتلهم . [٥٠] ويبدو لي أن الخليفة عثمان بن عفان رأى أن استقرار الأحوال في بلاد فارس لا يكون إلا إذا جعل عليها عاملاً مستقلاً عن ولاية البصرة يتولى بنفسه إرسال عمال الدولة على مناطق فارس ومنها خراسان فقرر الخليفة رضوان الله عليه تعيين عبيد الله بن معمر على بلاد فارس . ومع ذلك فإن بلاد فارس لم تعرف الهدوء فثار أهل خراسان على الحكم الإسلامى والتقوا فى مواجهة حربية مع عبيد الله بن مُعمر فقتل شهيداً فى المعركة عند اصْطَخْر [٥١] الأمر الذى جعل عبد الله بن عامر والى البصرة من قبل عثمان يعجل بإرسال الجيوش إلى بلاد فارس فنالت منهم مقتله عظيمة [٥٢] لم يزالوا منعا في ذل ذلك انه حين تمم الله له فتح فارس بنجاح فاق به من سبقوه جاءه رجل من بنى تميم وهو بالبصرة فقال له : (أن عدوك منك هارب وهُو لك هائب والبلاد واسعة ، فسر فإن الله ناصرك ، ومعز دينة) .

فتجهز ابن عامر ، و أمر الناس بالجهاز للمسير ، واستخلف على البصرة زياداً ، وسار إلى كرمان ، ثم أخذ إلى خراسان وآخرون يقولون سار إليها عن طريق إصبهان .

---

[٥٠] الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج٤ - ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

[٥١] بالكسر وسكون الخاء المعجمة ، مدينة فارسية تاريخية تقع بالقرب من شيراز وعلى غير بعيد من الخليج الفارسى (العربى) فى منطقة كثيرة المستنقعات والبحيرات - ياقوت - معجم البلدان - ج١ - ص١٧١ ، احمد عطية الله - القاموس الاسلامى - ج١ - ص١٢٢ .

[٥٢] أ- الطبرى ب- تاريخ الرسل والملوك - ج٤ - ص ٢٦٦ ، اليعقوبى - تاريخه - ج٢ - ص ١٦٦ ، اليافعى - جـ مرآة الزمان - ج١ - ص٧١ .

ثم سار ابن عامر إلى الطبســـين يريـــد أبـــر شـــهر ، وهـــى مدينـــة نيسابور ، وعلى مقدمتـــه الأحنـــف بـــن قيـــس ، فـــأخذ إلـــى قهســـتان ، وخرج إلى أبر شهر فلقيه الهياطلة ، وهم أهـــل هـــراه ، فقاتلـــهم الأحنـــف فهزمهم ، ثم أتى ابن عـــامر نيســـابور وبعـــث عبـــد الله بـــن حـــازم إلـــى سرخس ففتحها ، فعين عليها العمـــال وجعـــل علـــى خراســـان أميـــن بـــن أحمر اليشـــكرى .[٥٣]

وترتب على هذه المعركة أن صارت خراســـان محكومـــة بســـتة نفـــر فكان الأحنف على المروبين ، وحبيـــب بـــن قـــرة الـــيربوعى علـــى بلـــخ وخالد بن عبد الله بن زهير على هراة وأمين بـــن أحمـــر اليشـــكرى علـــى طوس وقيس بن الهيثم السُلمى علـــى نيســـابور [٥٤].

عزم ابن عامر فـــى ســـنة اثنتيـــن وثلاثيـــن هجريـــة الذهـــاب مـــن خراسان إلى مكة شكراً لله على ما أفاد به فاســـتخلف علـــى عملـــه قيـــس بن الـــهيثم وأحـــرم خراســـان دون أن يُعلـــم عثمـــان بـــن عفـــان بـــأمره [٥٥]لتستقبل خراسان والياً جديـــداً مـــن ولاتـــها كـــان لـــه ولوالـــده الأثـــر العظيم فى هذا الإقليم هو عبد الله بـــن حـــازم .

---

[٥٣] العقوبى – تاريخه –ج٢ – ص ١٦٦ ، الطبرى – تاريخ الرسل والملـوك – ج٤ – ص ٢٦٦ ، ابن خلدون – العبر – ج٢ – ص ٥٧٧ .

[٥٤] الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج٤ ص ٢٦٦ ، ابن خلدون – العـــبر – ج٢ – ج٢ ص ٥٧٨ .

[٥٥] الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج٤ ص ٣١٤ ، ابن خلدون – العبر – ج٢ – ص ٥٨٠ .

• **ولاية عبد الله بن خازم خراســـان**

هذا الوالى الذى استطاع الوصول إلى ســدة الولايــة بخراســان هــو من أهل البصرة الذين انطلقوا منها للجــهاد فــى خراســان فــهو عبــد الله ابن خازم بن أسماء بن الصلت بن حبيب ابن حارثة بــن هــلال بــن حــرام ابن السمال بن عوف بن امرئ القيس ابن بهثه بـــن ســليم السـلمى أبــو صالح البصرى ، أختلف فى صحبته فقيل أن لــــه صحبــه وروايــة [٥٦].

أما عن الكيفية التى وصل بها إلى كرســـى الولايــة بخراســان فــإن الرواة لم يتفقوا على السبيل الذى ســـلكه عبــد الله بــن خــازم للوصــول إلى هذا المنصب الرفيع فمنها ما ذكــر أن الرجــل اهتبــل فرصــة ضعــف قيس بن الهيثم عن إدارة أمــر الصــراع ضــد الثــائرين علــى المســلمين بخراسان فاحتال عليه ابن خـــازم حتــى خــرج قيــس بــن الــهيثم منــها طوعا لمقابلة عبد الله بن عامر الذى كان عهد بـــالبلد إليـــه قبــل خروجــه حاجا .

ومنها ما أشار إلى أن قيس بن الـــهيثم هــو الــذى جعــل خراســان إلى ابن خازم ريثما يعود من زيارته لعبـــد الله بــن عـــامر تلــك الزيـــارة التى أراد منها وضع حقيقة أمر الحشــود الفارســية التــى أعدهــا هــؤلاء لحرب المسلمين بعد مغادرة ابن عـــامر أرض خراســان .

فمن الأول ما رواه على بن محمـــد أن ابــن عــامر اســتخلف علــى خراسان قيس بن الهيثم ، و خرج ابن عامر منــها ســنة اثنتيــن وثلاثيــن

---

[٥٦] ابن قتيبة – المعارف – ص ٤١٨ ، ابن عساكر – تاريخ دمشـــق – ج٢٨ – ص ١٠ ، ابــن حجر تهذيب التهذيب –ج٥ –ص ١٩٤ : ١٩٦

فجمع قارن جمعاً كثيراً مـــن ناحيـــة الطبسـين و أهـل بـاذغيس وهـراه وقحستان ،فأقبل فى أربعين ألفا فقال لعبـد الله بـن خـازم : مـا تـرى ؟ قال : أرى أن تخليَ البلاد فإنى أميرها ، ومعى عـهد مـن ابـن عـامر إذا كانت حرب بخراسان فأنا أميرهـا ، واخـرج كتابـاً قـد افتعلـه عمـداً - فكره قيس مشاغبته ، وخلاه والبلاد ، وأقبـل إلـى ابـن عـامر ، فلامـه ابن عامر ، وقال (تركت البلاد حرباً و أقبلت ! قـال : جـاءنى بعـهد منـك . فقالت له أمة : قد نهيتك أن تدعـهما فـى بلـد ، فإنـه يشـغب عليـه) فسار ابن خازم إلـى قـارن فـى أربعـة آلاف ، و أمـر النـاس فحملـوا الودَك ، فلما قرب مِنْ عسكره أمر الناس ، ليدرج كـلُّ رجـلٍ منكـم علـى زج رمحه ما كان معه مِنْ خرقة أو قطن أو صـوف ، ثـم أوسـعوه مـن الودك من سمن او دهن او زيـت او إهالـة . ثـم سـار حتـى إذا أمسـى قدَّم مقدمته ستمائة ، ثم اتبعهم ، و أمـر النـاس فأشـعلوا النـيران فـى أطراف الرماح ، وجعل يقتبس بعضـهم مـن بعـض . وانتـهت مقدمتـه إلى عسكر قارن ، فـأتوهم نصـف الليـل ، ولـهم حـرس ، فناوشـهم ، وهاج الناس على دهش ، وكانوا آمنين فى أنفسـهم مـن البيـات ، ودنـا ابن خـازم منـهم ، فـرأو النـيران يمنـه ويسـره ، وتتقـدم وتتـأخر ، وتنخفض وترتفع ، فلا يرون أحداً .فهالـهم ذلـك ، ومقدمـة ابـن خـازم يقاتلونهم ، ثم غشيهم ابـن حـازم بالمسـلمين ، فقتـل قـارن ، وانـهزم العدو فاتبعوهم يقتلونهم كيف شاءوا ، و أصابوا سـبياً كثـيرا فكتـب ابـن خازم بالفتح إلى ابن عامر فأقره ابن عـامر علـى خراسـان [٥٧] .

---

[٥٧] الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج٤ – ص ٣١٤ ، ٣١٥

ومن الثانى ما رواه سليمان بن كثير (العمىّ) الخزاعى أن قارن جمع المسلمين جمعاً كثيراً ، فضاق المسلمون بأمرهم ، فقال قيس بن الهيثم لعبد الله بن خازم : ما ترى ؟ قال أرى انك لا تطيق مَنْ قد آتانا ، فاخرج بنفسك إلي ابن عامر فتخبره بكثرة ما جمعوا لنا ونقيم ونحن فى هذه الحصون ونطاولهم حتى تقدم ويأتينا مددكم .

فخرج قيس بن الهيثم ، فلما أمعن أظهر ابن خازم عهداً ، وقال : قد ولانى ابن عامر خراسان ، فسار إلى قارن ، فظفر به وكتب بالفتح إلى ابن عامر ، فأقره ابن عامر على خراسان [٥٨] إن مَنْ يمعن النظر فى الروايتين السابقتين يجدهما متفقتين على أمر جوهرى هُو أن ابن خازم وصل إلى الولاية بعد نصر احرزه على الفرس المحتشدين بقيادة قارن وأنهما اختلفا حول كيفية قيادة ابن خازم الجند المسلمين فى هذه الحرب ، فالثانية تجعل رايتها مدفوعة مِنْ قيس بن الهيثم إلى ابن خازم والأولى تجعل قيس بن الهيثم مرغما على ترك ميدان الحرب لعبد الله بن خازم بحجة أن ذلك كان بناءاً عن رأى لابن عامر رآه فى الرجلين حسب ما ذكرته الرواية الأولى .

وعندى أن الرواية الثانية راجحة والأولى مرجوحة لأن النفس لا تسكن إلى الأخذ بما صورت به الرواية الأولى شخصية قيس بن الهيثم فقد جعلته رجلاً ساذجاً بترك البلد لابن خازم بمجرد أن اخرج له كتاباً انتحله على ابن عامر دون أن يُبدى ادنى معارضة فالذى لا

---

(٥٨) الطبرى – تاريخ الرسل والملوك –ج٤ –ص ٣١٥ ، ٣١٦ ،ابن خلدون العبر – ج٣ – ص ٦.

ريب فيه أن قيساً كان على علم بشخصية ابن خازم ومنافستها له في التاثير على مجريات الأحداث بخراسان قبل مغادرة ابن عامر لها وهذا يجعله يحتاط لنفسه منه.

و أمر آخر هو أن ابن عامر ترك خراسان حاجاً وهو يعلم أن البلد لابد أن يكون عليها رجلٌ يصلح لقيادتها في السلم والحرب ومن ثمَّ اختار قيس بن الهيثم لكفاءة رآها فيه فجعل خراسان إليه وهو يرى ابن خازم أمامه ولم يكن هناك من ضرورة تجعل رجلاً في مثل قوة ابن عامر يلجأ إلى الأخير سراً فالمقبول إذاً هو وصول ابن خازم لقيادة جيوش خراسان في غيبة واليها قيس بن الهيثم عند ابن عامر ناقضاً ما كان اتفق عليه مع قيس بن الهيثم من حفظ البلاد له حتى يأتي الأخير إلى خراسان بمدد من عند عبد الله بن عامر .

وعلى كل حال فإن التنافس لم يقف عند هذا الحد بين عبد الله بن خازم وقيس بن الهيثم إذ عاد إلى الظهور من جديد بعد قيام الدولة الأموية .

فخلافة على بن أبي طالب لم تسمح لكلا الرجلين يلعب دوراً سياسيا أو عسكريا بأرض خراسان فإن الإمام سيرَّ إلى البلد أكثر من والٍ ليحكمها باسمه مثل خليد بن طريف وجعد بن هبيرة [٥٩]

---

[٥٩] بن ابى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرش المخزومى وامه ام هانئ بنت ابى طالب .وعليه فان علياً خاله ولعل هذا هو السبب الذى جعله يدفع بخراسان اليه .ولد بالمدينة وسكن الكوفة واختلف فى صحبته ، روى حديثا عن النبى فى البخارى ومسلم والترمذى افتخر بنسبة فى ابيات جاء فيها ابى من بنى مخزوم أن كنت سائلاً ومن هاشم امى لخير قبيل فمن ذا

ومرزبان مرو جاءه فى سنة ست وثلاثين للـــهجرة ليجُـدد الصلــح الــذى كان أهل مرو أبرموه مع المسلمين فقبل الإمـــام منـــه ذلــك . [٦٠]

ولم تعرف خراسان احداثا ذات بـــال غـير التـــى ذكرنـــا فـــى عـــهد الإمام الذى كان كما هُوَ معلوم فــــى شــغلٍ شـــاغل بـــالفتن التـــى أقامـــها المعارضون لحكمه ، الزبير ومنْ شـــايعه فـــى واقعــة الجمــل ، ومعاويـــة ومنْ آزره فى موقعة صفيـــن ومـــا تلاهـــا مـــن أمـــر التحكيـــم وخـــروج الخوارج على الإمـــام .

وعبثـــا حـــاول رضـــوان الله عليـــه أن يعيـــش خلافـــة هادئـــة فقـــد استشهد بضربة ابن ملجم [٦١] وآل الأمر إلـــى الحســـن بـــن علـــى فتنـــازل عنه لمعاويـــة لتبـــدأ الخلافـــة الأمويـــة منـــذ ذلـــك الوقـــت حكـــم العـــالم الإســـلامى.

الذى يباى على بخالة كخالى علىَّ ذى الندى وعقيل . ابن الاثير - اسد الغابـة -ج١ -ص ٣٨٩ ، ابن حجر - تهذيب التهذيب - ج٢ - ص ٨١

[٦٠] الطبرى - تاريخ الرســل والملــوك - ج٤ - ص٥٥٧ ، ٥٥٨ - ج٥ ص ٦٣ ، ٦٤ ، ابـــن الوردى - تاريخه - ج١ ص ١٤٩ .

[٦١] ابن كثير - البداية والنهاية -ج٧ - ص ٣٢٣ .

ولاة خراسان فى العصر الأموى

الفصل الثاني

- **العهد السـفيانى**

لما استوى معاوية علـى أريكـة الخلافـة الأمويـة اسـتعان بـابن عامر فى حكم البصرة مثلما فعل عثمان بـن عفـان فعـاد التنـافس مـن جديد فى عهده بين قيس ابن الهيثم وعبد الله بن خـازم فقـد تولـى قيـس أمر خراسان بعهد من ابن عامر فى رواية وبـإقرار منـه لتوليـة معاويـة إياه وفى أخرى سنة اثنتيـن وأربعيـن [٦٢]

وسواء أصحت هذه الرواية أم تلـك فـإن قيسـاً اسـتمر يدبـر أمـر خراسان سنتين عزل بعدهما عن حكمـها لسـبب اختلفـت الروايـات فـى أمره فيذكر بعضها أن عبد الله بن خازم كاد لقيس بـن الـهيثم عنـد عبـد الله بن عامر فجاءه وقال له "إنك وجـهت إلـى خراسـان رجـلاً ضعيفـاً ، وإنـى أخـاف إن لقـى حربـاً أن ينـهزم بالنـاس ، فتـهلك خراسـان ، وتفتضح أحوالك . قال ابن عامر : فما الـرأى ؟ قـال تكتـب لـى عـهداً : أن هُوَ انصرف عن عدوك قمت مقامة ". فكتـب لـه ، فجاشـت جماعـة من طخارستان ، فشاور قيس بـن الـهيثم فأشـار عليـه ابـن خـازم أن ينصرف حتى يجتمع إليه أطرافـه ، فـانصرف ، فلمـا سـار مـن مكانـه مرحلة أو مرحلتين أخرج ابن خازم عهده ، وقـام بـأمر النـاس ، ولقـى العدو فهزمهم ، وبلغ الخبر المصرين والشـام فغضـب القيسـية وقـالوا : خدع قيساً وابن عامر ، فأكثروا فـى ذلـك حتـى شـكوا إلـى معاويـة ،

---

[٦٢] الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج٥ - ص ١٧٢ .

فبعث إليه فقدم ، فاعتذر مما قيل فيه ، فقال له معاوية : قم فاعتذر إلى الناس غداً فرجع ابن خازم إلى أصحابة فقال : إنى قد أمرت بالخطبة ، ولست بصاحب كلام ، فاجلسوا حول المنبر ، فإذا تكلمت فصدقونى ، وقام من الغد فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : إنما يتكلف الخطبة إمام لا يجد منها بدا ، او أحمق يهمر من رأسه لا يبالى ما خرج منه ، ولست بواجد منهما ، وقد علم من عرفنى أنى بصير بالفرص ، وثّاب عليها ، وقاف عند المهالك ، انفذ بالسرية ، واقسم بالسوية ، أنشدكم بالله مَنْ كان يعرف ذلك فى لما صدقنى ! قال أصحابه حول المبنر صدقت ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك ممن نشدت فقل بما تعلم ، قال : صدقت [٦٣] .

وثمة رواية أخرى تذكر أن عزل قيس بن السهيثم عن خراسان راجع إليه إذ كان وهو يحكم البلد يتوجس خيفة من عبد الله ابن خازم ويتتبع أخباره فلما بلغ قيسا أن ابن خازم لقى ابن عامر وقد كان بين والى خراسان و أميره ابن عامر وحشة بسبب تلكؤه في إرسال خراج خراسان إلى البصرة فقال ابن خازم لابن عامر ولني خراسان فأكفيكها و أكفيك قيس بن السهيثم .

فكتب له عهده أو همّ بذلك ، فبلغ قيساً أن ابن عامر وجد عليه لاستخفافه به وإمساكه عن الهدية ، وأنه قد لى ابن خازم ، فخاف قيس من ابن خازم أن يشاغبه ويحاسبه ، فترك خراسان ،وأقبل

---

(٦٣) الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج٥ – ص ٢١٠ ، ابن عساكر – تاريخ دمشق – ج٢٨ – ص ١١ ،ابن خلدون – العبر – ج٣ – ص٨ .

فازداد عليه ابن عامر غضباً ، وقال ضَيَّعت الثغــر فضربـــة مائـــة وحلقــه وحبســه (٦٤)

إن مَنْ يتأمل الروايتين السابقتين يجد أن ابن خــازم مــا فتــئ يدبــر المكيدة تلو الأخرى للنيل من قيس ابـــن الـــهيثم فـــى خراســان وأن ابــن عامر كان يدرك ذلك الأمر قبل خلافـــة معاويـــة ومــع ذلــك اســتمر فــى سياسة تغذية التنافس بين الرجلين بعد قيام معاويـــة بـــالأمر وهــو يعتقــد أن هذا التنافس سيحفظ له البلاد من ناحية ويجلب لــه المزيــد مــن المــال من ناحية أخــرى.

وهذا ما قررته الرواية الأولى حين ذكــرت قــول ابــن خــازم لابــن عامر أن يكتب له عهداً بخراسان إن تــرك قيــس ميــدان الجــهاد لســبب من الأســباب .

فتلبية ابن عامر له هذا الطلب يدلك بلاريـــب علـــى أن الغايـــة التـــى توخى ابن عامر الحصول عليها مِنْ ضرب كلاهمــا بــالآخر هــى ديمومـــة إحكام قبضته على خراسان والمناطق التى تخضــع لــها إداريــاً .

وكيفما كان الأمر فإن ابن عامر لم يُعمر طويــلاً فـــى ولايـــة البصـــرة هذه المرة فقد أزمع معاوية عزله بعد سنتين منها بســبب مــا علمــه مــن طمع الرعية فى لين ابن عامر فكثر الفساد فـــى البصـــرة .ومــن الطبعــى أن تتأثر خراسان بهذا الأمر ولعل ما ذكرناه من الصــراع بيــن قيــس بــن الهيثم وابن خازم راجع إلى ذلـــك . فلــو كـــانت ســلطة ابــن عــامر ذات أنياب لهابه الرجلان فى خراسان وما هرب قيـــس بــن الـــهيثم مــن ابــن

---

(٦٤) الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج٥ – ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .

خازم حتى لا يواجهه على أرضها مع أنه كان أميرها إذ ذاك من قبل ابن عامر .

ومِنْ ثم كان هذا الهروب سببا من سببين أديا إلى عزل ابن الهيثم عن عمله وثانيهما : هو ما رواه ابن الأثير من أن ابن عامر حين وفد وفداً من البصرة إلى معاوية وافقوا عنده وفد الكوفة ، وفيهم ابنى الكوّا (٦٥) فسألهم معاوية عن أهل العراق وعن أهل البصرة خاصة ، فقال ابن الكوّا : ((يا أمير المؤمنين ، إن أهل البصرة قد أكلهم سفهاؤهم ، وضعف سلطانهم ، وعجز ابن عامر وضعفه .فقال له معاوية : تتكلم عن أهل البصرة وهم حضور)) .

فلما عاد أهل البصرة أبلغوا ابن عامر ، فغضب وقال : أى أهل العراق أشدُّ عداوةً لابن الكوّا ؟ فقيل : عبد الله بن أبى شيخ اليشكرى فولاه خراسان ، فبلغ ذلك ابن الكوّا ،

فقال:إن ابن دجاجة،يعنى ابن عامر قليل العلم فسَّ،ظن أن ولاية خراسان تسوءنى : لوددت أنه لم يبق يشكرى إلا عادانى وأنه ولاه .
وقيل:إن الذى ولاه ابن عامر خراسان طفيل بن عوف اليشكرى [٦٦]
ومهما يكن من أمر فإن معاوية بن أبى سفيان رضوان الله عليه سلك مسلك

---

[٦٥] عبد الله بن أبي أوفى علقمة بن خالد بن الحارث ، شهد بيعه الرضوان ، رحل عن المدينة إلى الكوفة بعد وفاة رسول الله ، قيل توفى سنة ست وثمانين أوثمان وثمانين للهجرة – ابن سعد – الطبقات الكبرى – ج٦ – ص ٩٨، ٩٩ ، ابن عساكر – تاريخ دمشق ج ٢٧ – ص ٩٦ : ١٠٧ .

[٦٦] الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج ٥ – ص ٢١٢ ، ٢١٣ ابن الجوزى – المنتظم – ج ٤ – ص ١٣٨٥ ، ابن الأثير – الكامل – ج٣ – ص ٤٤٠ ، ٤٤١ . – للوقوف على المزيد من التفاصيل الخاصية بحياة ابن عامر وأسباب عزله عن البصرة – راجع ولاة البصرة فى عهد الراشدين والسفيانين مجلة اللغة العربية بالمنصورة – عدد الخامس عشر – ص ١٣٨ – ج ٣ ١٩٩٦ .

السابقين من الخلفاء فى إدارة خراسان فكان يجعل تعيين عمالها إلى واليه على البصرة فبعد أن نجحت المساعى فى استلحاق معاوية لزياد جعله أمير المؤمنين والياً على البصرة ومن ثَّم أرسل عماله إلى مناطق خراسان ومن هؤلاء مِنْ سبق لهم حكم مناطق فى خراسان لابن عامر قبل ولايته فى عهد معاوية بن أبى سفيان مثل أمير بن أحمر وعلى نيسا بور خليد بن عبد الله الحنفى ، وعلى مرو الروذ والفازياب والطالقان قيس بن الهيثم ، وعلى هراة وباذغيس وبوشخ نافع بن خالد الطاحى ، ثم عتب عليه فعزله والأخير تغير عليه أميره زياد بسبب أن نافعا حين أرسل إلى أميره بالبصرة بخوان (٦٧) باذزهر مع غلام له فابلغ الغلام الأمير بالبصرة أن نافعاً شوه الهدية التى أرسلها بصحبته فنزع قائمة منها واستبدل بها أخرى من ذهب فاغضب الأمير على نافع فعزله بعد ما كتب كتاباً بمائة ألف وقيل بثمانمائة ألف (٦٨) .

وعلى كل حال فان زياداً جعل على خراسان بعد ذلك الحكم بن أبى العاص الثقفى (٦٩)فأمر حاجبه أن يأتى داره حتى يخبره باختيار الأمير له والياً على خراسان فإذا بالحاجب يؤم دار غيره فلقى الحكم بن عمرو بن مجدع بن حذيم الغفارى فلما جاء زياداً ابن أبيه عينة على خراسان والياً .

---

(٦٧) ويراد به الاسد وسبب اطلاقه عليه فترة فى نظر الاسد ، لذا يقال للأسد خائن العينين – لسان العرب – ج٢ – ص ١٢٩٥ مادة خون .

(٦٨) تاريخ الرسل والملوك – ج٥ – ص٢١٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ابن الاثير – ج٣ – ص٤٥١ ، ٤٥٢ ، ابن خلدون – ج٣ – ص١١ .

(٦٩) استعان به عمر على الطائف عندما استدعى اخاه عثمان بن ابى العاص ليبعث به إلى البصرة ويُقال انه كان من وفد ثقيف الذى قابل النبى محمد صلى الله عليه وسلم . ابن سعد – "طبقات الكبرى – ج٧ – ص ٢٨ ، ٢٩

والوالى المذكور له صحبة فظل ملازماً لرسول الله حتى قُبض (صلي الله عليه و سلم) وحين آل إليه أمر خراسان غزا طخارستان ثم سار سنة سبع و أربعين إلى جبال النحور وكانوا قد ارتدوا ، ففتح وغنم وسبى وعبر النهر إلى ولايته فيما وراءه فملأه غارة وعاد وقد غنم غنائم كثيرة . [٧٠] .

فلما علم معاوية بن أبى سفيان بعظم ما فيها من أموال وتحف أمر زياداً أن يكتب إلى الحكم بن عمرٍ كتاباً جاء فيه : (أما بعد فإن أمير المؤمنين كتب إلى أن اصطفى له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهباً ولا فضة .

ولماً كان الوالى يحرص على تطبيق ما جاء فى كتاب الله فى ولايته فانه رد على كتاب أميره بقوله : (سلام عليك فانك تذكر كتاب أمير المؤمنين ، و إنى وجدت الله قبل كتاب أمير المؤمنين ، و إنه والله لو كانت السماوات و الأرض رتقاً [٧١] على عبدٍ فاتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً،والسلام عليك ثم قال للناس:اعدوا على فيكم فاقسموه فغدا الناس وقد عزل الخمس [٧٢]

---

[٧٠] ابن خلدون – العبر – ج٣ – ص ١١ .

[٧١] الرتق : هو الحام الفتق وهذا فيه تأثر بأسلوب القرآن الكريم الذى ذكر فى الآية الكريمة "أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما قال بعض كانت السموات و الأرض رتقاً لا ينزل منها رجع ، وكانت الارض رتقاً ليس فيها صدع ، ففتقهما الله تعالى بالماء والنبات رزقاً للعباد لسان العرب – ج٢ – ص ١٥٧٧ مادة دتسق .

[٧٢] ابن سعد – الطبقات الكبرى – ج٧ – ص ٢١ ، ابن الاثير – اسد الغابة – ج١ – ص ٥٩١ ، ٥٩٢ ، الصفدى – الوافى بالوفيات – ج١٣ – ص ١١٠ .

إن مَنْ يتأمل موقــف الحكــم مــن زيــاد بــن أبيــه يــدرك أن كــلا الرجلين لم يكونا على وفاق فى التوجـــه السياســى فزيــاد لا يــألو جــهداً فى سبيل إرضاء أمير المؤمنين معاويـــة بــن أبــى ســفيان ولا ســيما أن استلحاق معاوية له لمَّ يمــض عليــه إلا اليســير مــن الوقــت [٧٣] وهــو يريد كذلك أن يدعم مكانته فى الدولة وبين الرعية ممنيـــاً النفــس بمكانــة أرفع من تلك التى تبوأها بعد الاستلحاق وهو لـــن يصــل إلــى ذلــك إلا إذا مهد له معاوية السبل ولا يكـــون ذلــك إلا برضــاء الخليفــة عنــه . أمــا الحكم فإنه كان يضع نصب عينية الصحبـــة للنبــى محمــد ثــم المســئولية الكبيرة التى ألقتها الولاية على كاهلِة فتـــأى بنفســه عــن اغتصــاب حــق لفرد من أفراد رعيته ليرى به أمير المؤمنيــن ثــم أمــيره .

ومن ثمَّ وقف هذا الموقف الشجاع فرفـــض أوامــر أمــير المؤمنيــن ثم أميره غير مبالٍ باستمراره فى الولاية من عدمه فلــم يجــد معاويـــة ثــم زياد بُدًا من الإبقاء عليه حتى لا تثور عليـــهما الرعيــة بخراســان .

و ياليت عمالنا فى زماننا يتخـــذون مــن مثــل هــذه المواقــف فــى التاريخ الإسلامى عبرة فى علاقاتـــهم بمرءوســيهم فــلا يمالئونـــهم حتــى يحفظوا لهم ولاية لا تستند الا على نفـــاق يدحــض الحــق ويرفــع رايــة البــاطل .

ظل الحكم بن عمرو يدبر امر خراسان زهـــاء خمــس ســنوات حتــى وافته المنية بها سنة خمســـين .

---

[٧٣] للوقوف على تفاصيل روايات الاستلحاق وتاريخ ذلك يمكن مطالعة ولاة البصــرة فــى عــهد الراشدين والسفيانيين للمؤلف وهو بحث منشور بمجلة اللغة العربية العدد ١٥ الخامس عشــر – ج٣ – ص ١٤٨ ، ١٤٩ – ١٩٩٦ .

وكان الحكم فى مرض موته استخلف علـــى عملـه بخراســـان أنـــس بن أبى أناس فقام بتجهيز الوالى الســـابق ودفنـــه .

فلما بلغ ذلك زياداً عزلة أنس بن أبى أنـــاس عـــن خراســـان وولاهـــا خليد إبن عبد الله الحنفى الذى لم يبـــق فـــى ولايتـــه ســـوى شـــهر واحـــد عزل بعده عنها وأسلم زياد خراســـــان إلـــى وال جديـــد يدبـــر أمرهـــا [٧٤] هو الربيع بن زياد بن أنس الحارثى أبـــو عبـــد الرحمـــن البصـــرى ويكـــن بابى احمد على الراجح روى عن أبى بن كعـــب وكعـــب الأحبـــار ، وعمـــر بن الخطاب وعنه روى أبو مجلـــز ومطـــرف بـــن عبـــد الله بـــن الشـــخير وحفصه بنت ســـيرين [٧٥]

ويلوح لنا أن زيادا لم يختر واليـــه مـــن فـــراغ فـــإن الربيـــع عـــرف بين المحيطين به بدقة الرأى وحسن التصـــرف ونباهـــة الذكـــر والتواضـــع للناس جميعاً فحظى بثنائهم عليه فى غيابه قبل حضـــورة وآيـــة ذلـــك مـــا روى عن عمر ابن الخطاب أنه قـــال (دلونـــى علـــى رجـــل إذا كـــان فـــى القوم وهو أمير فكأنه ليس بأميره ، و إذا كـــان فيـــهم وهـــو غـــير أمـــير فكأنه أمير . فقالوا : ما نعلمه إلا الربيع بن زيـــاد بـــن أنـــس) [٧٦]

لمّا استوى الربيع على كرسى الولايـــة بخراســـان أقبـــل المســـلمون المقيمون بالمناطق المجاورة لها على اســـتيطان خراســـان بذرياتـــهم ومـــا

---

[٧٤] الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج٥ – ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٥٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ابـــن الجوزى – المنتظم – ج٤ ص ١٤١٠ .

[٧٥] ابن سعد – الطبقات الكبرى – ج٦ – ص ٢٠٢ ، ابن حجر – تـــهذيب التـــهذيب – ج٣ – ص ٢٤٣ .

[٧٦] ابن سعد الطبقات – ج٦ – ص ٢٠٢ .

ذلك إلا ليقينهم أن الوالى الجديد سينجح فى نشر الأمن بالبلد وجعل راية الرخاء ترفرف على أرضها . (٧٧)وإذا كان التوفيق مشى فى ركاب هذا الوالى بالداخل فإنه كذلك حين خرج لجهاد أعداء المسلمين من البلخيين والترك فصالح أهل بلخ بعدما كانوا نقضوا عهدهم مع الأحنف ابن قيس (٧٨) وفتح قهستان عنوة وكانت بناحيتها أتراك فقتلهم وهزمهم ، وكان ممن بقى منهم نيزك طرخان فقتله قتيبة بن مسلم فى ولايته (٧٩)

وفق الربيع فى اختياره للرجال الذين يعاونونه بدليل انه استعان بالحسن البصرى (٨٠) فجعله كاتبا له. و كلنا يعرف ما للحسن البصرى من مواقف وآراء علمية جعلته على رأس مشاهير رجالات العصر الأموى . استمر الربيع يدبر أمر خراسان بنجاح زهاء سنتين واشهر حيث وافته المنية بها ويقول الرواة أن الربيع ذكر يوماً مقتل

---

(٧٧) الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج٥ – ص ٢٨٦ ، ابن الجوزى – المنتظم – ج٤ – ص ١٤١٩ .

(٧٨) ابن الجوزى – المنتظم – ج٤ – ص ١٤٤٩ ، ارمينوس فامبرى – تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى الحاضر ص ٥٧ .

(٧٩) الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج٥ ص ٢٨٦ .

(٨٠) ابن ابى الحسن يسار ، ابوه من سبى ميسان ، اشترته عمه انس بن مالك فاعتقته ، ولد بالمدينة لسنتين بقيتامن خلافه عمر بن الخطاب ، عرف بالفصاحه والبلاغة والحكمة ، توفى فى رجب سنة عشر ومائة ولمطالعة المزيد من احواله واخباره ارجع ل ابن سعد – الطبقات – ج٧ – ص ١١٤ : ١٣٢ ، الذهبى – سير اعلام النبلاء – ج٥ – ص ٤٥٦ ، ٤٧٣ .

حجر بن عدى وهو بخراسان قال لا تزال العرب تقتل صبراً بعده ولو نفرت عند قتله لم يقتل رجل منهم جداً ، ولكنها أقرت فذلت ، فمكث بعد هذا الكلام جمعه ، ثم خرج فى ثياب بياض فى يوم جمعه ، فقال : أيها الناس ، إنى قد مللت الحياة ، وإنى داع بدعوة فامنوا ، ثم رفع يده بعد الصلاة ، وقال "اللهم إن كان لى عندك خير فاقبضنى إليك عاجلاً " و أمن الناس فخرج ، فما توارت ثيابه حتى سقط فحمل إلى بيته ، واستخلف ابنه عبد الله فمكث شهرين ثم مات فقدم عهده من قبل زياد على خراسان وهو يدفن فخلفه عليها خليد بن عبد الله الحنفى [٨١] الذى لم يمكث هو الآخر فى ولايته طويلاً فقد عزله معاوية ليجعل البلد إلى عبيد الله بن زياد

والوالى الجديد أبوه زياد بن أبيه وأمه مَرْجانةَ قيل إنها فارسية الأصل [٨٢] ولد سنة تسع وثلاثين ، وسمع من معقل بن يسار معاوية بن أبى سفيان روى عن أمير بن جعدة حديثاً عن رسول الله (ﷺ) [٨٣] أخذ نجمة فى الصعود بعد ما توفى أبوة فطمح إلى تولى الأعمال لمعاوية بن أبى سفيان على أساس آصرة العمومة تلك التى أوجدها استلحاق معاوية لأبيه فاز مع الرحيل للقاء معاوية بن ابى سفيان فى حاضرة خلافته يطلب منه عملاً من الأعمال إذ كان أبوه

---

(٨١) الطبرى – تاريخ الرسل والملوك –ج٥ –ص ٢٩١.

(٨٢) الذهبى – سير اعلام النبلاء – ج٥ – ص ٥٥

(٨٣) ابن عساكر – تاريخ دمشق – ج٣٧ – ص ٤٣٤، ٤٣٥ ، ٤٣٦ .

حين أنشبت فيه المنيــة أظفارهــا ســنة ثــلاث وخمســين لــم يكــن قــد استخلف ولده على عمل مــن أعمالــه (٨٤).

ولعل السبب فــى ذلــك أن زيــاداً رأى ولــده غــير كفء للنــهوض بأعباء أحد المصرين البصرة أو الكوفة لكثرة الثــورات فيــهما ومَــنْ أقــام بهما من العرب ذوى الأنفة الذيــن يــأبون الخضــوع لولــده ولاســيما أن استلحاق معاوية له كان ما يــزال بيــن أخــذ ورد فــى مجــالس وجــهاء المصرين ناهيك عن صغر سنة ومن ثَمَّ لم يفكــر زيــاد فــى توليــة عبيــد الله عملاً من الأعمـــال .

وسواء أصح هذا أم لم يصح فإن عبيــــد الله بــن زيــاد حيــن دخــل على معاوية (سألة مَنْ استحلف أخى على الكوفـــة ؟قــال : عبــد الله بــن خالد بن أسيد ، فمن استعمل على البصـــرة ؟ قــال : ســمرة بــن جنــدب الغزارى) (٨٥) (فقال له معاوية : لو اســتعملك أبــوك اســتعملتك ، فقــال له عبيد الله : أنشدك الله أن يقولــها إلــى أحــدُ بعــدك ! لــو ولاّك ابــوك وعَّمك لوليتــك ! (٨٦))

فلما قال عبيد الله ما قال ولاه خراســان ، ثــم قــال لــه حيــن ولاّه : إنى قد عهدت إليك مثل عهدى إلى عمالى ، ثــم أوصيــك وصيــة القرابــة لخاصتك عندى : (لا تبيعــن كثــيراً بقليــل ، وخــذ لنفســك ومنــها مــن نفسك ، واكتف فيما بينك وبيــن عــدوك بالوفــاء تخــف عليــك المؤونــة

---

(٨٤) ابن عساكر – تاريخ دمشق – ج ٣٧ – ص ٤٤٢ .

(٨٥) ابن عساكر – تاريخ دمشق – ج٣٧ – ص ٤٤٢ .

(٨٦) ابن الاثير – الكامل – ج٣ – ص ٢٩٨، ٢٩٩ ، النويرى – نهاية الارب – ج٢٠ – ص ٣٤٦.

وعلينا منك ، وافتح بابك للناس تكن فى العلم منــــهم أنــت وهــم ســواء ، وإذا عزمت على أمر فأخرجه إلى الناس ، ولا يكــن لأحــد فيــه مطمــع ، ولا يرجعن عليك و أنـــت تســتطيع ، و إذا لقيــت عــدوك فغلبــوك علــى ظهر الارض فلا يغلبـــوك علـــى بطنـــها ، وان احتـــاج اصحـــابك إلـــى أن تؤاسيهم بنفسك فآســـهم [٨٧].

ولمّا ولى معاوية عبيد الله بن زياد خراسان ســـار إليـــها مـــن الشـــام فى أواخر سنة ثلاث وخمسين للهجرة فودعه الجعـــد بـــن قيـــس النَّمـــرى وهو ينشده مرثيته فى أبيه زياد والتـــى منـــها.

أبْقِ علَىّ عاذِلِى من اللـّـومْ .. فيما أُذيلتْ نِعْمَتِى قبـــلَ اليـــومْ

قَدْ ذَهَبَ الكَرِيمُ والظِّلُ والدّوْمْ .. والنّعَمُ المُؤثَلُ الدثره الْحَـــــومْ

والماشِيات مَشْيةً بعدَ النّــومْ .. ليْتَ الجيادَ كلُّها مع القـــــــومْ

سُقِينَ سُمَّ ساعةٍ قبْلَ اليَــومْ .. لأربَع مَضيْنَ من شهرِ الصَّـــــومْ

و منها..يَوْمُ الثلاثاءِ الذى كان مضى.. يَوْمُ قَضَى فيه التّمليكُ ما قَضَـــى

وفاةَ بَرّ ماجد جَلْدِ القَـــوى .. حَرّبَة~ نوالُ جَعْدٍ والتّظـــــــى

كان زيادُ جَبَلاً صعْبَ الــذُرَى .. شَهْمًا إذا شئتُمْ نقيصاتِ ابــــىَ

لا يُبْعِدِ اللّهُ زِيادًا اذْ شَوَى[٨٨]

لمّا وصل عبيد الله بن زيـــاد إلـــى خراســـان أراد أن يحـــاكى ســـلفة الربيع ابن زياد فى مجاهدته للترك وغيرهم مـــن أعـــداء الفتـــح الإســـلامى لخراسان ففاق عبيد بن الربيع لأن الأخـــير حيـــن جـــاهد أعـــداء الإســـلام وتمكن من الانتصار عليهم كان ذلك بدون ترتيب مســـــبق مـــن القـــائد .

---

[٨٧] الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج٥ – ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

[٨٨] الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج٥ – ص ٢٩٧ .

أما عبيد الله فانه رسم خطةً محكمةً لقصد بخارى فبدأ بمهاجمة مدينة بيكند [٨٩] الغنية قصبة الحكومة ومركز التجارة . وتم له إخضاعها بعد نضال طويل ، ليسير من بعد ذلك إلى بخارى ومعه غنائم عظيمة وفى ركابه أكثر من أربعة آلاف أسير.وقد وقع هذا كله أواخر عام ٥٣ هـ/٦٧٢ م.هناك استنجدت الملكة خاتون [٩٠] بجيرانها الترك فداهموا العرب وهم فى شغل بحصار المدينة وإعداد ...انيقهم.ولكن عبيد الله بن زياد انبرى لهم وأخذ يدفعهم عنه فى شجاعة . ولكنه اضطر هذه المرة إلى العودة إلى مرو دون أن تخضع له بخارى.وحمل المسلمون معهم عند رجوعهم الكنوز والأسلحة والثياب وأدوات الذهب والفضة وكان من بين ذلك نعال للملكة مرصعة بالحجارة الكريمة قَوّمن بعشرين ألف درهم،وقد خلب منظرها لب أبناء الصحراء العربية أصحاب الفطرة حين اطلعوا عليها [٩١]

---

[٨٩] بالكسر وفتح الكاف وسكون النون ، بلدة بين جيحون وبخارى على مرحلة منها – ياقوت معجم البلدان – ج٣ – ص ٤١٨ .

[٩٠] زوج بندون حكمت بعد وفاة زوجها بخارى مدةً أختلف فى تقديرها فمنهم مَنْ قال خمسين عاماً ومنهم مَنْ جعل مدة الحكم خمسة عشر عاماً عرفت بالجزم وصواب الرأى . وكانت تغادر ...ا كل يوم بعد الشروق فتقصد بوابة ريغستان التى صارت تعرف فيما بعد بسوق العلافين . فتجلس فوق العرش ومن حولها رجال البلاط والاعيان وتقيم العدل بين الناس . وكان يقوم على حراستها فى الحضرة كل يوم مائتا شاب يتمنطقون بالذهب ومعهم سيوفهم الذهبية كذلك . وكانوا يستبدلون بغيرهم فى كل يوم . وعلى هذا الوضع كانت تتيح لكل قبيله أن تشترك فى أداء هذا الواجب أربع مراتٍ .

ارمنيوس فامبرى – تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى العصر الحاضر – ص ٣٩.

[٩١] الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج٥ – ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ابن عساكر – تاريخ دمشق – ج٣٧ –ص ٤٤٢،أرمينوس فامبرى – ص ٥٧ ، ٥٨ .

وعلى الجملة فكانت معركة عبيد الله هذه من المعارك الكبرى التى شهدتها خراسان حين فتحها المسلمون (٩٢) .

وقد زعم أحد المؤرخين الإفرنج أن عبيد الله بن زياد وهو عائد من بخارى - بعد أن استعصى عليه فتحها فى هذه المعركة - انزل واتباعه بكل المناطق التى مروا بها فى تقهقرهم حتى اقتلعوا الاشجار التى صادفتهم فى طريقهم (٩٣)

وهذا فى رأينا غير مقبول فان الفاتحين المسلمين دأبوا على المحافظة على أموال أهل البلاد المفتوحة وتركهم يزرعون أرضهم فكانت سماحة الفاتحين معهم الأسلوب الأوحد فى جذبهم إلى الإسلام ، ثم أتساءل عن الاسباب التى تجعل عبيد الله بن زياد يقدم على ما أقدم عليه من قطع الأشجار على حد زعم الكاتب وهو حين ترك بخارى لم يكن مطارد من قوات الترك بل على النقيض من ذلك فإن بعض الروايات التاريخية تذكر أن خاتون ملكة بخارى صالحت عبيد الله بن زياد على أن تدفع له ألف ألف درهم (٩٤) على سبيل الجزية وهذا ما ذكره الكاتب نفسة فكيف يقول ما يقول من تخريب المسلمين للحرث اللهم إلا أن يكون ذلك على سبيل التعصب ضد العرب الذين استطاعوا بقوة إيمانهم اقتحام حصون أعدائهم فلوى عنق الحقيقة بزعمه أن الأشجار التى قطعت كانت فى طريق العودة فى حين أن النرشخى ذكر

---

(٩٢) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج٥ - ص ٢٩٨ .

(٩٣) أرمينوس فامبرى - تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى العصر الحاضر ص ٥٨ .

(٩٤) تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى العصر الحاضر ص ٥٨.

أن عبيد الله بن زياد ألجأ إلى قطـع الاشـجار التـى تحيـط ببخـارى لمَّـا طال عليه أمر حصارها حتى يسهل عليه اقتحامــها و مِـنْ ثـمَّ حيـن رأت الملكة خاتون ذلك بادرت على عقد الصلــح سـالف الذكـر مـع عبيـد الله بن زيـاد (٩٥).

ومهما يكن من أمرٍ فـان عبيـد الله بـن زيـاد اسـتمر يدبـر أمـر خراسان مدة سنتين تركها بعدهما حيـن جعلـه معاويـة واليًـا لـه علـى البصرة ستة خمس وخمسين للهجرة فسيَّر بعد ذلـك إلـى خراسـان اسـلم بن زرعه أميرًا عليها من قبله كما كان يفعـل السـابقون مـن قبلـه فلـم يغز ولم يفتح بها شيئاً (٩٦) - فعزله عبيد الله بن زيـاد عنـها بـامر مـن معاوية سنة ٥٦ هــ .

لتؤول خراسان من بعده إلى والي جديد هُوَ سـعيد بـن عثمـان ابـن عفان بن أبى العاص بن أميـة القرشـى الأمـوى المدنـى ، أمـه فاطمـة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بـن عمـر بـن مخـزوم روى عن أبيه عثمان بن عفان وطلحة بـن عبيـد الله . وروى عنـه عبـد الملك بن عمير وهانئ بن هانئ وعمرو ، كُنى بـأبى عثمـان وكـان قليـل الحديث حسن الصورة والسمعة عن أهـل المدينـة . (٩٧)

---

(٩٥) النرشخى - تاريخ بخارى - ص ٦٤ .

(٩٦) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج٥ ص ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ابن عساكر - تاريخ دمشـق - ج٣٧ - ص ٤٤٣ .

(٩٧) ابن عساكر - تاريخ دمشق - ج٢١ صـ٢٢٠ : ٢٢٢ .

جعله معاوية والياً على خراسان بعد هوارٍ دار بين سعيد والخليفة اختلف الرواة حول الدور الذى لعبه يزيد بن معاوية فيه فمنهم مَنْ اغفل تأثير يزيد على هذا الحوار .

ومنهم من نسب إلى يزيد جعل معاوية يولى سعيداً خراسان فمن الأول ما ذكره الزبير بن بكّار أن أهل المدينة عبيدهم ونساؤهم كانوا يقولون ،

واللّه لا ينالها يزيد حتى ينال هامة الحديد أن الامير بعده سعيد يعنون لا ينالها يزيد : الخلافة ، أن الأمير بعده سعيد بن عثمان . فلمَّا قدم سعيد على معاوية سأله عن هذا القول الذى تناقلته السنة المدنيين فأخبره سعيد بعدم علمه به فلما ذكره قال سعيد (ما تنكر من ذلك يا معاوية ؟ والله انّ أبى لخير من أبى يزيد ،ولأمى خير من أمّ يزيد ، ولأنا خير منه ، وقد استعملناك فما عزلناك بعد ، ووصلناك فما قطعناك ، ثم صار في يدك ما قد تري فحلاتنا[٩٨] عنه أجمع فقال له، معاوية : يا بنى ،اما قولك أن ابى خير من ابى يزيد فقد صدقت ، عثمان خير من معاوية ، وأما قولك أمى خير من أمّ يزيد فقد صدقت ، امرأة من قريش خير من امرأة من كلب ، ولحسب امرأة أن تكون من صالح نساء قومها ، وأما قولك : إنى خير من يزيد فوالله ما يسرى أن خيلاً بينى وبين العراق ثم نظم لى فيه أمثالك به . ثم قال

---

[٩٨] حلاً تحليا و تحلئة الطرد أو المنع عن الشيء المراد الوصول إلية يحتاج إلية ومن ذلك قول النبي محمد (يرد عليَّ يوم القيامة رهط فيه للون عن الحوض ، أي يصدرن عنة و يمنهون من وروده) لسان العرب - ج٥ - ص ٩٥٥ ماده حلاً .

معاوية لسعيد بن عثمان : الحق بعمك زياد بن أبـــى سـفيان ، فـإنى قـد أمرته أن يوليك خراسان وكتب إلى زيـــاد بذلـك) [٩٩]

ومن الثانى ما رواه غـبير واحـد مـن أن الحـوار الـذى دار بيـن معاوية وسعيد كان بحضرة يزيد وتلـك التـى تجحـده فـى شـأن جوهـر الحوار الذى دار بين أمير المؤمنين معاوية بن أبـــى سـفيان وسـعيد بـن عثمان بن عفان سوى ما نسبه الرواة إلى يزيد مـن تدخلـه فـي الحـوار حين قال : ماه يا أمير المؤمنين ، ابـــن اخيـك اسـتعمل الدالـة عليـك ، واستعتبك واستزادك منك فزده ، وأجمل له فـــى ردّك ، واحمـل لـه علـى نفسك ، ووله خراسان بشفا عنى وأعنه بمال يظـهر بـه مروعتـه فـولاه معاوية خراسان وأجازه بمائة ألـف درهـم .

ويقول ابن عساكر كان ذلك اعجب مـا ظـهر مـن حلـم يزيـد [١٠٠]

إن من يجيل النظر فيمـا تضمنتـه الروايـات السـابقة يجـد أن الروايـة الأولى مرجوحة والثانيـة راجحـة لأن يزيـد بـن معاويـة ربمـا اراد أن يجعل لنفسه يداً على رجل فـى مثـل مكانـه سـعيد ابـن عثمـان الـذى استرعى أنظار الكثيرين إليه حتى أنـهم أرجفـوا فـى مجالسـهم بأهليـة خلافته لمعاوية أو قل إن شئت جعلوه فـى مصـاف الأعـلام الذيـن ركـز المدنيون وغيرهم الأنظار عليـهم إذا مـا شـغر منصـب الخلافـة بمـوت معاوية ومما يدعم رأى هـذا أن زمـن الحـوار الـذى دار بيـن الخليفـة

---

[٩٩] الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج٥ - ص ٣٠٥ ، ابن عساكر - تاريخ دمشـق - ج٢١ - ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

[١٠٠] ابن عساكر - تاريخ دمشق - ج٢١ - ص ٢٢٥ .

وسعيد بحضرة يزيد لم يفصل بينه وبين الجهود التى بذلها معاوية إلا زمن يسير لدى الامصار الاسلامية ولا سيما المدينة فى سبيل الحصول منها على المبايعة لولده بولاية عهده ، فرجلٌ مثل يزيد رأى نفسه وقد أصبح ولى عهدٍ لأبيه بعد ما تم له أمر البيعة لخليق به اهتبال كل فرصةٍ تُواتيه حتى يثبت بها لمنافسيه ومن خلالهم للذين بايعوه انه بالخلافة جدير وعلى امرها قدير وانه ذو حلم وصبرٍ يجعله ملاذاً لكل طالب حق أو عطاء من الرعية .

لما وصل سعيد بن عثمان إلى خراسان حاكى أميره عبيد الله ابن زياد فى جهاد أعداء الإسلام فصار برجاله إلى بخارى .

وهنا نجد الرواية التاريخية الاسلامية تختلف عن نظيرتها الأجنبية فى بعض التفاصيل ، فالأولى تنفى عن سعيد بن عثمان التنكر للصلح الذى أبرمته خاتون مع عبيد الله بن زياد بينما تثبت الرواية الافرنجية ذلك للأمير المسلم.

فقد ذكر النرشخى أن سعيد بن عثمان حين عبر نهر جيحون إلى بخارى جاءته الخاتون بشخص وقالت (أنا على ذلك الصلح الذى عقدته مع عبيد الله بن زياد ، وأرسلت بعض ذلك المال .

فاذا بعسكر الصغد وكش ونخشب [١٠١] قد وصلوا ، وكان عددهم مائة وعشرين ألف رجل ، فندمت الخاتون على الصلح وما كانت

---

[١٠١] بالفتح ثم السكون وشين معجمة مفتوحة وباء موحدة من مدنى ما وراء النهر بين جيجون وسمر قند وليست على طريق بخارى فان القاصد بخارى إلى سمرقند يجعل نخشب عن يساره وهى نسف نفسها المذكورة فى بابها بينها وبين سمرقند ثلاث مراحل ولها اسم ثالث عُرفت به بعد الغزو الماغولى وهو قرشى (بمعنى القصر بالماغولية) ياقوت الحموى - معجم البلدان - ج٨ - ص ٣٨٠ ، كى لسترنج - بلدان الخلافة الشرقية - ص ٥١٤ .

أرسلته فقال سعيد : أنا عند قولـــى ، ورد المـــال وقـــال : لا صلـــح لنـــا . وعندئذ تجمع العسكر ووقفوا وجهاً لوجـــه واصطفـــوا ، فـــألقى الله تعـــالى الرعب فى قلوب الكـــافرين حتـــى عـــاد كـــل عســكر الكفـــار هـــؤلاء دون حرب ، وبقيت الخاتون وحدهـــا ، فارســـلت مـــرة اخـــرى شـــخصاً لطلـــب الصلح وزادت المال وأرسلته جميعاً . فقـــال ســـعيد أنـــا الآن ذاهـــب إلـــى الصغد وكرقند وأنتِ على طريقى فيجب أخذ رهـــن منـــكِ حتـــى لا تـــأخذى على الطريق وتضايقينى ، فأعطت الخـــاتون ثمـــانين شـــخصاً مـــن أمـــراء ودهاقين بخارى رهائن لسعيد . فرجع ســـعيد عـــن بـــاب بخـــارى ومضـــى لطيتـــه [١٠٢].

أما الرواية الثانية فقد جاء فيها أن العرب انطلقوا من جديد بقيادة سعيد بن عثمان يتعرضون للملكة خاتون. وعبثاً حاولت هذه الملكة أن تدفع عنـــها بالهدايا قائد هؤلاء العرب محتجه بما بينها وبين عبيد الله من عهد.فقـــد رد القائد العربى هديتها إليها ولم يلق بالاً إلى ما كان بينها وبين سلفه من عـــهد ثم جد فى مهاجمة المدينة. وفت فى عضد الملكة طول النضـــال مـــع تمـــرد الرعية فطلبت الصلح من جديد [١٠٣]

مما تقدم تظهر لنا الفـــروق الجوهريـــة بيـــن الروايتيـــن ، فالروايـــة الثانية تجاهلت مجيئ الصغد ومَـــنْ آزرهـــم لنجـــدة الملكـــة خـــاتون التـــى كانت أرسلت مالاً إلى سعيد بناءً على صلحـــها الـــذى كـــانت أبرمتـــه مـــع عبيد الله بن زياد فذكرت أنه ألمال كان علـــى ســـبيل الـــهدايا .

---

[١٠٢] النرشخى – تاريخ بخارى – ص ٦٤ ، ٦٥ .

[١٠٣] ارمينوس فامبرى – تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر – ص ٤٨.

كما أن الرواية الأخيرة عزت تسليم الملكة لسعيد بما يريد من خضوع بخارى له على سبيل المصالحة إلى انصراف رعيتها عنها الذين أعياهم طول حصار المسلمين لهم ومِنْ ثَمَّ ألجئت إلى عقد هذا الصلح من جديد مع سعيد بن عثمان .

وعندى أن الرواية الأولى ذكرت الأحداث فى نسق يجعلها مرشحة للقبول لدى الباحث أكثر من الأخيرة لأن قصد سعيد للصغد كان من باب رد الاعتداء وليس لحيازة البلاد كما هُوَ مفهوم من سياق الرواية الأولى لأنه لا يُتصور أن يقصد سعيد الصغد دون أن يأمن البخارية على رجاله كى لا يأتون من وراء ظهره وهذا هو المبرر المعقول لطلب سعيد من خاتون تسليمه الرهائن حسبما جاء فى الرواية الأولى .

لذلك كله نجزم بترجيحها لأن المرء لا يتصور تنكر سعيد لصلح عبيد الله بن زياد مع البخارية ولاسيما أن الأخير كان ما يزال فى السلطة يدبر لمعاوية أمر البصرة وهذا لامراء يسوء عبيد الله بن زياد فيلجأ إلى رفع أمره إلى الخليفة حتى ينعى سعيد عن خراسان وهذا ما لم تأت المصادر على ذكره ناهيك عن وجود اكثر من مسلم عالم بأحكام العهد ووجوب الوفاء به وهؤلاء لا يقبلون من قائدهم نقض عهدٍ لأمير مسلم كان أبرمه مع غير المسلمين اللهم إلا أن يكون ذلك بناء على مبرر معقول يجعل نقض العهد منسوباً إلى أعداء المسلمين وليس لهم وهذا ما كان .

وعلى كل حال فإن سعيداً ولىَّ وجهه بعد إحكـــام الصلـــح مـــع ملكـــة بخارى شطر قرقند والصغد وقـــام بحـــروب كثـــيرة وكـــان النصـــر حليفـــة ولم يكن بسمرقند يومذاك وأخذ مـــن ســـمرقند ثلاثيـــن ألفـــاً مـــن الرقيـــق وأموالاً طائلة .فلما وصل إلى بخارى أرســـلت الخـــاتون شـــخصاً وقـــالت : ما دمت قد عدت بالسلامة (فاعطنا تلك الرهـــائن .فقـــال إننـــى لـــم آمنـــك بعد فلتبق الرهائن حتى أعبر جيحون ، فلما عـــبر جيحـــون أرســـلت إليـــه ثانيا شخصاً فقال : انتظرى حتى أصل إلى مرو ، فلمـــا وصـــل إلـــى مـــرو قال : انتظرى حتى أصل إلى نيسابور فلمـــا وصـــل نيســـابور قـــال حتـــى أصل إلى الكوفة ومن هنالك إلى المدينـــة) [١٠٤] . فلمـــا وصـــل المدينـــة أمر الغلمان فحملوا السيوف والمناطق عنهم وأخذ واكـــل مـــا كـــان معـــهم ثياب ديباج ، وذهب ، وفضة جميعاً ، وأعطوهـــم الأكلمـــة عوضـــاً عنـــها وشغلوهم بالفلاحة .فضاقوا غاية الضيق وقـــالوا : اى هـــوان بقـــى لـــدى هذا الرجل لم يعاملنا به لقد أخذنـــا أرقـــاء ،ويكلفنـــا بالاعمـــال الشـــاقة . وما دمنا سنهلك فى الهوان فلا أقل مـــن أن نـــهلك بفـــائدة ،فدخلـــوا بيـــت سعيد وغلقوا الابواب وقتلوه وأســـلموا أنفســـهم للقتـــل وكـــان ذلـــك فـــى خلافة يزيد بن معاويـــة .

وهكذا كانت منية سعيد فى أمنيةٍ سعى إلـــى تحقيقـــها لـــدى معاويـــة فكانت خراسان الأرض التى فقد فيها احـــدى عينيـــة وهـــو يجـــاهد أهلـــها

---

(١٠٤) النرشخى - تاريخ بخارى - ص ٦٩ / ابن قتيبـــة - المعـــارف - ص ٢٣٢ ، ٥٥٥ / ابـــن عساكر - تاريخ دمشق - ج٢١ ص ٢٢٣ ، ٢٢٧ / النويرى - نهايـــة الارب - ج٢٠ - ص ٣٦١

مع الأحنف بن قيس ، وهى الولاية التى حكمـــها عامـــاً كـــاملاً ســـطر [١٠٥] فيه أمجاداً لم يسبقه إليها أحـــد ممـــن ولجـــوا خراســـان للجـــهاد والفتـــح فأرى ملكه بخارى رباطة جـــأش المســـلمين ومـــرَّغ أنفـــها فـــى الأوحـــال حين ألزمها بالخروج للسلام على كبار رجاله وقـــاده جيشـــه ليكـــون ذلـــك اعلاناً منها فى ملأٍ من رعيتها وجنـــد المســـلمين خضـــوع بلادهـــا لحكـــم الفاتحين وما جرت عادة ملوك هذه البلاد فعل ذلـــك لأحـــدٍ ممـــن حـــاربوهم أو هـــاجموهم [١٠٦] .

وكيفما كان الأمر فان عبيد الله بن زيـــاد عـــاد يدبـــر أمـــر خراســـان من جديد سنة سبع وخمسين للهجرة بأمر من معاويـــة بـــن أبـــى ســـفيان فظل بها حتى وفد أخوه عبد الرحمن سنة تســـع وخمســـين للـــهجرة إلـــى معاوية فلما لقى الخليفة قال له : (يا أمير المؤمنيـــن مالنـــا حـــق ؟ قـــال : بلى قال : فما ذاك ؟ قال : توليني ، قال : بالكوفـــة النعمـــان بـــن بشـــير ، وهو رجل من أصحاب رســـول الله (ﷺ) ، وعبيـــد الله بـــن زيـــاد علـــى البصرة ، وخراسان ، وعبـــاد ابـــن زيـــاد علـــى سجســـتان ، ولســـت أرى عملاً يشبهك إلا أن اشركك فى عمل أخيـــك عبيـــد الله . قـــال : أشـــركنى ، فإن عمله واسع يحتمل الشركة فولاه خراســـان) [١٠٧] قـــدَّم عبـــد الرحمـــن بن زياد قيس بن الهيثم بين يديـــه إلـــى خراســـان فـــألقى القبـــض علـــى اسلم بن زرعة وحين جاء عبد الرحمن إلـــى عملـــه أغرمـــه مـــالاً كثـــيراً

---

[١٠٥] ابن عساكر - تاريخ دمشق - ج٢١ - ص ٢٢٦ .

[١٠٦] النرشخى - تاريخ بخارى - ص ٦٥ ، ٦٦ .

[١٠٧] الطبرى - تاريخ الطبرى - ج٥ - ص ٣١٥ / ابن عساكر - تاريخ دمشق - ج٣٤-ص ٣٤٣

فقض مدة حكمة بخراسان يصرف جُلَّ عنايته إلى ترتيب أمورها الداخلية دون أن يقوم بحملات عسكرية يجاهد بها أعداء الإسلام مثلما فعل غير واحد من الولاة السابقين عليه في هذا البلد .

ولم يتأثر عبد الرحمن بن زياد بوفاة معاوية بن سفيان و استواء ولده يزيد بن معاوية على اريكة الخلافة في بادئ الامر حتى قتل الحسين بن علي رضوان الله عليهما فعزله الخليفة يزيد بن معاوية عن خراسان .

ولعل السبب في ذلك أن الخليفة رأى ازدياد غنى والية زيادة لا تتفق مع المدة التي قضاها أميراً على خراسان مِنْ ثَمَّ أراد أمير المؤمنين يزيد بن معاوية أن يعزل عبد الرحمن عنها وفي نفس الوقت لا يجعل هذا العزل يباعد بينه وبين الإفادة من التفاف آل زياد حول يزيد بن معاوية إذ كان في مسيس الحاجة إليهم بعد ما ارتكب أموراً زلزلت الأرض من تحت قدمية مثل قتل الحسين وواقعة الحرة .

وآية ذلك أن عبد الرحمن حين جاء دمشق لمقابلة يزيد بادئه بسؤاله له (كم قدمت به معك من المال من خراسان ؟ قال : عشرين ألف ألف درهم ، قال : إنْ شئت حاسبناك وقبضناها منك ، ورددناك على عملك ، وان شئت سوّغناك وعزلناك ، وتعطي عبد الله ابن جعفر [١٠٨] خمسمائة ألف درهم ، قال : بل تسوّغني ما قلت ،

---

[١٠٨] بن ابى طالب الهاشمى ، أمه أسماء بنت عميس ، هاجرت مع ابيه إلى بلاد الحبشة فأولدها عبد الله ، توفى رسول الله وعمر صاحب الترجمة عشر سنوات ، روى عن النبى (ﷺ) وعن أمه

ويستعمل عليها غيري . وبعث عبد الرحمن بن زياد إلى عبد الله بن جعفر بألف ألف درهم ، وقال : خمسمائة ألف من قبل امير المؤمنين ، وخمسمائة ألف من قبلي (١٠٩) .

إتضح لك مما تقدم أن والى خراسان بعد أن حقق ما يريد من الغنى فضل عزله عن إمارتها على إعطاء ما أخذ من المال لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية وهو الذى كان بالأمس يسأل عمه معاوية ولاية عمل من الأعمال مما يدعم صحة ما ذهبتُ إليه من أن والى خراسان صرف همه بها إلى جمع المال وإرهاق وجهاء رجالها من أمرهم عسرا .

وعلى كل حال فإن يزيد بن معاوية أراد أن يبقى على حكم خراسان فى آل زياد فاستدعى سَلْمًا وكان يبلغ من العمر أربعاً وعشرين سنة فقال له يزيد يا ابا حرب ، أوليك عمل أخويك : عبد الرحمن وعبّاد فقال : ما لأحبَّ أمير المؤمنين فولاه خراسان و سجستان فوصاه بقوله (إن أباك كفى أخاه عظيماً وقد استكفيتك صغيراً ولا تتكلن على عذرٍ منى فقد اتكلت على كفايةٍ منك ، وإياك منى قبل أن أقول إياى منك ، فإن الظن إذا أخلف منك ، وأنت فى

وعمه على بن أبى طالب وغيرهم ، توفى سنة ثمانين هجرية على أرجح الأقوال الواردة فى وفاتة .ابن حجر - التهذيب - ج٥ - ص ١٧٠، ١٧١.

(١٠٩) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج٥ - ص٣١٦ ، ابن عساكر - تاريخ دمشق -ج٣٤- ص٣٤٣ ، ٣٤٤.

أدنى حظك فابلغ أقصاه ، وقد أتعبك أبوك فلا يــــزح نفســك ، واذكــر فــى يومك أحاديث غـــدك [١١٠].

فامير المؤمنين أراد شحذ همة واليـــــه الشـــاب فـــى الجـــهاد فذكـــره بالأمجاد العظيمة التى حققتها أبوه فـــى ميـــادين حـــرب الـــترك وغـــيرهم وقد صدقت فراسة يزيد بـــن معاويـــة فـــى واليـــه الجديـــد فانـــه احســـن الاعداد والاستعداد للجهاد كمــا سُــنبينه .

لم تلق ولاية سلم ترحيبا من قبل أخيه عبّــاد بـــن زيـــاد الـــذى كـــان يزيد بن معاوية جعل سجستان إليه فحين علم أن أخـــاه صـــار واليـــاً علـــى عمله عمد إلى ماله فقسمه على عبيده والكثيرين مـــن اهـــل العمـــل واتـــى يزيد بن معاوية فى دمشق فسأله (أين المـــال : قـــال عبـــاد كنـــت صـــاحب ثغرٍ فقسمت ما أصبت بيـــن النـــاس) [١١١]

لم تؤثر هذه المواقف على ولايـــة ســـلم خراســـان وسجســـتان ذلـــك أنه أنتخب من أهل البصـــرة أكفـــاء الرجـــال والفرســـان وعلـــى رأســـهم المهلب بن أبى صُفـــرة فلمـــا وصـــل الوالـــى خراســـان علـــم أن الملـــوك المناوئين للوجود الإســـلامى دأبـــوا علـــى الإجتمـــاع فـــى فصـــل الشـــتاء للتشاور وتجديـــد المعـــاهدات بقصـــد التصـــدى للزحـــف الإســـلامى علـــى بلادهم فكان المسلمون يطلبون إلى امرائـــهم غـــزو تلـــك المدينـــة التـــى اعتادوا الاجتماع بها فيأبون عليهم ، فلما قدم ســـلم خراســـان غـــزا فشـــتا

---

(١١٠) ابن عساكر – تاريخ دمشق – ج٢٢ – ص ١٤٣ .

(١١١) الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج٥ – ص ٤٧٢ .

فى بعض مغازية ، فـألح عليه المهلب وسأله أن يوجهه إلـى تلـك المدينة ، فوجهه فـى ستة آلاف - ويقال أربعة آلاف - فحاصرهم ، فسألهم أن يذعنوا بالطاعة ، فطلبوا اليه أن يصالحهم علـى أن يفدوا انفسهم،فأجابهم إلى ذلك،فصالحوه على نيف وعشرين الف الف [١١٢]

كانت ما تزال الامور بين الفاتحين المسلمين وخاتون ملكة بخارى متذبذبة ما بين صلح عقب قهرٍ وما بين نقض للعهد إذا وجد البخاريون النصير الذى يشد من أزرهم أن هم أرادوا التصدى للمسلمين .

فقد رأينا أكثر من مرة خاتون ملكة بخارى تتنكر للصلح الذى أبرمته مع السابقين على سلم ثم تطلب العيش من جديد بالشروط التى يفرضها المسلمون عليها .

حدث ذلك بعينه حين أراد سلم عبور النهر وصالح أهل سمرقند ففزعت خاتون من قدومه وأرسلت إلـى طرخون ملك الصغد تعرض عليه الزواج بها نظير قدومة إلى بلادها برجاله لدفع المسلمين عن بخارى فجاء طرخون فى مائة وعشرين الف رجل وجاء بيدون أيضا من التركستان مع عسكر كثير وكانت الخاتون قد عقدت صلحاً مع سلم وفتحت أبواب المدينة وأبواب القصر الخارجى أيضاً . فوصل بيدون ونزل على الضفة الأخرى لنهر خرقان (خرقان رود) فأخبروا سلم بأن بيدون وصل ، وأن الخاتون بايعته وأغلقوا أبواب المدينة

---

(١١٢) الطبرى -تاريخ الرسل والملوك - ج٥ - ص ٤٧٣ .

.فبعث سلم بن زياد بشخص إلى المهلب وقال : (قل له يذهب ويرى هذا العسكر ما مقداره وان يعد ما يلزم للاستطلاع) .

أنف المهلب القيام بهذه المهمة التى لا يضطلع بها الا صغار الجند فحاول اقناع سلم استبداله بغيره فاخفق فى ذلك وقبِلَ القيام بهذه المهمة الاستطلاعية التى انتخب له فيها سلم رجالاً يمثلون مختلف الجماعات بالجيش الإسلامى صار المهلب محجوباً عن أعين الأعداء بالظلام الدامس الذى لف أرجاء المكان وكاد يأتى سلماً وقد حقق النجاح فى مهمته التى أوفده اليها .

بيد أن أمير خراسان حين استقبل فجر يومه التفت لجنده فقال لهم (لقد أرسلت المهلب ليلة أمس للاستطلاع ، ففشا الخبر فى العسكر وسمع العرب وقالوا : (إنه أرسل المهلب ليصيب من الغنيمة أكثر منا ولو كانت الحرب قائمة لأرسلنا معه) فأسرع جمع بالركوب ، وذهبوا إثر المهلب حتى ضفة النهر ، فلما أبصرهم المهلب قال : (أخطأتم إذ قدمتم ، كنت مُستخفياً وهاهم يأتون علانية والآن يأخذ الكفار الجميع ، وأحصى المهلب المسلمين فكانوا تسعمائة ، فقال : (والله لتندمن على ما فعلتم) وعندئذ اصطفوا ورآهم طلائع عسكر بيدون فأسرع المسلمون بنفخ البوق وركبوا جميعاً فى آن واحد واصطفوا ، وحمل عليهم ملك الترك فهزمهم وقتل منهم أربعمائة (١١٣)

---

(١١٣) النرشخى – تاريخ بخارى – ص ٧٠ ، ٧١ .

تمكن المهلب من تدارك أمره والحاق الهزيمة بعدوه بعد الخطأ الذى وقع فيه أميره سلم بن زياد فأفاد المهلب من النجدات التى وصلته فى اليوم التالى لهزيمة المسلمين على يد ملك الترك فانقلب المهلب على أعدائه فحصد رؤسهم وأغنم اخوانه الجند المسلمين أموال الترك والبخاريين فبلغ نصيب الفارس المسلم ألفين وأربعمائة درهم وقيل عشرة آلاف .

فأرسلت الخاتون شخصاً وطلبت الصلح فصالحها سلم وأخذ أموالاً عظيمة [١١٤] وهكذا كادت العصبية القبلية والتنافس بين الجماعات الإسلامية أن يتسببا فى هزيمة المسلمين لولا التوفيق الذى مشى فى ركاب القائد المسلم المهلب بن أبى صفرة .

لم يستوعب المسلمون الدرس حق الاستيعاب فقادت الكثرة الحربية الجاهلة بعواقب الأمور الفاتحين إلى صراع قبلى أكل بناره أمجاد الفاتحين وعطل الزحف الإسلامى على الأتراك والصغد المتربصين وشغل الجميع بالعصبية عن الزحف على أعداء الدولة الإسلامية .

ولعل الذى نفخ فى نيران العصبية فزادها اشتعالاً وجود الفراغ السياسى الذى مرت به الدولة الإسلامية عقب وفاة يزيد ثم معاوية الثانى فكان ما كان من أمر خراسان عندما عاشت الحقبة الفاصلة بين عهدى السفيانيين والمروانيين

---

(١١٤) النرشخى - تاريخ بخارى - ص ٧١ / ارمينوس فامبرى تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى العصر - ص ٦١ .

• خراسان بين عـــهدين

من الطبعى أن تتأثر خراسان بالصراع للـــذى دار بيـــن ابـــن الزبـــير وغيره من أفراد البيت الأموى الذين كانوا حتى خلافـــة يزيـــد بـــن معاويـــة يمسكون بزمام الأمور يرتكـــن إليـــهم ولاتـــهم بالأمصـــار وهـــم يدبـــرون شئونها فإذا بهم بعد تنازل معاوية الثانى لا يعرفـــون لـــهم خليفـــة يـــأمرهم أو ينهاهم فراح كل وال من ولاة الدولة يتعـــامل مـــع هـــذا الفـــراغ طبقـــا لطبيعة أهل المصر الذى يحكمـــــه .

فعبيد الله بن زياد والـــى البصـــرة علـــى ســـبيل المثـــال لا الحصـــر حصل على بيعه البصريين له بالإمارة بعدما عدد لـــهم أياديـــة عليـــهم فلـــم تكد تمضى سوى عشية أو ضحاها حتـــى صـــارت آمالـــه وأمانيـــة ســـرابا فقد نفض البصريون أياديهم مـــن بيعتـــه وأســـلموا أمرهـــم لمناوئـــه ابـــن الزبير [١١٥]ومع ذلك ظل عبيد الله بـــن زيـــاد يجـــهد نفســـه لرتـــق الفتـــق الذى أصاب وحدة مصره حتـــى ألجـــأ إلـــى التـــوارى عـــن الأنظـــار فـــلاذ بالفرار أما أخوه سلم بن زياد والى خراســـان فإنـــه كـــان أرســـل عبـــد الله ابن خازم إلى يزيـــد بـــن معاويـــة قبـــل وفاتـــه ببشـــارة الفتـــح والغنـــائم الوفيره فإذا بأمير خراسان ولما يأته بعد مبعوثـــة يعلـــم بنبـــأ وفـــاة يزيـــد ثم معاوية الثانى فكتم الأمر لفترة من الوقت ثم دعـــا النـــاس إلـــى البيعـــة على الرضا حتى يستقيموا علـــى خليفـــة فبـــايعوه وكـــانوا يحبونـــه حتـــى

---

[١١٥] الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج٥ – ص ٥٠٤/ ابن الاثير – الكـامل – ج٤ – ص ١٣١ ، ١٣٢.

أنهم سموا فى سنى ولايتـــه أكـــثر مـــن عشـــرين ألـــف مولـــود ســـلما . وأقاموا على بيعته شهر ثم تكثوا ، فخرج عـــن خراســـان وخلـــف عليـــها المهلب بن ابى صفرة ، فلقى عبد الله بن خازم ســـلما فقـــال لـــه : (اكتـــب لى عهدا على خراسان ، فكتب له فقال :أعنـــى الآن بمائـــة ألـــف درهـــم ، ففعل) [١١٦] وكان ســـلم قـــد اســـتخلف أكـــثر مـــن واحـــد علـــى منـــاطق خراسان فولى سليمان بن مرثد على مـــرو الـــروز والفاريـــاب والطالقـــان والجوزجان وولى أوس بن ثعلبة بن زفر هـــراه [١١٧] فـــأنت تـــرى الفـــرق السياسى بين الاخوين ماثلا للعيان فعبيـــد الله بـــن زيـــاد أكلتـــه العصبيـــة بنيرانها دون أن يتسبب فى نشوبها بينما ســـلم أشـــعل نيرانـــها بتصرفاتـــه حين عهد بالبلد لأكثر من واحد . وما كان ينبغى لـــه أن يفعـــل فـــى مثـــل هذا الظرف الدقيق الذى تمـــر بـــه الدولـــة الإســـلامية بعامـــة وخراســـان بخاصة راح كل واحد من المعهود اليـــهم مـــن قبلـــه يســـلك ســـبلا شـــتى لكبح جماح منافسية والاستئثار بـــالأمر لنفســـه .

فكانت تلك بمثابة فرصة سانحة اهتبلها عبـــد الله بـــن خـــازم ســـالف الذكر ليعود من جديد إلى لعـــب دور سياســـى وعســـكرى فـــى خراســـان . فسار بعهده يريد مرو الـــروز فلمـــا علـــم المـــهلب بقدومـــه ولـــى مـــرو الأنبار واستخلف عليها جشم بن سعد التميمـــى فـــدارت بينـــه وبيـــن عبـــد الله بن خازم معركة دفع فيها الجشمى حياتـــه ثمنـــا للدفـــاع عـــن مـــرو .

---

[١١٦] ابن الجوزى – المنتظم – ج٤ – ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

[١١٧] ابن الاثير – الكامل – ج٤ – ص ١٥٥

وبعد أن فرغ ابن خازم من الجشـمي سـار برجالـه يريـد سليمان بـن مرثد الذى كان ولاه سلم بن زياد بعضاً من منـاطق خراسـان فقتلـه ابـن خازم وأخاه عمراً بن أبى مرثد ليولى عبـد الله بـن خـازم وجهـه شـطر منافس آخر هو أوس بن ثعلبة والى هـراة مـن قبـل سـلم بـن زيـاد . وهذه المنطقة لاذ اليها كثـير مـن الرجـال الذيـن جَرَّعـهم ابـن خـازم كئوس الهزيمة وهو ينتزع من أيديهم مدن خراسان واحـدة بعـد أخـرى

ومِنْ ثمَّ كثر أتبـاع أوس بـن ثعلبـه فحسـبوا أن كثرتـهم تجعـل النصر على ابن خازم منهم قاب قوسين أو أدنى فـأقبل أهـل هـراة ومـن معهم على أوس بن ثعلبة وهم يقولون له : (نبـايعك علـى أن تسـير إلـى ابن خازم وتخرج مضر من خراسان كلها ، فقال لـهم : هـذا بغـى واهـل البغى مخذولون ، أقيموا مكانكم هذا ، فإن ترككـم ابـن خـازم - ومـا أراه يفعل - فارضوا بهذه الناحية وخلوة وما هو فيـه ، فقـال بنـو صـهيب : لا والله لا نرضى أن نكون نحن ومضر فى بلده وقـد قتلـوا ابـن مرثـد ، فإن اجبتنا إلى هذا وإلا أمرّنا علينا غيرك ، قال : انمـا أنـا رجـل منكـم ، فاصنعوا ما بدالكم ، فبايعوه ، وسار إليـهم ابـن خـازم واسـتخلف ابنـه موسى على ما حاز من البلاد بخراسان وأقبل حتـى نـزل علـى واد بيـن عسكره وبين هراة) [١١٨] لتدور بين الفئتيـن معركـة ضـروس اسـتمرت عاماً كاملاً فأراد أحد العقلاء معسكر ابن خـازم وضـع حـد للدمـاء التـى

---

(١١٨) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج٥ - ص ٥٤٥ : ٥٤٧، ٥٥١ ، النويرى - نهاية الارب - ج٢٠ - ٥١٤.

تسفك فى كل يوم من الفريقين فعرض علـــى ابـــن خـــازم أن يقـــوم لـــدى أوس لسفارة لعله يســـتطيع بـــها درء بـــاب الفتنـــة القبليـــة فـــإذا ببنـــى صهيب وهم ممن أججوا نيران العصبيـــة بـــهراة ويســـعون إلـــى التعجيـــل بالمواجهة العسكرية بينهم وبين ابن خـــازم فقـــالوا لمبعـــوث ابـــن خـــازم (و الله لولا انك رسول لقتلناك . قال فما يرضيكـــم شـــيئ ؟ قـــالوا "واحـــدة من اثنتين ، اما أن تخرجوا من خراسان وإمـــا أن تقيمـــوا وتخرجـــوا لنـــا كل سلاح وكراع وذهب وفضـــة) .

فلما عاد رسول ابن خازم اليه يجرذيول اخفاقـــه فـــى مســـعاه أيقـــن ابن خازم أن لا مناص مـــن تحكيـــم الســـيف بينـــه وبيـــن هـــذه الجمـــوع الكثيفة المتحصنة بهراة فلســـتدرجهم خـــارج مدينتـــهم إلـــى معركـــة دارت فيها الدائرة على أوس بن ثعلبة الذى هام على وجهـــه حتـــى وصـــل إلـــى سجستان و فيها وافته منيته أو قريبا منها . وقتل ابـــن خـــازم مـــن بكـــر يومئـــذ ثمانيـــة آلاف فدخل هراة وجعـــل عليـــها ولـــــده محمـــداً ابن عبـــد الله [١١٩]

ولعل السبب الذى جعل النصر يلمس فـــى ركابـــه هـــذه المـــرة أنـــه لقى منافسية فى ولاية خراســـان واحـــداً بعـــد آخـــر وأنـــه كذلـــك ينتمـــى لقبيلة مُضر وهذه كان إلى رجالها لعب دور كبـــير فـــى شـــدّ أركـــان حكـــم الولاة السابقين بخراسان وهذا لامـــراء يُكســـب ابـــن خـــازم قـــوة أســـتند

---

[١١٩] الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج٥ - ص ٥٤٨ : ٥٥١ النويرى - نهاية الارب - ج٢٠ ص ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ .

اليها وهو يخطو خطواته الاولى فى السيطرة علـى خراسـان بعـد خـروج سلم منها ناهيك عن الخبرة العسكرية والحنكـة السياسـية اللتيـن عـرف بهما ابـن خـازم فيمـا سـبق مـن أحـداث جسـام وقعـت علـى أرض خراسـان.

وكيفما كان الأمر فإن عبد الله بن خـازم لـم يـهنأ طويـلاً بصفـاء سماء خراسان لـه فسـرعان مـا ودعـت صفاءهـا حيـن حنـق عليـه أصهاره التميميون فإن هـذه القبيلـة كـانت شـايعته فـى موقفـه مـن مناوئية من بكر وربيعة والذين داروا فى فلكـهما فكـانوا عـاملاً مباشـراً فى إحرازه الانتصار على أعدائه واحداً بعـد آخـر .

توقع بنو تميم بعد أن وضعـت الحـرب أوزارهـا بيـن ابـن خـازم وأعدائه جنىَ ثمار الانتصار بيد أن ذلـك غـدا سـراباً فقـد جفـاهم ابـن خازم فأثار ذلك حفيظتـهم فحسـبوا أن مكانـهم وسـلطانهم يتحقـق لـهم حين يأوون إلى هراة التى عليها محمد بـن عبـد الله ابـن خـازم لكـون أمه من بنى تميم فوجد التميميون أن محمـداً علـي سياسـة أبيـه فقـد أمسك برجلين تميميين و ألـهب ظهريـهما بالسـياط حتـي غيبـهما عـن الحياه فكانت تلـك مـع سـابقتها مُبلغـة قلـوب التميميـون الحنـاجر و جعلتهم يغلون من الداخل غليان المرجل يـترقبون فرصـة لنيـل الوتـر و قد واتتهم حين كان محمد يتصيد فأمسكوا بـه و شـدوه وثاقـا و شـربوا ليلتهم ، و جعل كلما أراد رجـل منـهم البـول بـال عليـه ، فقـال لـهم

شماس : أما إذ بلغتم هذا منه فاقتلوه بصاحبيكما اللذين قتلهما بالسياط (١٢٠)

أخذ التميميون بنصيحة شماس فعصفوا برأس محمد بن عبد الله بن خازم ليس هذا فحسب بل اتصلوا ببني سعد و كان ابن خازم و ترهم حين كان يحارب مناوئية فقال لهم التميميون لقد أخذنا بثأركم فقتلنا محمدا بن عبد الله بن خازم و سألوهم المؤازرة حتي يضعوا حداً لنفوذ عبد الله بن خازم بخراسان فأجابهم بنو سعد الي طلبهم و أسلموا المقادة لحريش بن هلال القريعي الذي كشف جمعة و ظاهره رجال الواحد منهم بكتيبة فرسان مثل شماس بن دثار سالف الذكر و بجير بن ورقاء الصريمي و غيرهما فالتقوا بابن خازم في معركة استمرت عامين لم يستطع كلاهما خلال هذه المدة احراز النصر علي صاحبه فخرج الحريش من معسكره و نادي علي ابن خازم فخرج اليه فقال : (قد طالت الحرب بيننا ، فعلام تقتل قومي و قومك ! ابرز لي فأينا قتل صاحبه صارت الأرض له ، فقال ابن الخازم : و أبيك لقد أنصفتني ، فبرز له ، فتصاولا تصاول الفحلين ، لا يقدر أحد منهما علي ما يريد . و تغفل ابن خازم غفله و ضربه الحريش علي رأسه فرمي بفروة رأسه علي وجهه) (١٢١) و بعد انقضاء ثلاثة أيام علي هذه الحادثة التي وقعت لابن خازم عاد الفريقان من جديد لتحكيم

---

(١٢٠) الطبري – تاريخ الرسل و الملوك – ج٥ – ص ٦٢٣/ ابن الاثير – الكامل – ج٤ – ص ٢٠٨

(١٢١) الطبري– تاريخ الرسل والملوك –ج٥ – ص ٦٢٤–٦٢٥/ ابن الأثير الكامل– ج٤– ص ٢٠٨

السيف بينهما فدارت الدائـرة علـي الحـرش و شـيعته و تفرقـوا ثـلاث فرق علي وجوها هنا و هنـــاك .

أما قائدهم الحرش فإنه لاذ بالفرار و من ورائــه ابـن الخـازم فلمـا وقع بصر الحرش عليه قال له (مـا تريـد إلـيَّ وقـد خليتـك و البـلاد ! قال إنك تعود اليها ، قال : فاني لا اعـود فصالحـه علـي أن يخـرج لـه من خراسان و لا يعود إلـي قتالـه) [١٢٢]

لم ينعم ابن خازم طويلاً بعد الصلـح الـذي أبرمـة مـع الحريـش و الذي كان يأمل منه أن يصفو لـه حكـم خراسـان إذ سـرعان مـا تجمـع سبعون رجلاً من بني تميم ممـن كـانوا هـاموا علـي وجوهـهم و هـم يحاربون ابن خازم بقياده الحريش قبل فرارة أمـام ابـن خـازم و أقسـموا لينالن وتر قتلاهم من ابن خازم و جعلوا أمرهم الـي عثمـان بـن بشـر و تحصنوا بقصر فرتنا فلما علم عبد الله بـن خـازم بـأمرهم عجـل السـير إليهم و طفـق الفريقـان يتناوشـان و كـان سـهل يـوم يمضـي علـي التميميين يزيد من وطأه حصارا بن خازم لـهم حتـي أنـهم فكـروا غـير مرة في مطالبه ابن خازم الإذن لـهم بـالتفرق دون قتـال .

و كان زهير بن ذؤيب و هو من أشجع فرسـان بنـي تميـم خاصـة و خراسان بعامه قد حذرهم من غائلة نزولهم علـي حكـم ابـن خـازم لأن هكذا خضوع سيلحقهم بـالأموات فقـال زهـير (سـكلتكم أمـهاتكم ! و الله ليقتلنكم عـن آخركـم و أن طبتـم بـالموت نفسـاً فموتـوا كرامـاً ،

---

[١٢٢] الطبري - تاريخ الرسل و الملوك - ج٥ - ص ٦٢٥ .

اخرجوا بنا جميعا فإمـــا أن تموتــوا كرامــا و إمــا أن ينجــوا بعضكــم و يهلك بعضكم ،و أيم الله لئن شددتم عليـــهم شـــده صادقـــة ليفرجُـــن لكـــم ، فان شئتم كنت أمامكم ، و إن شئتم كنت خلفكـــم . فـــأبوا عليـــه) [١٢٣]

لم يلق رأى زهير قبولاً لدي التميميـــين المتحصنيـــن بفرتنـــا لأنـــهم علي حد اعتقادهم إن تبعوه تجرعـــوا كئـــوس المـــوت بـــلا ريـــب فكـــثرة جنود ابن خازم و الإنتصارات التـــي أحرزهـــا علـــي منافســـية فـــي حكـــم خراسان كما أسلفنا و مصالحــــه الحريـــش لـــه و غيرهـــا مـــن المواقـــف التي تناقلتها السنة الخراسانيين عن بطولـــــه هـــذا القـــائد جعلـــت الرعـــب يدب في افئده التميميين ففضلوا النزول علي حكـــم ابـــن خـــازم أنـــي كـــان علي تحكيم الحسام بينهم و بينه فقالوا لزهير (إنـــاً نضعـــف عـــن هـــذا و نطمع في الحياة . فقال: لا أكون أعجزكـــم عنـــد المـــوت . فـــنزلوا علـــي حكم ابن خازم ، فأرسل إليهم فَقَيَّدهم و حملوا اليـــه رجـــلاً رجـــلاً ، فـــأراد أن يمن عليهم فأبي عليه ابنــــه موســـي و قـــال لـــه : إن عفـــوت عنـــهم قتلت نفسي) فقتلهم ابن خازم جميعـــا إلا ثلاثـــة رجـــال كـــانت لـــهم أيـــاد علي ابن خازم من ثم عفا عنهم) كان ابـــن خـــازم و هـــو فـــي صراعـــه مع أصهاره التميمين يرقب بعينية زهـــير بـــن ذؤيـــب فـــيري مـــن دروب شجاعتة ما أدهشه فـــهو فـــي الحـــرب بـــألف رجـــل فحـــاول غـــير مـــرة استمالته قبل نزول التميميين علي حكمـــة فـــأخفق فلمـــا حُمـــل إليـــه مـــع التميمين أراد أن يُبقى على حياته ليشد به أركـــان حكمـــه فـــي خراســـان

---

[١٢٣] ياقوت الحموي – معجم البلدان – ج٦ ص ٤٢٣ / ابن الاثير الكامل – ج٤ – ص ٢٥٥

من ناحية ويرهب به أعداء الدين من ناحية اخرى فقال ابن خازم لذهير بن ذؤيب وهو معتقل بين يديه (كيف شكرك إن اطلقتك وأطعمتك ميسان [١٢٤] ؟ قال : لو لم تصنع بى الا حقن دمى لشكرتك : فلم يمكنه ابنه موسى من إطلاقه ، فقال له أبوه : ويحك نقتل مثل زهير ! مَنْ لقتال عدو المسلمين ؟ مَنْ لحمى نساء العرب ؟ فقال : والله لو شركت فى دم أخى لقتلتك ! فأمر بقتله . فقال زهير :أن لى حاجه ، لا تقتلنى ويخلط دمى بدماء هؤلاء اللئام فقد نهيتهم عما صنعوا وأمرتهم أن يموتوا كراماً ويخرجوا عليكم مصلتين ، و أيم الله لو فعلوا لأذعروا بُنيّك هذا وشغلوه بنفسه عن طلب ثأر أخيه ، فأبوا ، ولو فعلوا ما قُتل منهم رجل حتى يُقتل رجالاً فأمر به ابن خازم فقتل ناحية)[١٢٥]

اتضح لك مما تقدم أن ابن خازم قد انقاد لرأى ابنه فى موقفه من الخارجين عليه وهذا خطأ كبير ما كان لمثل ابن خازم وهو مَنْ هُوَ فى تجاربة وحنكته الوقوع فيه فإن موسى نظر إلى الأمر نظرة مَنْ يريد بسط سيطرته على المحيطين به بالقوة دون ما عداها وهذا بلا ريب لا يديم حكم حاكم لمحكوميه بقدر ما ينفر قلوب الرعية منه ويجعلها تأبى الانقياد له ولا سيما إن كان الخارجون عليه من ذوى

---

[١٢٤] بالفتح ثم السكون وسين مهملة وآخرة نون : اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان . ياقوت الحوى – معجم البلدان – ج٨ – ص ٣٥٤ .

[١٢٥] الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج٦ – ص ٧٩ ، ٨٠ / النويرى – نهاية الارب – ج٢١ – ص ٦٥ ، ٦٦.

الشكيمة مثل التميميين فلو أن ابن خـــازم شــملهم بعفــوه فــأبقى عليــهم بعد إعتقالهم لكان بحق من القادة العظــام الذيــن تنقــل أخبــارهم الركبــان إلى كل مكان وضمن بالتالى اطفاءنا العصبية التــى أكلــت بنارهــا وجــهاء فرسان بنى تميم وغيرهم من بواسل العرب فــى هــذا الاقليــم الــذى كــان فى مسيس الحاجة إلى وجودهم ليكبح جماح كل عـــدو يــأنس مــن نفســه قوةً تستطيع النيل من المســلمين .

لقد دفع ابن خازم نفسه حياتــه ثمنــاً لا نقيــاده لولــده موســى دون تدبر فإن التميميين لم ينسوا له ما فعله ببنــى قبيلتــهم فانشــأوا يتحركــوا شوقاً لنيل وترهم من ابن خازم وقد واتتهم تلــك الفرصــة عندمــا آل أمــر الأمة الإسلامية إلى عبد الملك بن مروان الــذى اخــذ يعمــل علــى جمــع شمل الامة الاسلامية تحت راية خليفة واحــد فبعــد نجاحــه فــى القضــاء على مصعب بالعراق شخص ببصــره إلــى خراســان التــى كــانت تديــن بالطاعة لابن الزبير فأرسل عبد الملك رسولاً فــى ســنة اثنتيــن وســبعين إلى عبد الله بن خازم يدعوه إلى بيعتــه علــى أن يقطعــه خراســان ســبع سنوات فلما لقى ابن خازم رسول عبد الملك قال لــه (بعثــك أبــو الذبــان[126] والله لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتك، ولكنى كُــل كتابــه فأكلــه)[127]

لما وجد عبد الملك أن ابن خازم لن ينقــاد لــه ولــىَّ وجهــه شــطر الرجل الثانى بخراسان (بكير بن وشاح نــائب ابــن خــازم علــى مــرو) لعله يستطيع به ومن خلاله التخلــص مــن العقبــة الكئــود المتمثلــة فــى

---

[126] لقب بذلك عبد الملك لبخر كان فى رفيه فإذا مر الذباب على باب فمه مات من شدة نتنبــة - القرمانى - اخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ - ج٢ - ص ٢٠ .

[127] ابن كثير - البداية والتاريخ - ج٨ - ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

ابن خازم تلك التى تحول بيـــن عبـد الملـك وبيـن ضـم خراســان إلـى الأقاليم الخاضعة له فأرسل ابن مروان رسولاً إلى بكـير بـن وشــاح يعـده ويمنيه بحكم خراسان إن هُوَ خلع طاعة ابن خـــازم ونجـح فـى الإجهاز عليه .

وجد بكير فى هذا العـرض فرصــة لا تُفـوت فشـق عصــا الطاعـة على ابن خازم الذى ما إن علم بذلك فرَّ بمـــن معــه مـن الرجــال للحـاق بابنه موسى فى الترمذ[128] حتـــى يتقـوى بــه وهـو يواجـه بكـير بـن وشاح وبينما هُو فى الطريق دارت بين ابـن خـازم ومناوئيــة مـن بنـى تميم وغيرهم معركةٌ قتل فيها ابن خازم على يد رجـلٍ مـن تميـم فنسـب بكير بن وشاح قتل الرجل إلي نفسه و هزيمته إلـي رجالـه و هـو الـذي لم يكن قد غادر مرو بعد فأخذ رأس ابن خازم قـهراً ممـن قتلـوه وارسـل بها إلى الخليفة عبد الملك بن مروان ليجعـل لـه أمـر خراسـان حسـبما كان وعده بــه [129] .

فكانت ولاية بكير أول ولايــة للأسـرة المروانيـة علـي خراسـان و هذه الولاية كمـا رأي القـارىء جـاءت عقـب فتـن متراكمـة و نـيران متأججة خربت الديار ، و أهلكـت الحـرث و النسـل و جعلـت المسـلمين في خراسان في شغل شاغل عن محاربــة عدوهـم .

و إني لا أجــافي الحقيقـة حيـن أقـول أن الحقبـة التـي شـهدتها خراسان بين عهدي السفانيين و المروانيـين أسسـت للعصبيـة القبليـة ،

---

[128] تقع شمال مضيق نهر جيحون ، وبالقرب من ملتقى نهر زامل ، وكانت فى غاية الحصانــة ، غزاها الماغول سنة (٦١٧ هـ - ١٢٢٠م) كى لسترنج - بلدان الخلافة الشرقية - صـ ٤٨٤.

[129] الطبرى -تاريخ الرسل والملوك - ج٦ - ص ١٧٦ ، ١٧٧ / ابن كثير - البداية والنهايــة - ج٨ -ص٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ابنى خلدون للعبر - ج٣ - ص ٤٨.

تلك التي ظلت تؤثر علي مُجريـــات أحـــوال أمـــراء خراســـان فـــي العـــهد المرواني و علاقاتهم برعيتهم المقيمين علـــي أرضـــها حتـــي كـــانت هـــذه العصبية من أهم الأسباب بل من أهم نقاط الضعـــف التـــي أهتبلـــها أعـــداء الدولة الأموية بعد ذلـــك ، فراحـــوا ينفخـــون فـــي نارهـــا حتـــي أهلكـــوا دولتهم بلهيبها كما سنري في الصفحات التالية و نحـــن نميـــط اللثـــام عـــن ولايتها واحدا بعد آخر خلال العـــهد المروانـــي .

الفصل الثالث

و لاة خراسان في العهد المرواني

لما مثلت رأس عبد الله بن خازم بين يدي عبد الملك أرسل إلى بكير بن وشاح عهداً بولاية خراسان سنة ثلاث و سبعين هجرية ، و كان الوالي الجديد و هو يحكم مصره يتوجس خيفة من بحير بن ورقاء الذي كان حز رأس ابن خازم كما قلنا و حازها على الرغم من اعتقاله له إذ كان لا يأمن علي نفسه من تربص عشيرة بحير به ، لنيل وترهم منه و من ثَمَّ أرسل إليه الوالي غير مرة يعرض علية الصلح و اعطائه مالا وفيرا يتقوي به فيأبي بحير قبول ذلك .

ظل بحير بن ورقاء علي موقفه من بكير بن وشاح حتي جاءه ضرار بن حصين الضبي ، فقال له (ألا أراك مائقاً !(١٣٠)

يرسل اليك ابن عمك يعتذر اليك و أنت أسيره ، و المشرفي في يده - ولو قتلك ما حبقت(١٣١) فيك عنز - و لا تقبل منه ! ما أنت بموفق إقبل الصلح ، و اخرج و أنت علي أمرك . فقبل مشورته ، و صالح بكيرا ، فأرسل إليه بكير بأربعين ألفاً وأخذ على بحير ألاَّ يقاتله . (١٣٢)

---

(١٣٠) المأقة : ما يأخذ الإنسان عند البكاء كأنه نفس يقلعه من صدره ، شده الغيظ و الغضب .
ابن منظور - السان ج٤ - ص ٤١٢٠

(١٣١) الحبق ، ضراط المعز (أي صوتها) ابن منظور اللسان - مادتي حبق ، ضبط ج١، ج٣ ، ص ٧٥٧ ، ٢٥٧٩ .

(١٣٢) الطبري - الرسل والملوك - ج٦ - ص ١٩٩ .

وكانت العصبية القبلية أخذت فى الظهور من جديد بين بطون وعشائر التميميين فزمع بعض أهل خراسان إلى عبد الملك كتباً تصور لأمير المؤمنين سوء مآل الإقليم إن هو أبقى على عامله به بكير بن وشاح وأن الأجدى له استبدال قرشي به .

فلما وقف عبد الملك على حقيقة ما يدور بالإقليم قال فى جمع من خاصته ((خراسان ثغر المشرق ، وقد كان به من الشر ما كان وعليه هذا التميمى ، وقد تعصب الناس وخافوا أن يصيروا إلى ما كانوا عليه فيهلك الثغر ومَنْ فيه ، وقد سألوا أن أُولِّيَ أمرهم رجلاً من قريش فيسمعوا له ويطيعوا))

فقال أميه بن عبد الله : (يا أمير المؤمنين ، تداركهم برجل منك ، قال لولا انحيازك عن أبى فديك [١٣٣] كنت ذلك الرجل قال : يا لأمير المؤمنين ، والله ما انحزت حتى لم أجد مقاتلاً ، وخذلنى الناس ، فرأيت أن انحيازى إلى فئة أفضل من تعريض عصبة بقيت من

---

(١٣٣) هو عبد الله بن ثور المشهور بأبى فديك ، كان ممن خاطبوا ابن الزبير لينضموا إليه فى ثورته فلم يتحقق لهم ذلك عن رفض ابن الزبير قبول التهم التى اتهم بها الخوارج عثمان بن عفان رضوان الله عليه فآوى إلى اليمامة .

ولما استفحل عوده خرج بالبحرين فأرسل إليه عبد الملك فى سنة اثنتين وسبعين جيشا عليه أميه بن عبد الله فكانت تلك الهزيمة التى أشار إليها عبد الملك ففر أميه إلى البصره فوصلها بعد ثلاث هائما على وجهه يطلب النجاه من الخوارج بقيادة أبى فديك .

الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج٥ ، ج٦ ص ٥٦٦ ، ص ١٧٤ / ابن عساكر – تاريخ مدينة دمشق – ج٩ – ص ٢٩٣ .

المسلمين للهلكه ، وقد علم ذلك مُرار بن عبد الرحمن بن أبى بكرة وكتب إليك خالد بن عبد الله بما بلغه من عذرى [١٣٤]

مال عبد الملك إلى تولية ثغر خراسان إلى أميه بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أميه الأموى المكى ، وقيل المدنى . [١٣٥]

والوالى المذكور أمه حجير بنت شيبة بن عثمان بن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي [١٣٦]

روى عن ابن عمر وروى عن أمية عبد الله بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث وأبو إسحاق والزهرى وغيرهم وهو من التابعين على الراجح [١٣٧]

والوالى المذكور ينتمى إلى أسرة لها تاثير عظيم على مجريات الأحداث فى تاريخ الدولة الإسلامية فى الحقبة السابقة فمن أسرته كان والى رسول الله- صلى الله عليه وسلم - على مكة عتيب بن أسيد [١٣٨]وزياد بن أبيه استعمل عبد الله والد اميه سالف الذكر على فارس وخالد اخو أميه صاحب يوم الجفرة ، [١٣٩] وقد كان وأميه

---

[١٣٤] الطبرى - الرسل والملوك - ج٦ - ص ٢٠٠ .

[١٣٥] ابن عساكر - تاريخ دمشق - ج٩ - ص ٢٩٢ ،ه ٢٩٣ .

[١٣٦] الزبير بن بكار - نسب قريش - ص ١٩٠ / الذهبى اسير أعلام النبلاء - ج٥ - ص ٢٥٢ / ابن حجر - تهذيب التهذيب - ج١ - ص ٣٧١ .

[١٣٧] ابن عساكر -تاريخ دمشق - ج٩ - ص ٢٩٣ .

[١٣٨] الصالحى - سبل الهدى والرشاد - ج٥ - ص ٣١٢ .

[١٣٩] بالضم آخره هاء ، موضوع بالبصره ، وهى وقعه كانت بين خالد بن عبد الله بن [illegible] بن أسيد بن أبى العيص بن أميه بن عبد شمس سنة سبعين هجرية وكان من قبل عبد الملك بن

شيعة لابن الزبير فلما كلاهما سارا إلى عبد الملك فأفاد منهما كما رأى القارئ الكريم أيما إفاده [١٤٠] .

ولما أرجف الناس بخراسان بقرب وصول أمية بن عبد الله إليهم أميراً ، أزمع بحير بن ورقاء اهتبال تلك الفرصة ففصل من خراسان يريد لقاء اميرها الجديد وهو فى طريقه إليها ليبثه نصائحه ورأيه فى والى خراسان بكير بن وشاح ليحقق بذلك امرين

أولاهما : نيل وتره من أمير إقليمه الذى اعتقله حين يوغر صدر أميه بن عبد الله .

ثانيهما:- أن ينال الحظوة لدى الأمير الجديد ومن ثمَّ يسترد مكانته التى تلاشت فى المصر بعد أن آل أمر خراسان إلى بكير بن وشاح فلما لقى بحير أمية بن عبد الله أخبره بالأموال التى حازها بكير وحذره غدره .

حسب بحير أن سعايته فى واليه لدى الامير الجديد ستؤتى ثمارها بيد أن شيئاً من ذلك لم يتحقق فى أول الأمر ؛ فأميه حين وصل خراسان واستوى على كرسى إمارتها بذل الاحسان والإكرام

مروان بينن إهل البصرة من اصحاب مصعب بن الزبير وكان لعبد الملك شيعه بالبصرة منهم مالك بن مسمع الربعى فأرسل إليهم عبد الملك خالد بن عبد الله فى ألف فارس فلجتمع بالجفرة مع شيعته بالبصرة ودامت الحرب بينهم وبين اهل البصرة أربعين يوماً وكان خليفة مصعب على البصرة عبيد الله بن عبد الله بن معمر التميمى وبخالد بن عبد الله سميت جفرة خالد .

الزبير بن بكار - نسب قريش ص ١٨٩ / ياقوت - معجم البلدان - ج ٣ - ص ٦٤

(١٤٠) الزبير بن بكار - نسب قريش - ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

فى الرعية بعامة ولأولئك الذين كان اليهم تدبير أمور الإقليم بخاصة ؛ فعرض على واليها السابق القيام بأمر شرطته فأبى لأن هذا المنصب سيجعله إلى المنزلة بين الرعية اقرب منه إلى العزة ، فجعلها أمية ليحير بن ورقاء وسيرً واليها السابق إلى طخارستان عاملاً له عليها .

غير أن بحير بن ورقاء ظل بالأمير الجديد حتى أوعز صدره على سلفه فأقلع عن استعماله على طخارستان وأبقى عليه بجواره ،[١٤١] فأنت ترى امية يحاول تألف رعيته إليه غير أنه لم يحقق كل ما كان يتمناه على الرغم من بذله الأعطيات فى الناس وحرصه على إقامة العدل بينهم فإن العداوة بين بحير بن ورقاء وبكير ابن وشاح أجهضت كل هذه المساعى ، فكلما همّ أمية بالاستعانة ببكير صده عن ذلك عدوه الألد بحير بن ورقاء ؛ فإن أمية صيد أزمع الغزو أمر سلفة بكيد بالتجهز ، جمع الرجال ،وأنفق الاموال التى كانت بحوزته وزاد عليها بالاقتراض من ذوى اليسار بخراسان وقبل أن يوليها ورجاله الأدبار جاء بحير أميره ليحذره غدر بكير به إن تركه يعبر النهر بين معه من الجند ؛ فأخذ امير خراسان برايه فحال بين بكير وبين الخروج وحده إلى بلاد ما وراء النهر فأثار ذلك الموقف حفيظة بكير عليه .

فلما خرج أمية وبكير بن وشاح إلى بخارى استخلف على مرو زياد بن أمية بن عبد الله ، وبينما هم فى طريقهم إلى بخارى قال

---

(١٤١) الطبرى – الرسل والملوك – ج٦ – ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

أمية بن عبد الله أمير خراسان لبكير : (قد خفت ألاَّ يضبط ابني عمله وهو غلام حدث ؛ فارجع إلى مرو فاكفنيها فقد وليتكما فزين ابني وقم بأمره [١٤٢]

وكان عتاب بن اللقوه وهو من كبار الرجال الذين انتخبهم بكير ليشد بهم أزره في مرو زين لبكير خلع أمية والاستيلاء على مرو فقال له (إنَّا قتلنا أنفسنا وعشائرنا حتى ضبطنا خراسان ، ثم طلبنا أميراً من قُريش يجمع أمرنا ؛ فجاءنا أمير يلعب بنا ويحولنا من سجن إلى سجن ؛ قال : فما ترى ؟ قال : أحرق هذه السفن ، وامضي إلى مرو فاخلع امية ، وتقيم بمرو تاكلها إلى يوم ما ؛ فقال بكير : إنى أخاف أن يهلك هؤلاء الفرسان الذين معي ؛ فقال أتخاف عدم الرجال : أنا آتيك من أهل مرو بما شئت أن هلك من هؤلاء الذين معك قال : يهلك المسلمون ، قال إنما يكفيك أن ينادى مناد : مَنْ اسلم رفعنا عنه الخراج فيأتيك خمسون ألفاً من المطمين أسْمَعُ لك وأطْوَعُ) [١٤٣]

أخذ بكير بن وشاح بعد وصوله إلى مرو يعمل على الاستقلال بها فخلع ولد امير خراسان أمية بن عبد الله فلما علم امية لما فعله بكير بولده أنكر عليه ! صنع وهو الذى أحسن إليه غير مرة منذ جاء إلى خراسان فلم يعمد إلى ملاحقته وعماله وتصفية أموالهم بل على

---

[١٤٢] الطبرى – أرسل والملوك – ج٦ – ص ٣١١ ، ٣١٢ .

[١٤٣] الطبرى – الرسل والملوك – ج٦ ص ٣١٢ ، ابن الأثير – الكامل – ج٤ – ص ٤٤٤.

النقيض من ذلك اكر مهم ، واعلـــى شــأنهم فســار أميــة برجالـــه يريـــد مرو وهناك وقعت معركة كبيرة بين جند أميـــة ، وأولئـــك الذيـــن انضمــوا إلى بكير أسفرت عن عقد صلح بين الرجليـــن يــرى القـــارئ مـــن خـــلال نصوصه كيف أن امية بن عبد الله خــــالف الـــولاه الســـابقين عليـــه فـــى مواقفهم من أســــلافهم ؟

فقد نص الصلح على أن يقضـــى أميـــة عـــن بكـــير أربعمائـــة ألـــف ويصل أصحابه و يوليـــــه أى كـــور خراســـان شـــاء ولا يســـمع ، فقالـــه بحير فيه وإن رابه ريب فهو آمن أربعيـــــن يومـــاً .[١٤٤]

لم يحسن بكير بن وشاح الاستفادة مـــن إحســـان أميـــة اليـــه ولمـــن كانوا على شاكلته من دعاة الفتنـــة بخراســـان فعـــاد مـــن جديـــد بعـــد أن صارت مرو محكومة من قبـــل أميـــة بمقتضـــى الصلـــح المذكـــور يذكـــر واليه بالسنةٍ حداد فى جمع من وجهاء المصر فـــاهتبل بحـــير بـــن ورقـــاء ذلك الخطأ فأطلع الأمير عليه فأزمع بعد التثبـــت منـــه وضـــع حـــدٍ لتمـــرد سلفه بكير بن وشاح على طاعته فجعل إلـــى عزيمـــة بحـــير بـــن ورقـــاء قتله وكلاهما من تميم والأمير اذ يفعل ذلك يريـــد ألاّ يـــدع لدعـــاة الفتنـــة أبواب يلجونها حتى يشعلوا نيران العصبيـــة القبليـــة مـــن جديـــد فيكتـــوى الوالى بنارها وينشغلوا بها عـــن اعـــداء الخلافـــة الإســـلامية بخراســـان وما أكثر هؤلاء فى تلك الحقبة [١٤٥] لـــم يكـــن التنـــافس بيـــن بكـــير بـــن

---

[١٤٤] ابن الاثير – الكامل – ج٤ – ص ٤٤٥ .

[١٤٥] الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج٦ –ص٣١٧ / ابن الاثير – الكامل – ج٤ – ص ٤٤٦.

وشاح وبحير بن ورقاء القضية الداخلية الوحيدة التى كان على الوالى مواجهتها حتى يضمن لنفسه الاستقرار فى مصره ؛ فإن موسى بن عبد الله بن خازم الذى اسلفنا ذكره استطاع أن يجد لنفسه مكاناً بخراسان يأوى إليه برجاله الذين آزروه ومن ثمَّ أزمع أبوه عبد الله بن خازم اللجؤ إليه بالترمذ ليتقوى بولده ورجاله كما أشرنا.

ولم يكن وصول موسى بن عبد الله بن خازم إلى الترمذ فى حياة أبيه بالأمر الهين ؛ فإنه حين جعل مرو دُبر ظهره لم يكن معه سوى عشرين ومائتى فارس فسار بهم حتى وصل بخارى بعد ما هزم الرجال وغنم الأموال من البلاد التى مرَّ بها فنجح أميرها فى رد موسى عنها فلجأ إلى سمرقند فأكرمه طرخون ملكها وأذن له ولرجال بالإقامة على أرضه حتى شجر خلاف بين واحد من الأعراب الذين آزروا ابن خازم وفارس الصغد فى يوم المائدة[١٤٦]ومن ثَمَّ صمم ملك الصغد على طردهم من بلاده .

لجأ موسى بعد ذلك إلى كش فاستعان عليه صاحبها بملك سمرقند وبعد معارك طويلة اتفق الجميع على أن يرحل موسى بمن معه عن كش فقصد الترمذ وبها حصن يشرف على جانب النهر فنزل موسى خارجة و سأل ترمذ شاه أن يدخله الحصن فأهدي له موسي

---

[١٤٦] احتفال سنوى دأب الصغد على اقامته حيث ينصبون مائدة بها مختلف ألوان الأطعمة والشراب لا يأكل منها إلا فارس الصغد الأوحد فإذا أكل منها غيره بارز فأيهما يقتل صاحبه تكون المائدة له فأكل منها إعرابى من جند ابن خازم فطلب منه فارس الصغد المبارزه فقتله الأعرابى . النويرى - نهاية الأرب - ج٢١ -ص٢٦٦.

ولاطفه حتى أنس بـــه وصـــارت بينـــهما مـــوده وتصيَّــد معـــه وصنـــع صاحب ترمذ طعاماً وأحضر موســـى ليـــأكل معـــه وشـــرط ألا يحضـــر ألا فى مائة من أصحابه فاختار موسى مائة منـــهم فدخلـــوا الحصـــن وآكلـــوا ؛ فلماً فرغوا قال له ترمذ شاه " أخــــرج . قـــال : لا أخـــرج حتـــى يكـــون الحصن بيتى أو قـــبرى " وقاتلـــهم فقتـــل منـــهم عـــدة وهـــرب البـــاقون واستولى موسى عليها وأخرج ترمـــذ شـــاه منـــها ولـــم يعـــرض لـــه ولا لاصحابه [١٤٧] ومنها اخذ موســـى يؤثـــر علـــى مُجريـــات الأحـــداث فـــى خراسان بشكل أخاف واليها الســـابق بكـــير بـــن وشـــاح ؛ فـــأحجم عـــن مواجهته مؤثراً السلامة والإقامة بمرو علـــى الرغـــم مـــن علـــم الوالـــى من أن صعود نجم موسى بالترمذ يشكل خطـــراً عليـــه إذ كـــان بكـــير قـــد غدر بعبد الله بن خازم ، وادعى قتله كما أسلفنا وهـــذا بـــلا ريـــب يجعـــل موسى بن عبد الله بن خازم يطلب وتر أبيه من بكـــير بـــن وشـــاح والـــى خراســـان .

ولا نجد سبباً نبرر به تسبيط بكـــير لأميـــه بـــن عبـــد الله عندمـــا أراد وضع حدٍ لنفوذ موسى بن جـــازم بـــالترمذ ســـوى خـــوف بكـــير مـــن أن يكون قتيلاً فى حرب كهذه . لم يســـتمر أميـــه بـــن عبـــد الله طويـــلاً فـــى الاخذ برأى بكير بن وشاح فى شـــأن موســـى بـــن خـــازم فصمـــم علـــى أشخاص جيش كثيف إلى الترمذ عليه رجـــل مـــن خزاعـــه .

---

[١٤٧] الطبرى – الرسل والملوك – ج٦ – ص٣٩٨ : ٤٠٠ / النويرى – نهايـــة الارب – ج٢١ – ص ٢٦٦ ، ٢٦٧، ابن خلدون – العبر – ج٣ – ص ٩ ٧٠ .

وحتى يضمن جيش ابن عبد الله إحراز الانتصار على موسى بالترمذ تفسوا بالترك وهم في طريقهم إليهما فصار على موسى مواجهة معسكرين في آنٍ واحد العرب من ناحية والترك من ناحية أخرى فبادئ الترك بالتبيين فانتصر عليهم فلما رأى جند أمية ذلك ضعفت معنوياتهم ومع ذلك ظلوا محاصرين لموسى بالترمذ أشهراً .

وبينما هم كذلك جاء عمرو بن خالد (وهو من أصحاب موسى) فقال له (إنَّا لا تظفر إلاَّ بمكيدة ، ولهؤلاء إمدادٌ تأتيهم ، فدعني آنه لعلى أصيب فرصةً فأقتل الخزاعي ، فاضربني ؛ فقال موسى : تتعجل الضرب وتتعرض للقتل ؟ قال : أما التعرض للقتل فأنا كل يوم متعرض ، وأما الضرب فما أيسره في حُبِّ ما أريد فضربه موسى خمسين سوطاً .فخرج حتى أتى عسكر الخزاعه مستأمناً ، وقال : أنا رجل من أهل اليمن كنت مع عبد الله بن خازم فلما قتل أتيت ابنه فكنت معه ، وانه اتهمني وقال قد تعصب لعدونا وأنت عين له ولم آمن القتل ، فهربت منه فأمنه الخزاعي واقام معه ، فدخل يوماً فلم ير عنده أحداً ولامعه سلاح ، فقال له كالناصح : أصلح الله الامير ، وإن مثلك في مثل هذا الحال لا ينبغي أن يكون بغير سلاح . قال : أن معي سلاحاً ، ورفع طرف فراشة ، فإذا سيف منتضى ، فأخذه عمرو فضرب به الخزاعي حتى قتله ، وخرج فركب فرسه وأتى موسى) [١٤٨] وقد حقق له بالمكائد ما عجز القائد عن تحقيقه بالسيف فقد

---

[١٤٨] الطبري - تاريخ الرسل والملوك - ج٦ - ص٤٠١ ، ٤٠٢ ، النويري نهاية الارب - ج٢١ - ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ابن خلدون -العبر - ج٣ ص ٧٠ .

تفرق جيش أمية فعاد بعضهم إلى مــــرو وآخــرون لجــأوا إلـــى موســـى مستأمنين فازداد بهم قـــوة .

وهكذا نجح موسى فى النجاة من جيش أميـــة الـــذى لـــم يجـــرد لـــه جيشا حتى رحيله عن خراســـــان .

مما تقدم يظهر للقارئ الكريم أن أمية قضـــى معظـــم زمـــن ولايتـــه خراسان محاولاً تجنيـــب الإقليـــم الإنقســامات الداخليـــة التـــى أدت إلـــى العصبية القبلية ؛ فقضى أيامه بـــهذه الولايـــة بـــاذلاً النفيـــس والرخيـــص فى سبيل تحقيق هذا المأرب إلى أن جاء نبأ عزلـــه ســـنة تســـع وســـبعين [١٤٩] وأيلوله مصره إلى المهلب بـــن أبـــى صفـــرة ورحـــل ولمّـــا يحقـــق لنفسه ما يتمنـــى [١٥٠].

اما المهلب بن أبى صفرة الوالى الجديد علـــى خراســـان فـــهو أبـــو سعيد ظالم بن سرّاق بن صُبـــح بـــن كنـــدى بـــن عمـــرو الأزدى العتكـــى البصـــرى .

اختلف الرواة فى شأن أبيـــه فذكـــر الواقـــدى أن أهـــل دبـــا [١٥١] (الذين ينتمى اليهم والـــد صاحبنـــا) كـــانوا خلعـــوا ربقـــه الاســـلام مـــن أعناقهم بعد ما علموا بوفاه و النبى محمـــد (ﷺ) فســـيرّ اليـــهم ابـــو بكـــر

---

[١٤٩] ابن عساكر - تاريخ دمشق - ج٩ - ص ٢٩٣ .

[١٥٠] عاش امية بن عبد الله بعد عزله سنوات قليلة حتى وافته منيته بالصنبرة سنة سبع وثمانين على قول من الاقوال الواردة فى وفاته - ابم عساكر - تاريخ دمشق - ج٩ - ص ٢٩٥ .

[١٥١] بفتح اوله والقصر ، قصبة عثمان ، فتحها المسلمون زمن الصديق ، فى سنة ١١ هـ . ياقوت - معجم البلدان - ج٤ - ص ٢٨٦

الصديق رضوان الله عليه عكرمة بن أبى جـهل فقـهرهم ، وقتـل منـهم الجم الغفير وسبى حذيفة بن اليمان مائة من رجالـهم سيرَّهم إلـى أبـى بكر الصديق فأعتقهم عمر وكان من بينهم والد المـهلب الـذى لـم يكـن قد بلغ الحلم بعد فسار إلى البصره فاتخذها مسـكناً لـه ولعقبـة.(١٥٢)

ولم يرتض بعضهم الأخذ بهذا الخـبر علـى أسـاس أن أبـا صُفـرة لم يكن من بين سبايا المرتدين الذين سُيِّروا إلـى أبـى بكربـل وفـد إلـى المدينة لأوّل مرة فى زمن عمر فلمـا رآه الخليفـة أبيـض اللحيـة أمـره أن يخضب ففعـل .

ليس هذا فحسب بل إن المهلب نفسه ولد قبـل وفـاة النبـى محمـد (ﷺ) بسنتين وهو أصغر إخوانه لصلب أبيـه ومـن إخـوه المـهلب مَـنْ ولد قبل وفاة النبى محمد بثلاثيـن سـنة (١٥٣)

فكيف يقال والحالة هذه أن أبا صفـرة سـبى ونقـل إلـى حـاضرة الدولة الإسلامية وهو صبى لم يبلغ الحلم الأمر الـذى يدلـك علـى كـذب خبر الواقدى فى شأن المهلب حدث المهلب عن عبد الله بـن عمـرو بـن العاص ، سمرة بن جندب ، وابن عمـرو و غـيرهم .روى عنـه سـماك بن حرب ، و أبو إسـحاق وغيرهمـا (١٥٤)

---

(١٥٢) ابن سعد – الطبقات الكبرى – ج٧ – ص ٩٣ ، ابن خلكان –وفيـات الأعيـان – ج٥ – ص ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ابن قتيبه المعارف – ص٣٩٩.

(١٥٣) الذهبى –سير أعلام النبلاء– ج٥– ص ٣٣٠،ابن خلكان –وفيات الأعيان – ج٥ – ص ٣٥١.

(١٥٤) ابن سعد – الطبقات الكبرى – ج٧ – ص ٩٣ ، الذهبى – سير اعلام النبلاء – ج٥ ص ٣٣٠

ويبدو لى أن المهلب لحسن تنشأته جـذب أنظـار صنّـاع الأحـداث إليه سواءٌ أكانوا بمصره الذى عاش فيه شبابه أم كـانوا مـن المقيميـن خارجـه .

وآية ذلك أن عبد الله بـن الزبـير حيـن قـدم المـهلب عليـه بـأم القرى ونجم ابن الزبير ساطع اذ كانت تدين لـه بالطاعـة مكـة والعـراق وغيرهما فلم يغض الطرف عن المهلب وزيارته بل أدنـاه إليـه فخـلا بـه وشاوره طويلاً فلما دخل عليهما عبد الله بـن صفـوان بـن أميـة عجـب لما يراه من ابن الزبير مع هـذا الشـاب ؛ فقـال (مَـنْ هـذا الـذى قـد شغلك يا أمير المؤمنين يومك هذا ؟ قال : أو مـا تعرفـه؟ قـال لا ، قـال : هـذا سيد أهـل العـراق قـال : فـهو المـهلب ابـن أبـى صفره ؛ قال : نعـم) (١٠٠)

فهذا الخبر الذى روينـاه يدلـك بلاريـب علـى أن شـهره المـهلب ببلاد العراق فى بواكـير أيـام شـبابه جعلتـه سـيداً عليـهم وأن هـذه السيادة بلغت الشهرة بحيث صارت علمًا لصاحبنـا بـها يُعـرف شـخصه ونسبه بين أعلام الرجال فى الأمصـار الأخـرى كمـا رأيـت مـن خـلال الحوار الذى دار بين العبدلين ابنى الزبـير وصفـوان .

فرجلٌ شأنه لجدير به أن يضطلـع بـدور حربـي و سياسـي مؤثـر في تاريخ الدولة الاسلامية خلال الحقبة التـى عاشـها .

فها هو ذا ينخرط فى الجيش الذى سَـيَّرَهُ سـعيد بـن عثمـان بـن عفان سالف الذكر للفتح من خراسان فـأبلى المـهلب بـلاءًا حسـنًا فـى قتال أعداء الدين أفقده إحدى عينيه فلم يجزع لما أصابـه بـل قـال ..

---

(١٠٠) ابن خلكان – وفيات الاعيان – ج٥ – ص ٣٥٣ .

لئن ذهبت عينى لقد بقيت نفســـى

وفيها بحمد الله عن تلــك مــا يُنســى

إذا جاء أمر الله أعيا خيولنـــا

ولا بد أن تعمى العيــون لــدى الرمــس [١٥٦]

ولقد لعب المهلب دوراً عظيمًا فى درأ خطــر الخــوارج عــن الدولــة الإسلامية فبفضل حسن قيادته لرجاله اســتطاع الحيلولــة بيــن الخــوارج وبين الاتسيلاء على البصــرة .

ولشهرة هذه الجهود الحربية التى قام بــها المــهلب ســمى النــاس هذا المصر ببصرة المــهلب .[١٥٧]

فلما صار إلى خراسان واستوى علــى كرســى الإمــارة بــها كــان عليه مواجهة آثار العصبية القبلية التــى انتشــرت بــها وزلزلــت اركــان أهلها وحالت بينهم وبين المضى قدمــاً فــى مواصلــة الفتــح الإســلامى للمدن المجاورة له فورث المهلب عن سلفه أميــة بــن عبــد الله مواجهــة الصراع بين عشيرة بكير ابن وشاح وبحــير بــن ورقــاء فعشــيرة الأول ظلت أفئدة كثير من رجالهم تغلى غليان المرجــل فــى صدورهــم يــودون فرصةً تمكنهم من نيل وترهم من قاتلى سيدهم بكير بــن وشــاح فحــاكوا المؤمرات والمكائد لهذه الغاية فما حققوا متمنــاهم الا علــى يــدى رجــلٍ يُسمى صعصعة ابن حرب العوضــى فقــد اتصــل الرجــل بعشــيرة بحــير

---

[١٥٦] ابن خلكان – وفيات الاعيان – ج٥ – ص ٣٥٣ .

[١٥٧] ابن خلكان – وفيات الاعيان – ج٥ – ص ٣٥١ ، ٣٥٢.

والتمس منهم مديد العون له فسألهم أن يخاطبوا بحـــيرا بكتـــاب يطلبـــون فيه معاونته لصعصعة حتى يحصـــل علـــى ميراثـــه المزعـــوم فـــى مـــرو ففعلـــوا .

فلما وصل مروا لقى صيقليا (شـــحاذ الســيوف) ســـأله أن يصنـــع له خنجرا ففعل ثم سار صعصعة إلى بحير - فكـــان يغـــزو مـــع المـــهلب - فقال له إنى رجل من بنى حنيفة ، كنت مـــن أصحـــاب ابـــن أبـــى بكـــرة ، وقد ذهب مـــالى بسجســـتان ، ولـــى مـــيراث بمـــرو ؛ فقدمـــت لأبيعـــه ، وأرجع إلى اليمامة ، أمر له بنفقه وأنزله معه ؛ وقـــال لـــه : اســـتعن بـــى على ما أجبت ، قال : أقيم عندك حتـــى يقفـــل النـــاس ، فأقـــام شـــهرا أو نحوا من شهر يحضر معه باب المهلب ومجلسه حتـــى عـــرف بـــه .

وكان بحير يخاف الفتك به ولا يـــأمن أحـــدا ، فلمـــا قـــدم صعصعـــه بكتاب أصحابه قال : هو رجل من بكر بن وائـــل ، فأمنـــه ، فجـــاء يومـــا وبحير جالس فى مجلس المهلب ، عليـــه قميـــص ورداء ونعـــلان ، فقعـــد خلفه ، ثم دنامنه ، فـــأكب عليـــه كأنـــه يكلمـــه ، فوجـــأه بخنجـــرة فـــى خاصرته ، فغيبة فى جوفه ؛ فقال النـــاس خـــارجى ! فنـــادى : يالثـــارات بكير أنا ثائر ببكير ! فأخذه صـــاحب شـــرط المـــهلب ؛ فـــأتى بـــه الأمـــير فقال له : بؤسا لك ! ما أدركـــت بثـــأرك ، وقتلـــت نفســـك ، ومـــا علـــى بحير بأس ، فقال له لقد طعنته طعنةً لـــو قســـمت بيـــن النـــاسَ لمـــاتوا ، ولقد وجدت ريح بطنه فى يدى ، فحبســـه ثـــم قتلـــه [١٥٨] وهكـــذا رأينـــا

---

[١٥٨] الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج٦ - ص ٣٣٢ ، ٣٣٣

كيف أن العصبية القبلية أفقدت خراسان جهود رجلين لو اتحدا لقادا المسلمين من نصرٍ إلى آخر ولسوف يرى القارئ فيما بعد الكثير من أمثال هذه الواقعة التى تؤكد لنا أن العصبية القبلية كانت المرض العضال الذى ضيّع جهود حكام خراسان وهم يحاولون بناء حكمٍ مستقر لهذا المصر الذى كان إلى أهله الدفاع عن الاسلام أمام خطر الترك والصغد وغيرهما من أهل هذه المنطقة .

أما جهود المهلب الحربية من بلاد خراسان فإنه على الرغم من هذه العصبية القبلية الفاشية فيهم نجح فى السير برجاله سنة ثمانين للهجرة إلى كش ونسف فحارب من بهما[١٥٩]

فأتاه هناك ابن عم ملك الختل فدعاه إلى غزو الختل ، فوجه معه ابنه يزيد ، فسار يزيد وابن عم الملك حتى نازلوه ، و مزل كل واحد منهما ناحية فبيت الملك ابن عمه وأخذه فقتله ، فحصر يزيد القلعة ، فصالحوه على فرسة حملت إليه ، ورجع يزيد عنهم ووجّه المهلب ابنه حبيباً ، فوافى صاحب بخارى فى أربعين ألفاً ، فنزل جماعة من العدو قريةً ، فسار إليهم حبيب فى أربعة آلاف وأحرق القرية فسميت المحترقة . ورجع حبيب إلى أبيه ، وأقام المهلب بكش ونسف سنتين [١٦٠] .

وهنا تختلف الروايات التاريخية حول السبب الذى جعل المهلب يُولى أهل المنطقتين الأدبار فالطبرى يذكر أن نبأ وفاة المغيرة ولد

---

[١٥٩] خليفة بن خياط – تاريخه – ص ٢٧٩ .

[١٦٠] النويرى – نهاية الأرب – ج٢١ – ص ٢٠١.

المهلب بمرو ، ونزول أهلها على حكم المهلب وعقدهم الصلح معهم على فدية يد فعونها إليه ، كان السبب وراء رجوع المهلب إلى مرو [١٦١]

بينما يذكر غير الطبرى أن السبب فى رجوع المهلب يعود إلى كتاب أرسله إليه ابن الأشعث [١٦٢] سنة إحدى وثمانين وهو فى حربه لأهل كش ونسف يدعوه فيه إلى خلع الحجاج [١٦٣] .

وسواءٌ أصحت هذه الرواية أم تلك فإن المهلب وافته منيته وهو فى الطريق إليها فلماً أحس بدنو أجله جمع بنية وذوى قرابته فوصاهم بالاتحاد [١٦٤] وإكرام العرب (أحبوّا العرب واصطنعوا العرب فإن الرجل من العرب تعده العدة فيموت دونك فكيف الصنيعة عنده) .

ولم يفت المهلب أن يبثهم وهو يوصيهم تجاربة فى الحرب فحذرهم التعجل أثنائها وحثهم على مكايدة الأعداء فهى أنفع فى الحرب من الشجاعة فى مواجهة العدو فإن وجدوا أنه لا مناص من مواجهتهم لأعدائهم فليتسلحوا بالحزم فإذا ظفروا بهم حُمدوا وإذا ماتوا مُنحوا .

---

(١٦١) الطبرى – تاريخ الرسل والملوك – ج٦ – ص ٣٥٠ ، ٣٥٤ .

(١٦٢) لمطالعة المزيد من أخبار أبن الأشعث وثورته – انظر – البحث المنشور للمؤلف مجلة اللغة العربية بالمنصورة العدد الثامن عشر – ج٣ سنة ١٩٩٩ – ص ٤٧ : ٦١ وهو بعنوان ولاة البصره بين عهدى السفيانيين والمروانيين .

(١٦٣) خليفة بن خياط – تاريخه – ص ٢٧٩ .

(١٦٤) ابن خلكان – وفيات الأعيان – ج٥ – ص ٣٥٤.

(عليكم في الحرب بالأناة والمكيدة ؛ فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة ، وإذا كان اللقاء نزل القضاء ؛ فإن أخذ رجل بالحزم فظهر على عدوه قيل : أتى الأمر من وجهه ، ثم ظفر فحمد ، وإن لم يظفر بعد الأناة قيل ما فرط ولا ضيع ولكن القضاء غالب) [١٦٥]

لما علم الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق بأمر وفاة المهلب أقر ما صنعه قبيل وفاته فعهد بخراسان إلى يزيد بن المهلب [١٦٦] وقد كان الحجاج أمر توليته العمال أو عزلهم بخراسان والوالي الجديد هو ولد أبو خالد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي سنة ثلاث وخمسين للهجرة في عهد معاوية بن أبي سفيان ، روى عنه ابنه عبد الرحمن ، وأبو إسحاق السبيعي [١٦٧]

ولقد شب يزيد عن الطوق وهو يرى أباه وأخوته يشيدون أركان دولة ابن الزبير بتصديهم للخوارج الأزارقة ثم أيلولة ذلك إليهم في عهد عبد الملك بن مروان الذي عرفت لهذه الأسرة قدرها فأبقى على الإستعانة بأفرادها وتوليتهم الأعمال والذي يدلك على مكانة هذه الأسرة أن الحجاج والي العراق حرص على الأصهار إليها فتزوج هنداً أخت يزيد بن المهلب [١٦٨]

---

[١٦٥] الطبري – تاريخ الرسل والملوك – ج٦ – ص ٣٥٤

[١٦٦] ابن الاثير – الكامل – ج٤ – ٤٧٦ .

[١٦٧] ابن خلكان – وفيات الاعيان – ج٦ – ص ٢٧٨ ؛ الذهبي – سير اعلام النبلاء – [illegible]

[١٦٨] الذهبي – سير اعلام النبلاء – ج٥ – ص ٤١٣.

ليس هذا فحسب بل أن يزيد بن المهلب كان موضع احترام الداني والقاصي لما عُرف عنه مِنْ كرم فاق به النظراء وكثيراً من الولاةِ حتى كان مضرب الأمثال وحديث الالسنةِ فإن يزيد حين حجَّ وحلق رأسه الحلاق أعطاه ألف درهم ؛ (قد هش وقال : أمضي أبشر أمي قال : أعطوه ألفاً أخرى ؛ فقال لامرأتي طالق إن حلقت رأس أحد بعدك قال : أعطوه ألفين آخرين) .

وعلى كل حال فإن يزيد بن المهلب حين استوى على كرسي الإمارة بخراسان كان المأمول منه أن يضع نصب عينيه ما كان أبوه وصاه وأخوانه به من عدم التعرض لموسى بن عبد الله بن خازم (إياكم وموسى ، فإنكم لا تزالون ولاه خراسان ما دام هذا الشَّطْر بمكانه ، فان قتل فأول طالع عليكم أمير خراسان من قيس) فخالف يزيد تلك الوصية حين عمد إلى اصطفاء أموال حريث ابن قطبه الخزاعي وأخوه ثابت وكانا فرا في حياه أبيه لاثنين إلى موسى فلما علما بقتل يزيد لأخيهما من أمهما فاستجار ثابت بالترك فساروا معه بالجند الكثيف إلى موسى بن خازم الذى شكل في هذا الوقت قاعدة آوى اليها كل رجلٍ خرج على طاعة الخلافة الأموية مثل أتباع ابن الأشعث وفلول بني تميم الذين تمرغوا في أوحال فتنه عبد الله بن خازم سالفة الذكر .

فلما رءا ثابت وحريث ما عليه موسى بن عبد الله بن خازم من قوة العدد والعتاد طفقا يُحسنا إليه قصد زيد بن المهلب بمرو لينالا

وترهما منه من ناحية ويكون موسى بن عبد الله بـــن خـــازم واليـــاً علـــى خراسان من ناحية أخرى . بيد أن أصحاب موســـى الآخريـــن قـــالوا لـــه (إن أخرجت يزيد عن خراسان تولى ثابت واخـــوه خراســـان وغلبـــا عليـــها ، فلمتنع من المسير ، وقـــال لثـــابت وحريـــث : إن أخرجنـــا يزيـــد قـــدم عامل لعبد الملك ، ولكنا نُخـــرج عمـــال يزيـــد مـــن وراء النـــهر وتكـــون هذه الناحية لنـــا فـــأخرجوا عمالـــه ، وجبـــوا الأمـــوال وقـــوى أمرهـــم ، [١٧٠]وافت المنيةُ حريثاً وثابتـــاً دون أن يدركـــا وترهمـــا مـــن يزيـــد بـــن المهلب الذى كُفى مئونة الصراع مـــع موســـى بـــن عبـــد الله بـــن خـــازم لانشغاله بقتال الترك ثم الجند الذيـــن قـــادهم ثـــابت بعـــد خروجـــه علـــى طاعة موسى حين علم أن أتباعه زيّنوا له الغدر بثـــابت حتـــى يصفـــو لـــه حكم المناطق التى حازها مـــن خراســـان [١٧١]

ظل يزيد بن المـــــهلب يدبـــر أمـــر خراســـان مـــن ســـنة اثنتيـــن وثمانين للهجرة إلى سنة خمس وثمانين [١٧٢] فيـــها عمـــل الحجـــاج ابـــن أبى يوسف الثقفى على عزله عن خراســـان وذلـــك حيـــن لقـــى الحجـــاج راهباً وهو فى طريقه إلى عبد الملك بن مروان قيـــل لـــه إن عنـــده علمـــاً من الحدثان ، فقال له (هل تجدون فى كتابكم ما أنتـــم فيـــه ، قـــال نعـــم ، فقال : مسمىً أو موصوفاً ؟ قال : موصوفاً . قـــال : فمـــا تجـــدون صفـــة ملكنا ؟ قال صفته كذا . أقل : ثم مَنْ ؟ قال آخـــر اســـمه الوليـــد قـــال ثـــم

---

[١٧٠] النويرى – نهاية الارب – ج٢١ – ص٢٧٠ ، ٢٧١ .

[١٧١] النويرى – نهاية الارب – ج٢١ – ص ٢٧١ . ابن خلدون – العبر – ج٣ – ص ٧١

[١٧٢] ابن حجر – التهذيب –ج١٠ ص ٢٧٥ .

مَنْ ؟ قال آخر اسمه ثقفى . قال : فمن تجد بعدى ، قال رجل يدعى يزيد . قال أتعرف صفته قال لا أعرف صفته إلا أنه يغدر غدره)[١٧٣]ثم إن الحجاج جلس يوماً مفكراً واستدعى عبيد بن وهب فدخل عليه وهو ينكت فى الارض فرفع رأسه إليه فقال : (ويحك يا عبيد ، إن أهل الكتاب يذكرون أن ما تحت يدى سيليه رجل يقال له يزيد ، وقد تذكرت " يزيد بن أبى كبشة " و " يزيد بن حصين بن نمير " و " يزيد بنْ دينار " وليسوا هنالك ، وما هو إلا يزيد بن المهلب . فقال عبيد لقد شرفتهم وعظمت ولايتهم وإن لهم لقدراً وجلداً وحظاً " [١٧٤]ومن ثمَّ أخذ الحجاج يحتال على يزيد بن المهلب ليستقدمه من خراسان فجعل يكتب إليه ويأمره أن ينصرف من خراسان إلى ماقبله ، ويزيد يحتل عليه فلما ورد هذا الكتاب على يزيد دعا برجلٍ من أجلاء عرب خراسان يقال له حصين بن المنذر الربعى ،فقال يا خصين إنه قد كثرت علىَّ كتب الحجاج يأمرنى بالمسير إلى ما قبله ، وهذا أخى المفضل قد نزل الرى وقد أمرنى الحجاج أن أسلم إليه أمور خراسان فهات ما عندك من الرأى فقال له حُصين بن المنذر لا والله أيها الأمير ! ما أشير عليك بالمسير إلى الحجاج ، لأن أخاف عليك الحبس والغرم ولعله أن يقتلك ولا يبالى ، ولعله إنما ولى أخاك المفضل الرى ونواحيها مكيدةً لك حتى تقع فى يده ، فاتق الله فى نفسك ، وأقم بموضعك هذا فإنه خير لك ، واعتل

---

[١٧٣] ابن خلدون – العبر – ج٣ – ص ٦٨ ، ٦٩ .

[١٧٤] ابن كثير – البداية والنهاية – ج٩ – ص ٥٥ ، ٥٦

على الحجاج بحروب الترك والصغد فإنه يكف عنك ، فإن هو فعل وإلا فاخرج عليه وحاربه وتمسك بما في يدك من بلاد خراسان فإنك إن حاربته أعانك الناس عليه لبغضهم إياه كراهتهم لولايته فقال له : يزيد ويحك يا خصين ! أما قولك بأنه يحبسني ويغرمني فإني لا أشك في هذا ، وأما أن يقدم عليَّ بالقتل فما أظنه يدوم ذلك وأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان حي . لأنه قد علم بأنى وأبى وأهل بيتى من صنائع أمير المؤمنين ، وبعد فإنا أهل بيت قد بورك لنا في الطاعة [١٧٥]

فتجهز يزيد للمسير من خراسان إلى الحجاج الذى كان حصل على موافقة الخليفة على عزل يزيد عنها [١٧٦]

تقلبت الأحوال بعد ذلك بيزيد بن المهلب فكان في عهدى الوليد بن عبد الملك ثم سليمان من الشخصيات التى خطيت باهتمام الخلافة بها وترقب العامة لأخبارها . وقد كان ذلك خارج خراسان ومن ثمَّ فإن الدراسة التى بين أيدينا غضت الطرف عن ذكره اذ هى تُعنى بكل حدث سياسى وقع لولاة خراسان على أرض هذا الإقليم .

وعلى كل حال فإن خراسان أصبحت بعد رحيل يزيد عنها تحت حكم وال جديد هو المفضل بن المهلب بن أبى صفره الأزدى أبو غسان البصرى روى عن النعمان بن بشير وعنه روى ابنه حاجب وثابت البنانى وجرير بن حازم ذكره ابن حبان في الثقات [١٧٧] كان

---

[١٧٥] ابن اعثم – الفتوح – ج٧ – ص ١٩٩ ، ٢٠٠،ابن خلدون – العبر – ج٣ – ص ٦٩.

[١٧٦] ابن كثير – البداية والنهاية – ج٩ – ص ٥٦ ، ابن خلدون – تاريخه – ج٣ – ص ٦٩ .

[١٧٧] ابن حجر – التهذيب – ج١٠ – ص ٢٧٥

الحجاج بن يوسف والى العراق حين عهد إلى المفضل بأمر خراسان لا يريد أن تقوم لأسرة المهلب قائمة فى هذا الإقليم بعد الريب الذى داخل فؤاده إثر لقائه بأحد متنبئى أهل الكتاب كما أشرنا ومن ثمَّ فإن مدة حكم هذا الوالى لخراسان استغرقت سبعة أشهر من سنة خمس وثمانين للهجرة .

ومع قصر مدة حكم المفضل لخراسان فإنه نجح خلالها فى وضع حدٍ لفتنة موسى بن عبد الله بن خازم مُخَلِّصًا الحكم الأموى من عقبةٍ كئوود كانت تحول بين ولاة الدولة الأموية وبين بسطهم السيطرة الكاملة على أرجاء خراسان وتوابعها .

اعتقد المفضل وهو يزمع التصدى لموسى بن عبد الله أنه إن نجح فى ذلك فسوف يحظى بمكانةٍ مرموقةٍ لدى الحجاج بن يوسف الثقفى وبالتالى يضمن بقاء خراسان تحت يديه مدة طويلةً .

اختار المفضل لقيادة الجيش الذى يسيره إلى ابن خازم رجلاً له من آل المهلب موقفاً ومن موسى بن عبد الله بن خازم مثل ذلك فقد حنق على الأُوَل سلبهم أموال ثابت وحريث وعلى الثانى قتله لابن عمته الخزاعى الذى أسلفنا ذكره . فلما استدعى المفضل عثمان بن مسعود ليوليه قيادة هذا الجيش لم يحجب عن أميرة رأيه فى آله وذلك الرجل الذى أرسله لقتاله فقال له (والله لقد وترنى "يعنى موسى" ، وإنى لثائر بابن عمتى ثابت وبالخزاعى ، وما يد أبيك واخيك عندى وعند أهل بيتى بالحسنة ، ولقد حبستمونى وشردتم بنى عمتى واصطفيتم اموالهم ، . فقال له المفضل : دع هذا عنك ، ويسرَّ فأدرك بثأرك) . فوجهه فى ثلاثة آلاف ؛ وقال له : مُر ..اديـاً

فلينادِ :من لحق بنا فله ديوان ، فنادى بذلك في السوق ، فسارع اليه الناس . وكتب المفضل إلى مدرك بن المهلب وهو ببلخ أن يسير معه[١٧٨]

نجح عثمان بن مسعود في ضرب الحصار على موسى ابن عبد الله بن خازم حتى أثر ذلك فيه فندرت ميرته وضعفت معنويات رجاله فجعله ذلك مضطراً إلى الخروج لمواجهة عثمان وجيشه فقال لجنده (حتى متى ! أخرجوا بنا فاجعلوا يومكم ، إما ظفرتم واما قتلتم فخرج وخلّف النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم في المدينة ، وقال له : إن قتلت فلا تدفعن المدينة إلى عثمان ، وادفعها إلى مدرك بن المهلب)[١٧٩] .

فلما قتل موسى بن عبد الله بن خازم في المعركة التي دارت بينه وبين جند عثمان بن مسعود أسلم النضر بن خازم الترمذ لمدرك بن المهلب .

وكتب المفضل بن المهلب إلى الحجاج بقتل موسى فلما وصل الكتاب إلى الحجاج بالعراق (العجب من ابن بهلة ! آمره بقتل ابن سمرة فيكتب اليّ أنه لمأبه ويكتب إليّ : إنه قتل موسى بن عبد الله بن خازم ، وأمر الحجاج بعزله عن خراسان [١٨٠] ليعيش المفضل وآله هائمين على وجوههم إلى أن وافته منيته سنة اثنتين ومائة بسجستان[١٨١]

---

[١٧٨] الطبرى – الرسل والملوك – ج٦ – ص ٤٠٩ ، ٤١٠ .

[١٧٩] الطبرى – الرسل والملوك – ج٦ – ص ٤١٠ ، ابن الأثير – الكامل – ج٦ – ص ٥١٢.

[١٨٠] الطبرى – الرسل والملوك – ج٦ – ص ٤١١ ، ابن الأثير – الكامل – ج٤ – ص ٥١٢.

[١٨١] خليفة بن خياط – تاريخه – ص ٣٢٦ ، ابن عساكر – تاريخ دمشق – ج٦٠ – ص ٩٧ .

استقبلت خراسان والياً جديــدا يختلــف عــن ســابقية بــالنظر إلــي أعمالة الجليلة التي قام بها مـــن هــذا الإقليــم فرفعــت ذكــره و ألحقتــه بالنابهين بعدما كان قبل ذلك مـــن المغموريـــن .

• خرسان في عهد قتيبة بـــن مســلم :

الوالي الجديد أبو حفص قتيبة بن أبـــي صـــالح مســلم بـــن عمـــرو بن الحصين ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بـــن معــد بـــن عدنـــان ، الباهلي ، ولد سنة تسع و أربعيـــن هجريـــة (٤٩هـــ) ، حظـــي أبـــوة بمنزلة كبيرة لدي يزيد بن معاوية ، ثم انضـــم بعــد ذلــك الـــي مصعـــب ، فقاتل معه حتي قتل سنة اثنتيـــن و ســـبعين [١٨٢]

روي قتيبة عن عمران بن حصين و أبـــي ســـعيد الخــدريّ . [١٨٣]

و لم يكن استعمال الحجاج له علي خراســـان محــض مصادفــة بــل كان مبنياً علي معرفته بأحوال الوالي ، إذا كـــان يتولـــي لـــه ادارة الـــري ، فلما حنق علي المفضل بن المهلب و آله كما قلنـــا اســتبدل بـــه قتيبـــة بن مسلم ففصل من عمله في ســـنة ســـتٍ و ثمـــانين قـــاصداً خراســـان ، فجاءها و المفضـــل بـــن المـــهلب يســتحرض الجنــد لغــزو أخـــرون و شومان [١٨٤] استجابة لملك الصفانيان [١٨٥] الـــذي تكــدرت علاقاتـــة مـــع صاحبيـــهما .

---

[١٨٢] ابن خلكان - وفيات الأعيان - ج٤ - ص ٨٦-٨٧ .

[١٨٣] الذهبي - السيَر - ج٥ - ص ٣٤٨ .

[١٨٤] تقع جنوب واشجرد ، اشتهرت بانبات الزعفران و منها يحمل الي الآفاق ، عرف أهلها بقوة الشكيمة و رباطة الجأش فصعب علي من حاربهم النيل منهم ، و تعرف اليوم بحصار - كي لسترنج - بلدان الخلافة الشرقية - ص ٤٨٤ .

بدأ قتيبة ولايتة بمخاطبة الناس فحثـهم علـي الجـهاد فقـال : (إن الله أحلكم هذا المحل ليعز دينه ، و يـذب بكـم عـن الحرمـات ، و يزيـد بكم المال اسـتفاضة و العـدو وقمـا (ذليـل) ، ووعـد نبيـه (ﷺ) النصر بحديث صادق و كتاب ناطق ، فقـال " هـو الـذي أرسـل رسـوله بالهدي و دين الحق ليظهره علي الديـن كلـه و لـو كـره المشـركون " [١٨٦] ووعد المجاهدين في سبيله أحسن الثـواب و أعظـم الزخـر عنـده فقال " ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمـأ و لا نصـب و لا مخمصـة فـي سـبيل الله " إلي قوله تعالي " أحسن ما كانوا يعملـون " [١٨٧] . ثـم اخـبر عمـن قتل في سبيلة أنه حي مرزوق ، فقـال و لا تحسـبن الذيـن قتلـوا فـي سبيل الله أمواتا بل أحياء عنـد ربـهم يرزقـون [١٨٨] فتنجـزوا موعـود ربكم ووطّنـوا أنفسـكم علـي أقصـى أثـر و أمضـي ألـم ، و إيـاى و الـهويني)[١٨٩]

و لما فرغ قتيبة من النظـر فـي بعـض أمـوره بخراسـان أنمـع عبور النهر للفتح فكان ملك الصفانيان علـي رأس مسـتقبليه و قـدم لـه الهدايا الثمينة فوض قتيبة لـه و سـار معـه الـي مناوئـه بـأخرون و

---

[١٨٥] هي مدينة سر آسيا الحديثة ، في اعالي النهر الصفانيان اكبر من الترمذ مساحة تتبعها ستة الاف قرية .
كي لسترنج - بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٨٣ .
[١٨٦] سورة الصف - آية ٩
[١٨٧] سورة التوبة ١٢٠ : ١٢١
[١٨٨] سورة آل عمران ١٦٩
[١٨٩] الطبري - الرسل و الملوك - ج٦ - ص ٤٢٤

شومان محققا لصاحب الصفانيان ما كان التمسه من المفضل سلفه على خراسان.

فضرب حصارا عليهما حتى صالحوه على مال مقابل رفع الحصار عنهم فترك قتيبة جنده و صار إلى مرو بعد أن استخلف عليهم فعاتبه الحجاج على تلك الاستراتيجية التي اعتمدها في مواجهة لأعدائه فكتب إليه يقول (إذا غزوت فكن في مقدم الناس و إذا قفلت فكن في أخرياتهم و ساقتهم)[١٩٠]

اهتبل قتيبة بن مسلم فرصة احراز هذا الانتصار على صاحب شومان فأنشأ يعمل بعده على اطلاق سراح أسرى المسلمين الذين كان نيزك صاحب الترك اعتقلهم فأرسل قتيبة رسولا إليه بكتاب يحمل التهديد و الوعيد لصاحب الترك أن هو لم يستجب سريعا إلى طلبه و هو اطلاق أسرى المسلمين و القدوم إليه لمصالحته و الإذعان لقيادته .

ولم يعتد صاحب الترك أن يخاطب بمثل تلك الغلظة على لسان [illegible] خراسان و [illegible] الذي لم يمض على قدومه سوى عام فقال لرسول قتيبة (ما أظن عند صاحبك خيراً ، كتب إليّ كتاباً لا يكتب إلى مثلي ، فقال له الرسول : يا أبا الهياج ، إن هذا رجل شديد في سلطانه [illegible] صعب إذا غوسر [illegible]

---

(١٩٠) الطبري - الرسل و الملوك - ج٦ - ص٤٢٤ ، ٤٢٥

عنده و عند جميع مضر) . فقدم نيزك مع الرسول على قتيبة ، فصالحة أهل باذغيس(١٩١) في سنة سبع و ثمانين علي ألا يدخلها(١٩٢) .

ظل قتيبة وفياً لصلحة مع نيزك صاحب الترك حتي نبذ الأخير الطاعة سنة إحدي و تسعين فسار إلية قتيبة حتي هزمة و استولي علي الطالقان في هذا العام .(١٩٣)

و مهما يكن من أمر فإن قتيبة لم يذق طعم الراحة بعد النجاح الذي حققة علي صاحب شومان و نيزك صاحب الترك فصمم علي القيام بأعمال في بلاد ما وراء النهر تختلف عن تلك التي قام بها الولاة السابقون علية فهو لا يريد الاغارة ثم العود بعد صلح سرعان ما ينتقض ومن ثم يعاود الرجوع من جديد إلي فتح تلك البلاد . فبدأ فتوحاته العظيمة تلك التي غيَّرت وجه الحياة في خراسان من جهار جوي فمنها قصر بيكند (١٩٤) فلقي و هو في طريقة اليها جمعا كثيفا

(١٩١) تقع علي الطريق الشمالي بين مرو و هراه ، تمتد بين نهر هراه من الغرب و مياه نهر مرغاب الأعلي من الشرق ، يعرف قسمها الشرقي بكنج و ستاق ، بينة و بين هراه ثلاثة عشر فرسخا ، نال مدنها التسعة الخراب في أعقاب الغزو المغولي لإقليم خراسان . أما قسمها الجنوبي فأهم مدنة دهستان .

كي لسترنج - بلدان الخلافة الشرقية - ص ٤٥٥ ، ٤٥٦ .

(١٩٢) الطبري - الرسل و الملوك - ج٦ - ص ٤٢٨- ٤٢٩

(١٩٣) اليعقوبي - تاريخه - ج٢ - ص٢٨٦ الطبري - الرسل و الملوك - ج٦ - ٤٤٧ .

(١٩٤) بالكسر و فتح الكاف و سكون النون - بلده بين بخاري و جيجون علي مرحلة من بخاري . ياقوت - معجم البلدان - ج٢ ص ٤١٨ .

من الترك و البخارية ، فأرهقوا المسلمين مـــن أمرهــم عسـرا و حُجبـت أخبارهم عن حاضرة مصرهـــم ومـــن ثـــم وليـــهم الحجـــاج بـــن يوســف الثقفي بحيث لم يكن شاغل يشغل الناس في تلك الأيـــام التـــي غـــاب فيـــها قتيبـــة و رجالـــه عـــن أعيـــن الخراســـانيين إلا الابتـــهال الـــي الله فـــي الصلوات أن يعيد قتيبة إلي حاضرة إمارتـــة ســـالماً غانمـــاً .

و قتيبة بن مسلم علي الرغم مـــن تلـــك الشـــده التـــي نزلـــت بـــه و وفرة رجال و عتاد عدوه بالمقارنة بما معه مـــن عتـــاد و عـــدد لـــم يبـــد إلا رباطة جأش في مواجهتة لأعدائه الذين ما تركـــوا وســـيلة تفـــت فـــي عضـــد رجـــال المســـلمين ورفـــع معنويـــات الـــترك و البخـــاريين الا و استخدموها فأشـــاعوا وهـــن عزيمـــة القـــائد المســـلم بعـــد طـــول زمـــن المواجهة و كذلك فعلوا عندما روجوا لزعمـــهم مقتـــل الحجـــاج فاشـــترك الفريقان في قتال انتهي بهزيمة العـــدو ، ففـــر فريـــق مـــن الـــترك وقـــد ملئ رعباً و تشتت شـــمله فـــي حيـــن لاذ فريـــق آخـــر بمدينـــة بيكنـــد الحصينة القويـــة (١٩٥)

كان من الطبعي أن يولي قتيبـــة بـــن مســـلم وجهـــة شـــطر بيكنـــد للقضاء علي فلول الـــترك التـــي آوت إليـــها مـــن ناحيـــة و مـــن ناحيـــة أخري الاستيلاء عليها و جعلها قـــاعدة لفتوحـــات أخـــر ببـــلاد مـــا وراء النهر ، فلما علم أهل بيكند بعـــزم قتيبـــة قصـــده مدينتـــهم عمـــدوا الـــي تحصينها فصارت في غاية المنعـــة ، و لكـــي يحقـــق قتيبـــة مأربـــه فـــي

---

(١٩٥) ارمينوس فامبري - تاريخ بخاري - ص ٦١ ، ٦٢

بيكند خاض حروبا عنيفة مـدة خمسين يومـاً عـاني فيـها المسـلمون المشاق فأعملوا الحيلة للاستيلاء علـي الحصـن فحفـروا أسـفل الجـدار و البرج فأحدثوا ثغره لم يكن المسلمون قد وصلـوا الـي السـور فنفـذوا من الثغره ، فصاح قتيبة بأن كل من ينفـذ مـن الثغـرة أعطيتـة ديتـة و إذا قتل أعطيها لأولاده ، حتي رغب كل واحد منـهم فـي الدخـول و مـن ثُم استولوا علي المدينـة [١٩٦]

فلما رأى أهل بيكند أن المسلمين خـالطوهم فـي بلادهـم و صـارت أعناقهم تحت سيوف المسـلمين طلبـوا المصالحـة . فاسـتجاب قتيبـة بن مسلم لذلك و ترك عليهم ورقاء بن نصر و قصـد بخـاري غـير أنـهم ما لبثوا أن تمردوا من جديد علي طاعة الأمـير المسـلم ، و سـبب ذلـك أنه كان في بيكند رجل لـه بنتـان جميلتـان ، فانتزعـهما و رقـاء بـن نصير ، فقال هذا الرجل : (إن بيكند مدينة كبيرة فلـم تـأخذ ابنتـي مـن بين كل أهل المدينة ؟ فلم يجبه و رقاء . فوثـب الرجـل و طعـن ورقـاء بسكين في سرتة و لكنها لم تكـن قاضيـة).

فلما بلغ قتيبة الخبر عاد و قتـل مـن كـان فـي بيكنـد مـن أهـل الحرب جميعاً و استرق من بقي ، بحيث لم يبـق فيـها أحـد و خربـت . و كان أهل بيكند تجارا و قد ذهب أكثرهم الـي بـلاد الصيـن و الجـهات الأخري للتجـارة ، فلمـا عـادوا بحثـوا عـن أولادهـم و نسـائهم . و أقربائهم و اتباعوهم من العرب ، و عمروا بيكنـد كذلـك مـرة ثانيـة . و

---

[١٩٦] النرشخي - تاريخ بخاري - ص ٧٣

قد قيل بأنة لم تكن مدينة تخربت كلها و بقيت خاوية ثم عمرت سريعاً علي يد أهلها أنفسهم الا بيكند [١٩٧]

أما عن الغنائم التي غنمها المسلمون من بيكند فانها كانت عظيمة القدر إذ كان من بينها صنم من الفضة يزن اربعة آلاف درهم و أوان من الفضة فبلغ وزن ما ذكر من الغنائم مائة و خمسين ألف مثقال [١٩٨]

و كان لسقوط بيكند أهمية جغرافية و سياسية و اقتصادية فهي بمثابة الباب الجنوبي الغربي لبلاد ما وراء النهر ، فضلا عن أنها كانت أروج مواضع هذا الاقليم بعد الصفد و رامتن و ما وقع من غنائمها بأيدي الفاتحين كان عظيما فأفادت هذه الأموال قتيبة في فتوحاته المتتالية [١٩٩]

وعلي اية حال فان قتيبة بن مسلم طفق يعمل للاستيلاء علي بخاري بعد أن استولي علي سهول تركستان الجنوبية فرسم سياسة علي أن يعزل هذه المدينة عن حلفائها من الترك فتعجز بذلك عن الدفاع عن نفسها و علي هذا فقد بدأ باخضاع الامارات الصغيرة المستقلة ، وردان " وردانزي الحالية " و رامتن و الصفد ، ليضمن من بعد ذلك نجاحة في حملتة علي بخاري حين يهاجمها فكانت هذه

---

(١٩٧) الزشخي - تاريخ بخاري - ص ٧٤

(١٩٨) الزخشي - تاريخ بخاري - ص ٧٤

(١٩٩) أرمينوس فامبري - تاريخ بخاري منذ أقدم العصور حتي الوقت الحاضر ص ٦٢

الخطة ممـــا رســم الحجــاج لــه . [٢٠٠] فســار إلــي إمــارة . شــومان فحاصرها و قتل مليكها الذي خرج علي طاعتة و منـــها ســار إلــي كــش و نسف فاستولي عليهما . و منهما ســـرح قتيبــة أخــاه عبــد الرحمــن إلي طرخون فأخذ منه الفديه التي كــان صــالح قتيبــة عليــها . و يبــدو لنا أن الترك غضبوا علـــي ملكــهم حيــن احجــم عــن مواجهــة قتيبــة عسكريا مؤثرا السلامة علي مــا عداهــا فأقــالوه وولــوا مكانــة غــوزك ملكاً عليــهم . [٢٠١]

وجد قتيبة أن قصد بخاري برجاله هــذه المــرة مــن جديــد ســوف يضع حداً لتحالفات ملكها مع الــترك و غــيرهم ضــد المســلمين إذ كــان حكامها دأبوا علي ذلــك مــع الــولاة الســابقين ، فســار إليــهم للمــرة الرابعة في ولايتة سنة إحدي و تسعين للــهجرة فاســتولي علــي بخــاري ، و أظهر الإسلام بعد عناء كبير و غرســه فــي قلوبــهم و شــددً عليــهم بكافة الطرق . و كانوا يقبلون الإسلام فـــي الظــاهر و يعبــدون الأصنــام في الباطن ، فرأي قتيبة أنه مــن الصــواب أن يــأمر أهــل بخــاري بــأن يعطوا نصف بيوتهم للعــرب ليقيمــوا معــهم و يطلعــوا علــي أحوالــهم فيظلوا مسلمين بـــالضرورة ،

فأظهر الإسلام بهذ الطريقـــة و ألزمـــهم بأحكـــام الشـــريعة و بنـــي المساجد و أزال آثار الكفر و رسم المجوســية ، و كــان يبــذل فــي ذلــك جهداً عظيماً ، و يعاقب كل مـــن قصــر فــي أحكــام الشــريعة ، و بنــي

---

[٢٠٠] ارمينوس فامبري - تاريخ بخاري - ص ٦٤

[٢٠١] اليعقوبي-تاريخة-ج٢ ص ٢٨٦/الطبري -الرسل و الملوك ج٦ - ص ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣

المسجد الجامع و أمر الناس بأداء صلاة الجمعة بما في ذلك أهل بخاري [٢٠٢]

أما نظام الحكم فيها فإن قتيبة واءم بين سيطرته علي المدينة و بين ترضية حكامها السابقين فترك حكم المدينة بأيدي الخدات (الامير حكامها الأول) علي أن يشترك معه في الحكم عامل من قبل الخليفة يأتي في المنزلة من بعده . و لم يلبث عامل الخليفة هذا أن رقي إلي مرتبة الإمارة فيما بعد و صار صاحب السلطان الفعلي ، و أهمل أمر الخدات التركي .

و كان علي الخدات كذلك أن يدفع جزية سنوية قدرها مائتا ألف درهم إلي الخليفة ، و عشرة آلاف لأمير خراسان و نصف صافي دخل الحمامات العامة إلي العرب المقيمين بالمدينة . و كان هذا كله أخف وطأه مما فرضه بعض الفاتحين المسلمين علي بخاري الإسلامية فيما بعد . [٢٠٣]

كان من الطبعي أن تؤدي الانتصارات التي أحرزها قتيبة في بلاد خراسان الي زيادة طموحات القائد المسلم في ضم المزيد من هذه الأراضي و نشر رايات الإسلام علي ربوعها ، فأنشأ يفتح بعد بخاري البلد تلو الآخر حتي وصل إلي كاسفر [٢٠٤] و منها أخذ يرنو ببصره إلي بلاد الصين .

---

[٢٠٢] الطبري -الرسل و الملوك - ج٦ - ص ٤٤٢ : ٤٤٤ الزخشي - تاريخ بخاري ص ٧٧

[٢٠٣] ارمينوس فامبري - تاريخ بخاري - ص ٦٧

[٢٠٤] بالتقاء الساكنين ، و قري قرسايتق يسافر اليها من سمرقند و تلك النواحي ، و هي في وسط بلاد الترك و أهلها مسلمون
ياقوت - معجم البلدان - ج٧ - ص ١١٤

فيذكر أبو مختف أن قتيبة أرسل اثني عشر رجلاً من قبلة رسلاً إلي امبراطور الصين سنة ست و تسعين بناءاً علي طلب الأخير و قد جهزهم قتيبة أحسن التجهيزات للسلم و استقبالات كبراء الدولة و الحرب فلما وصلوا الي حاضرة إمبراطورية الصين أرسل إليهم إمبراطور الصين يدعوهم ، فدخلوا الحمام ، ثم خرجوا فلبسوا ثيابا بيض تحتها الغلائل ، ثم مسّوا الغالية ، و تدخنوا و لبسوا النعال و الاردية و دخلوا عليه و عنده عظماء أهل مملكته ، فجلسوا ، فلم يكلمهم الملك و لا أحد من جلسائه فنهضوا ، فقال الملك لمن حضره : (كيف رأيتم هؤلاء ؟ قالوا : رأينا قوما ما هم إلا نساء ....

فلما كان الغد أرسل إليهم فلبسوا الوشي[٢٠٥] و عمائم الخزّ و المطارف ، و غدوا عليه ، فلما دخلوا عليه قيل لهم : ارجعوا ، فقال لأصحابه : كيف رأيتم هذه الهيئة ؟ قالوا : هذه الهيئة أشبه بهيئة الرجال من تلك الأولي ، و هم أولئك .

فلما كان اليوم الثالث أرسل إليهم فشدوا عليهم سلاحهم ، و لبسوا البيض و المغافر ، و تقلدوا السيوف ،و أخذوا الرماح ، و تنكبوا القسي و ركبوا خيولهم ، و غدوا فنظر اليهم صاحب الصين فرأي أمثال الجبال مقبلة ، فلما دنوا ركزوا رماحهم ، ثم أقبلوا نحوهم مشمرين ، فقيل لهم قبل أن يدخلوا : ارجعوا ، لما دخل قلوبهم من خوفهم .

---

(٢٠٥) الوشي من الثياب معروف و الجمع وشاء و هو كل ثوب خلط فيه لون بلون لسان العرب - ج٤ - ص ٤٨٤٦ - " مادة وشي "

فـانصرفوا فركبـوا خيولـهم ، و اختلجـوا رماحـهم ، ثـم دفعـوا خيولهم كأنهم يتطاردون بها ، فقـال الملـك لأصحابـة : كيـف ترونـهم قالوا ما رأينا هؤلاء قط ، فلما أمسـي أرسـل إليـهم الملـك ، أن ابعثـوا اليّ زعيمكم و أفضلكم رجلاً ، فبعثوا إليه هبيرة ، فقـال لـه حيـن دخـل عليه : قد رأيتم عظيم ملكي ، و إنه ليـس أحـد يمنعكـم منـي ، و أنتـم في بلادي ، و إنما أنتم بمنزلو البيضة في كفي و أنـا سـائلك عـن أمـر فإن لم تصدقني قتلتكم ، قال : سل ، قـال لـم صنعتـم مـا صنعتـم مـن الذي في اليوم الأول و الثاني و الثالث ؟ قـال : أمـا زينـا الأول فلباسـنا في أهلينا و ريحنا عندهم ، و أما يومنا الثـاني فـإذا أتينـا أمراءنـا ، و أما اليوم الثالث فزينا لعدونا ، فاذا هاجنا هيج و فـزع كنـا هكـذا . قـال : ما أحسن ما دبرتـم دهركـم ! فـانصرفوا الـي صـاحبكم فقولـوا لـه ينصرف ، فاني قد عرفت حرصـه و قلـة اصحابـة و إلا بعثـت عليكـم من يهلككم و يهلكه ، قال لـه : كيـف يكـون قليـل الاصحـاب مـن أول خيلة في بلادك و آخرها في منـابت الزيتـون ! و كيـف يكـون حريصـاً من خلف الدنيا قادراً عليها و غزاك! و أمـا تخوفيـك إيانـا بـالقتل فـإن لنا آجالا إذا حضرت فأكرمها القتل ، فلسـنا نكرهـه و لا نخافـه ، قـال : فما الذي يُرضي صاحبك ؟ قال : إنه قـد حلـف ألاّ ينصـرف حتـي يطـأ أرضكم ،و يختم ملكوكم ، و يُعطـي الجزيـة ، قـال :

فإنا نخرجة من يمينة ، ونبعـث إليـه بـتراب أرضنـا فيطـؤه ، و نبعث ببعض أبنائنا فيختمـهم ، و نبعـث إليـه بجزيـة يرضاهـا ، فدعـا

بصحاف من ذهب فيها تراب ،أ و بعث بحرير و ذهب أربعة غلمان من أبناء ملوكهم ، ثم أجازهم فأحسن جوائزهم فساروا فقدموا بما بعث به فقبل قتيبة الجزية و ختم الغلمة و ردهم ووطيء التراب . (٢٠٦)

و سواء أصح جميع ما جاء في هذه الرواية أم بعضه فإن قتيبة بن مسلم اضطر الي وقف أعمالة الحربية ضد أهل هذه البلاد فقد جَّد علي الساحة السياسية في الدولة الأموية أمر شغله عما عداه عندما وصل سليمان بن عبد الملك الي سدة الخلافة الاموية بعد وفاة الوليد . (٢٠٧)

و لم تكن سماء العلاقات بينة و بين سليمان صافية فقتيبة أنشأ يتوجس خيفة من الخليفة الجديد إذا كان أيّد سلفة الوليد ابن عبد الملك حين أزمع عزل أخيه سليمان عنها و جعلها لولده عبد العزيز بن الوليد (٢٠٨)

ليس هذا فحسب بل إن موقف سليمان بن عبد الملك من يزيد بن المهلب والي خراسان الأسبق و ضمه له و اتخاذ إياه واحداً من كبار رجاله (٢٠٩)

---

(٢٠٦) الطبري - الرسل و الملوك - ج٦ - ص ٥٠٢ ، ٥٠٣ ابن خلدون - تاريخة - ص ٨٥ .

(٢٠٧) العمراني - الانباء في تاريخ الخلفاء ص ٥٠

السيوطي - تاريخ الخلفاء - ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٢٠٨) الطبري - الرسل و الملوك - ج٦ - ص ٥٠٦

(٢٠٩) ابن الاثير - الكامل - ج٤ - ص ٥٨٣، ٥٨٤ ، ابن الجوزي - المنتظم - ج٤ - ص ٤٧٦ .

جعل قتيبة يرتاب في موقف سليمان منه فاعتقد جازماً أنه سيعزلة ليجعل خراسان الي يزيد بن المهلب من جديد ، لأنه ما تركها إلا بعد حيلة صنعها الحجاج له كما رأينا فيما سبق .

قرر قتيبة أن يبادىء سليمان بأمره قبل أن ياتية من قبله العزل الذي يخشاه ، فأرسل إلي الخليفة سليمان ثلاثة كتب مع البريد و امر صاحب البريد أن يدفعها إلي الخليفة واحداً بعد آخر ، فضمن كتابة الأول تعزيتة له و تهنئتة بولايتة ، و ذكر فيه بلاءه و عناءه و قتاله و هيبته في صدور الأعداء ، و ما فتح الله من البلاد و المدن و الأقاليم الكبار علي يديه ، و أنه له علي مثل ما كان للوليد من الطاعة و النصيحة ، إن لم يعزله عن خراسان ، و نال في هذا الكتاب من يزيد بن المهلب أيضاً ، و يقسم فيه لئن عزله وولي يزيد ليخعلن سليمان عن الخلافة ، و كتب كتاباً ثالثاً فيه خلع سليمان بالكلية ، و بعث بها مع البريد و قال له : ادفع إليه الكتاب الأول ، فإن قرأه ودفعه إلي يزيد بن المهلب فادفع إليه الثاني ،فإن قرأه و دفعه إلي يزيد بن المهلب فادفع إليه الثالث فلما قرأ سليمان الكتاب الأول – و اتفق حضور يزيد عند سليمان – دفعه الي يزيد فقرأه ، فناوله البريد الكتاب الثاني فقرأه و دفعه الي يزيد ، فناوله البريد الكتاب الثالث فقرأه فإذا فيه التصريح بعزلة و خلعة ، فتغير وجهه ، ثم ختمه و أمسكه بيده و لم يدفعه إلي يزيد ، و أمر بإنزال البريد في دار الضيافة ، فلما كان من الليل بعث إلي البريد فأحضره و دفع إليه

ذهباً و كتاباً فيه ولاية قتيبة علي خراسان ، و أرســل مــع ذلــك الــبريد بريداً آخر من جهته ليقرره عليها ، فلما وصـــلا بــلاد خراســان بلغــهما أن قتيبة قد خلع الخليفـــة [٢١٠]

و الذي يمعن النظر في موقف قتيبة مــن خليفتــه الجديــد يجــد أن هذا القائد جانبه الصواب حين تعجــل الأمــر فخلــع الطاعــة قبــل أوبــة رسوله إليــه .

و لا يدري المرء سببا يعزو اليــه هــذا التصــرف مــن قبــل ذلــك القائد الذي مرّغ أنوف ملوك العجم في أوحــال خراســان ، وختــم أعنــاق كبار رجالهم و ســبي نســائهم إلا الغــرور الــذي تملكــه بســبب كــثره الفتوحات التي قام بــها حتــي وصــل حــدود الصيــن فحســب أن ذلــك سيمنعه من سليمان إن هو خلعة و من ثّم لا يضمــن لــه و لا أهــل هــذا الثغر (خراسان) فلو صح هذا الاعتقاد لدي قتيبة لكــان فــي عــداد مــن جهلوا طبائع القبائل التي قطنت خراسان ، و ممــن أصمــوا آذانــهم عــن الأخبار التي وقعت منهم مع الولاة الذين سبقوه فمــا فتنــه عبــد الله بــن خازم موقف بكير وبحير باللذين يغيبا عن والٍ يلي أمــر هــذا الاقليــم .

و الذي يدعم ما ذهبت اليه أن قتيبة حيــن جــهر بخلــع الطاعــة و الخروج علي الجماعة رقي مراقي المنــبر فخــاطب أهــل مصــره العــرب بأسلوب مستفز يبعث علي النفور من قيادته فــي وقــت كــان أحــوج مــا

---

[٢١٠] الطبري - تاريخ الرسل و الملوك - ج٦ - ص ٥٠٧ - ٥٠٨
ابن الجوزي - المنتظم - ج٤ - ص ٤٩٠

يكون الي تآلفهم و خضوعهم لطاعتـــه ووسـمهم بـالخور و الإنحطـاط (و الله لو اجتمعتم علي عنز ما كسرتم قرنـها ، يـا أهـل السـافلة - و لا أقول أهل العالية - يا أوباش الصدقة ، جمعتكم كمـا تجمـع إبـل الصدقـة من كـل أوب) (٢١١)

أخذ قتيبة بعد ذلك ينال في خطبتـة مـن قبيلـة بعـد أخـري ناعتـاً إياهم بأقرع النعوت ، فغضبـوا عنـد ذلـك و نفـرو عنـه و تفرقـوا و عملوا علي مخالفـة (٢١٢)

و لما عاتبة أقرباؤه و خلصـاؤه علـي أسـلوبه مـع رعيتـه مـن العرب لم يعد إلي رشده ، و من ثم يعمـل علـي اسـترضائهم بـل صمـم علي المضي قدماً في النيل منهم ، فقال قتيبـة لمـن عـاتبوه : إنـي لمَّـا تكلمت فلم يجبني أحد غضبت ، فلم أدر ما قلـت ، إن أهـل العاليـة كـإبل الصدقة قد جمعت من كل أوْب و أما بكر فإنها أمـه لا تمنـع يـد لامـس ، و أما تميم فجمل أجرب ، و أما عبد القيس فمـا يضـرب العـير بذنبـة ، و أمـا الازد فأعـلاجٌ شـرار مـن خلـق الله لـو ملكـت أمرهـم لوسـمتهم (٢١٣)

أيقن الخراسانيون أن لا مناص مـن مواجهـة حاسـمة لقتيبـة بـن مسلم ، فراح العديد من رجالهم يبحثون عـن رجـل يكـون اليـه أمرهـم

---

(٢١١) الطبري - الرسل و الملوك - ج٦ - ص ٥٠٩ .

(٢١٢) اليعقوبي - تاريخه - ج٢ -ص٢٩٥ ، ابن كثير - البداية و النهاية - ج٩ - ص ١٦٧

(٢١٣) الطبري - الرسل و الملوك - ج٦- ص ٥١١

بعد خلعهم لقتيبة بن مسلم ، فساروا الي حضين بن المنذر فلما كشفوا له مكنون صدورهم قال لهم : (إن جعلتم هذه الرياسة في تميم تم أمركم ، قالوا فمن تري من تميم ؟ قال أري أحد غير وكيع ، فقال حيان مولي بني شيبان : إن أحدا لا يتقلد هذا الأمر فيصلي بحره ، و يبذل دمه، و يتعرض للقتل ، فإن قدم أمير أخذه بما جني و كان المهنأ لغيره إلا هذا الاعرابي و كيع ، فإنه مقدام لا يبالي ما ركب ، و لا ينظر في عاقبة ، و له عشيره كبيره تطيعة و هو موتور يطلب قتيبة برياسته التي هدفها عنه و صيرها لضرار ابن حضين (٢١٤)

فاتي الناس وكيعا سرا فبايعة بالولايه ، فقاد ثله من رجاله و سار بهم الي دار قتيبة ، فأجهزوا عليه في ذي الحجة سنة ست و سبعين ، و قيل في التي تليها ، فقتلوا معه أحد عشر رجلا من بني مسلم فصلبهم وكيع. (٢١٥)

و بهذه النهاية المؤسفة طوي التاريخ صفحة واحد من أعظم رجالات العرب في الحروب بشهادة العجم أنفسهم إذ قال أحدهم و هو يلوم العرب علي تفريطهم في بطلهم : (يا معشر ، قتلتم قتيبة ، و الله لو كان قتيبة منا فمات فينا جعلناه في تابوت فكنا نستفتح به إذا غزونا . (٢١٦)

---

(٢١٤) الطبري - الرسل و الملوك - ج٦- ص ٥١١ ، ٢١٥ .

(٢١٥) الطبري - الرسل و الملوك - ج٦ - ص ٥١٦

(٢١٦) الطبري - الرسل و الملوك - ج٦ - ص ٥١٩

ومن العجب أنه لم يقتل بأيدي من جرعــهم كئـوس الـهزائم ، بـل كانت خاتمة حياته علي يد رفاقة في الكفاح مـن أجـل نشـر الديـن فـي ربوع هذا الإقليـم .

• ولاية يزيد بن المهلب الثانية علـي خراسـان

كانت خراسان موضع أولي الأمـر فـي الدولـة الإسـلامية فوالـي العراق حين يُعين عاملاً عليـها يتحـري فـي اختيـاره أن يكـون ممـن يعترفون له بجميل صُنعه ومن الواصلين لـه بالـهدايا و المنتظمـون فـي إرسال خراج البلد ، و لا يكـون ممـن تدفعـهم طموحـا إلـي الاسـتقلال بخراسان عن والي العـراق .

فلما ارتاب الحجاج في اخلاص يزيد بـن المـهلب لـه عمـل علـي عزله عن ولايته في المرة الأولي ، فترك يزيـد بـن المـهلب خراسـان و نفسه متعلقة بها يتمني العود إليـها مـن جديـد بـاذلاً فـي سـبيل ذلـك النفيس و الرخيـص .

و لم تكن تلك الحقيقة بالتي تغيب عن الـولاة الذيـن تعـاقبوا علـي خراسان بعد يزيد فقد رأيت خوف قتيبـة مـن عـودة يزيـد إليـها بعـد خلافة سليمان بن عبد الملك فكان ذلك الخـوف بمثابـة المسـمار الأخـير الذي دقه قتيبة في نعشـه .

لما تولي سليمان بن عبد الملك الخلافـة عـهد ببـلاد العـراق إلـي يزيد بن المهلب ، و مع عظـم العمـل الـذي تـولاه يزيـد إلا أن نفسـه ظلت متعلقة بخراسان فأنشأ يعمل من بلاد العـراق علـي جعـل سـليمان ابن عبد الملك يدفع بـها إليـه . (٢١٧)

---

(٢١٧) ابن الجوزي - المنتظم - ج٤ - ص ٤٩٥

فيذكر الطبري أن يزيد دعا اليه عبد الله بن الأهتم (فقال إني أريدك لأمر قد أهمني ، فأحب أن تكفينية ، قال : مرني بما أحببت ، قال : أنا فيما تري من الضيق ، و قد أضجرني ذلك ، و خراسان شاغرة برجالها ، و قد بلغني أن أمير المؤمنين ذكرها لعبد الملك بن المهلب ، فهل من حيله ؟ قال : نعم ، سرّحني إلي أمير المؤمنين ، فإني أرجو أن أتيك بعهدك عليها ، قال : فاكتم ما أخبرتك به و كتب إلي سليمان كتابين : أحدهما يذكر له فيه أمر العراق . و أثني فيه علي ابن الأهتم و ذكر له علمه بها ، ووجه ابن الأهتم و حمله البريد . و أعطاه ثلاثين ألفا فسار سبعاً فقدم بكتابه ...... فقال له الخليفة : إن يزيد ابن المهلب كتب إلي يذكر علمك بالعراق وبخراسان ، ويثني عليك ، فكيف علمك بها ؟ قال : أنا أعلم الناس بها : بها ولدت ، وبها نشأت ، فلى بها وبأصلها خير وعلم . قال ما أحوج أمير المؤمنين إلى مثلك يشاوره فى أمرها : فأشر على برجل أوليه خراسان ، قال : أمير المؤمنين أعلم بمن يريد يولى ، فإن ذكر منهم أحدا أخبرته برأيى فيه ، هل يصلح لها أولا ، فسمَّى سليمان رجلاً من قريش ، قال : يا أمير المؤمنين ، ليس من رجال خرسان ، قال : فعبد الملك بن المهلب ، قال : لا ، حتى عَددّ رجالاً ، فكان فى آخر من ذكر وكيع بن أبى سود [٢١٨] فقال با أمير المؤمنين ، وكيع رجل

---

[٢١٨] استولى هذا الرجل على خراسان بعد قتله قتيبة مده تسعة أشهر كما أشرنا إلى ذلك سابقا وهو من بنى تميم وهذه القبيلة ذات شأن عظيم بخراسان فلعل هذا هو الذى دفع الخليفة سليمان

شجاع صارم بئيس مقدام ، وليس بصاحبـــها مـــع هــذا ، إنـــه لــم يقــد ثلثمائه قط فرأى لأحد عليه طاعه . قال : صدقـــت ويحــك ، فمــن لـــها ! قال : رجل أعلمه لم تسمه ، قال : فمن هـــو ؟ قـــال لا أبــوح باســمه إلا أن يضمن لى أمير المؤمنين ســتر ذلــك ، وأن يجــيرنى منـــه إن علــم ، قال : نعم ، سمه من هو ؟ قال : يزيد بن المــــهلب ، قـــال ذلــك بـــالعراق ، والمقام بها أحب إليه من المقام بخراسان ، قال : قـــد علمــت يــا أمــير المؤمنين ، ولكن تكرهه علـــى ذلــك ، فيســتخلف علـــى العــراق رجــلاً ويسير ، قال : أصبت الرأى : فكتب عهد يزيـــد علـــى خراســـان ، وكتـــب إليه كتابـــاً :

إن ابن الأهتم كما ذكرت فى عقلـــه ودينـــه وفضلـــه ورأيـــه ودفـــع الكتاب وعهد يزيد إلى ابن الأهتم ، فسار ســـبقاً فقـــدم علـــى يزيـــد فقـــال له : ماوراءك ؟ فأعطاه الكتاب ، فقال ويحـــك ، أعنــدك خــير ، فأعطـــاه العهد ، فأمر يزيد بالجهاز للمسير مـــن ســـاعته (٢١٩)

احتاج يزيد بن المـــهلب إلـــى بعــض الوقـــت كـــى يولـــى أعمالـــه بالعراق إلى رجال ينهضون بأمورها فرأى أنـــه مـــن الأجــدى لـــه تقديـــم ولده مخلد إلى خراسان ليمهد له الأمور بها حتـــى يصــل إليــها ويتولـــى تدبير شئونها بنفسه فكان أول عمل قام بـــه مخلــد ألقـــى القبــض علـــى

إلى ترشيحه لولاية خراسان بشكل دائم ابن الأثير - الكامل - ج٥ - ص ٢٥ ابن كثير - البداية والنهاية - ج ٩ ص ١٧٠ .

(٢١٩) الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج ٦ - ص ٥٢٣ : ٥٢٦ .

واليها الأسبق وكيع بن سود وعدد من رجالـــه [٢٢٠] ليـــس هـــذا فحســـب بل أن يزيد حين قدم خراسان سنة ســـبع وتســـعين هجريـــة نحـــي أهـــل خراسان وأدنى إليه أهل الشـــام [٢٢١]

كان يزيد بن المهلب وهو فـــى حضـــرة ســـليمان بـــن عبـــد الملـــك يتابع عن كسب أخبار الفتوحات التى قام بها قتيبـــة بـــن مســـلم .

فكلما رأى الحضور يذكرونه بالثناء على قيامه بها قلـــلّ يزيـــد مـــن أمرها لما بين الرجلين من تنافس أومأنا إليه فيما ســـبق فحيـــن قـــال لـــه سليمان بن عبد الملك (ألا ترى إلى مـــا يفتـــح الله علـــى قتيبـــة ! فيقـــول يزيد : ما فعلـــت جُرجـــان التـــى قطعـــت الطريـــق ، وأفســـدت قومـــس نيسابور ، و يقول هذه الفتوح ليست بشـــيء فـــي جرجـــان [٢٢٢] .

و كان أهل جرجان نقضـــوا عـــهدهم بعـــد مصالحتـــهم لســـعيد بـــن العاص حين قصدهم كما أسلفنا فقطعوا الطريـــق الموصـــل إلـــي خراســـان و فزعوا من سلكه من المســـلمين .

ظلت الحال علي هذا المنـــوال بيـــن أهـــل جرجـــان وولاة خراســـان فلم يجِّرد واحد منهم جيشاً إليها حتي عهد سليمان بـــن عبـــد الملـــك إلـــي يزيد بن المهلب بولاية خراســـان للمـــره الثانيـــة فـــأراد أن يقـــوم بعمـــل ينسي الناس الأمجاد التـــي ســـطرها قتيبـــة بفتوحاتـــه . فقصـــد جرجـــان بمائة ألف مقاتل ســـوي الموالـــي و المتطوعـــه ، و لـــم تكـــن جرجـــان

---

[٢٢٠] ابن الأثير - الكامل - ج٥ - ص ٢٥ .

[٢٢١] الطبري - الرسل و الملوك - ج٦ - ص ٥٢٨

[٢٢٢] النويري - نهاية الأرب - ج٢١ - ص ٣٤٩ .

يومئذ مدينة إنما هي جبال و مخارم و أبــواب يقــوم الرجــل علــي بــاب منها فلا يقدر عليه أحد ، فـــابتدأ بقهســتان فحاصرهــا ، و كــان أهلــها طائفة من الترك ، فقاتلـــهم قتــالاً شــديداً ، و اشــتدت الحــرب و قطــع عنهم المبرة ، فبعث دهقانها ، و اسمه صــول يطلــب مــن يزيــد الأمــان لنفسه و أهله و ماله ، و يسلم إليه المدينـــة بمــا فيــها ، فأمَّنــه ووفــيَّ له ، و دخل المدينه فقتل بها أربعـــة عشــر ألــف تركــي صــبراً [٢٢٣] و أخذ ما فيها من الكنوز و الســـبي و غــير ذلــك ثــم خــرج حتــي أتــي جرجان فهابه أهلها و أتوه و صالحوه فأجابـــهم إلــي ذلــك [٢٢٤]

عاد أهل جرجان إلي سيرتهم الأولي فنقضوا مــن جديــد العــهد مــع يزيد فسار إليهم وهم يتوعدهم بسوء العقاب الــذي يجعــل خــبرهم عــبرة لكل من سولت له نفســـه مــن حكــام تلــك البــلاد نقــض العــهود مــع المسلمين فضرب يزيد علي جرجـــان حصــاراً لمــدة ســبعة أشــهر كــان أهلها خلال تلك المدة يخرجون إليه يقاتلونه ثم يــــأوون إلــي حصونـــهم.

دنا النصر من يزيد عندما جاءه رجلٌ " وقـــف علــي مكــان يمكــن للمسلمين منه مباغته أهل جرجان فلما أعلــم يزيــد بذلــك انتخــب ثلاثـــة

---

(٢٢٣) الصبرُ : نصب الإنسان للقتل فهو مصبور . وَ صَبرُ الانسان علي القتل نصبه عليه يقال قتله صبراً ، و قد َبره عليه ، و كل ذي روح يصبر حيا ثم يرمي حتي يقتل فقد قتل صبرا - ابن منظور - لسان العرب -ج٢ - ٢٣٩١ مادة صبر .

(٢٢٤) البلاذري - فتوح البلدان - ق٢ - ص ٤١٢ ،
الطبري - تاريخ الرسل و الملوك - ج٦ - ص ٥٣٥ : ٥٤١ ،
النويري - نهايه الأرب - ج٢١ ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

مائه من رجاله و جعل عليهم ولده مخلدا فقـــال لـــه و هـــو يرســـله إلـــي ذلك المكان من جرجان (إن غلبت علي الحياه فـــلا تغلبـــن علـــي المـــوت) فساروا ، فلما كان الغد وقـــت الظـــهر أحـــرق يزيـــد كـــل حطـــب كـــان عندهم ، فصار مثل الجبال من النيران فنظر العـــدو إليـــها فهالـــهم ذلـــك ، فخرجوا إليه : فتقدم يزيد نحوهم و دهمهم ابنه بمـــن معـــه قبيـــل العصـــر و هم آمنون من ذلك الوجه ، و يزيـــد يقاتلـــهم مـــن هـــذا الوجـــه ، فمـــا شعروا إلا و التكبير من ورائـــــهم ، فـــانقطعوا جميعـــا إلـــي حصنـــهم ، و ركبهم المسلمون ، فأعطوا بأيديهم ، و نزلوا علـــي حكـــم يزيـــد ، فســـبي ذراريهم ، و قتل مقاتلتهم ، و صلبهم في فرســـخين عـــن يميـــن الطريـــق و يساره ، و قاد منهم اثني عشر ألفا الـــي وادي جرجـــان فقتلـــهم [٢٢٥]

عمل يزيد بعد ذلك علي إنشـــاء مدينـــة جرجـــان لأول مـــره لتكـــون عامرة بالسكان فإنها كانت قبله مكانا خراباً لم يلـــق أهلـــه بـــالا للتخطيـــط العمراني فإلي يزيد يرجع الفضل في إنشـــاء هـــذه المدينـــة .

و لما عاد يزيد الي مرو أراد أن يرفـــع إلـــي ســـليمان أنبـــاء الفتـــح و الاموال العظيمة التي حصل عليـــها المســـلمون مـــن جرجـــان نصحـــة كاتبة ألا يُخبر سليمان بسوي الفتح و يغض الطـــرف عـــن المـــال .

و علل ذلك بقوله (لا تكتب بتسمية المـــال ، فـــإنك مـــن ذلـــك بيـــن أمرين : إما استكثره فأمرك بحملة ، و إمـــا ســـخت بـــه نفســـه فأعطاكـــه

---

[٢٢٥] البلاذري - فتوح البلدان - ق٢-ص ٤١٣ ، ٤١٤
النويري - نهاية الأرب - ج٢١ - ص ٣٥١ ، ٣٥٢

فتكلفت الهديه ، فلا يأتيه من قبلك شيء إلا استقلّه فكأني بك قد استغرقت ما سميت و لم يقع منه موقعاً ، و يبقي المال الذي سميت مخلداً في دواوينهم ، فإن ولي وال بعده أخذك به و إن ولي من يتحامل عليك لم يرض بأضعافه ، و لكن اكتب سله القدوم و شافهة بما أصبت فهو أسلم فلم يقبل منه ، فكتب بالمال الي سليمان) فكان مقداره علي قول من الاقوال أربعة آلاف ألف [٢٢٦]

وعندي أن يزيد بن المهلب جانبة الصواب في عدم الأخذ بنصيحة كاتبه فالفخر الذي توخي الحصول عليه باخضاعه لجرجان أعماه عن التدبر في الفوائد التي كان سيجنيها إن هو عمل بهذه النصيحة لا سّيما أن يزيد شاهد أحوال غير واحد من الولاة المعزولين و ما كان يلقي هؤلاء من إعساف علي يد من خلفوهم من ولاية الأقاليم و شأن كل رجل عظيم مثل يزيد أن يحتاط لنفسه من الوقوع في مثل ماقعوا فيه .

وعلي كل حال فقد وقع يزيد بن المهلب فيما كان حذرة كاتبه من الوقوع فيه فقد آلت خلافة الدولة الأموية إلي عمر بن عبد العزيز بعد وفاة سليمان بن عبد الملك سنه تسع و تسعين هجرية .

والخليفة الجديد عمر بن عبد العزيز لم يكن يحب يزيد بن المهلب فلما دفع إليه عدي بن أرطاه والي البصره شكاية بعض الخراسانيين من يزيد بن المهلب عامل خراسان إلي الخليفة أمر

---

[٢٢٦] النويري نهايه الارب - ج٢١ - ٣٥٢ ، ٣٥٣

بارسال يزيد إليه فقّيد [٢٢٧] عدي يزيدا و بعث بـه الـي عمـر بـن عبـد العزيز فلما وصل الي عمر سـأله عـن الأمـوال التـي كتـب بـها الـي سليمان ، قال : (إنما كتبت إليه لأسـمع النـاس ، و لـم يكـن سـليمان ليأخذني بشيء سمعت به ، فقال لـه : مـا أجـد فـي أمـرك إلا حبسـك فاتق الله و أد ما قبلك فإنها حقوق المسـلمين لا يسـعني تركـها فحبسـة الي أن مرض عمر [٢٢٨] ففر يزيد من سـجنه قبـل وفـاه عمـر بيوميـن ليكون له في البصرة و غيرها احوال مـن أولـي الأمـر فـي الدولـة إذ ذاك ليس هُنا مجال تناولـها [٢٢٩] فقـد قتـل الرجـل فـي يـوم الجمعـة الثاني عشر من صفر سنة اثنتيـن و مائـة علـي يـد رجـل مـن جنـد مسلمة ابن عبد الملـك [٢٣٠]

- **ولاة خراسان بعد ولاية يزيد بن المـهلب الثانيـة**

آل أمر خراسان بعد رحيل يزيـد بـن المـهلب عنـها فـي ولايتـه الأخيرة إلي الجراح بـن عبـد الله الحكمـي فقدمـها سـنة تسـع و[٢٣١] تسعين للهجرة ، و الوالي الجديد لم يكن يميـل الـي الأنـاة فـي معالجـه

---

[٢٢٧] الطبري - الرسل و الملوك - ج٦ - ص ٥٥٤ .

[٢٢٨] ابن خلدون - تاريخه - ج٣ - ص ٩٤ ، ٩٥ ، عبد السلام الترمانيني - أزمنة التاريخ الاسلامي - م ق ص ١٣٨

[٢٢٩] اليعقوبي - تاريخه - ج٢ - ص ٣٠٨

[٢٣٠] خليفه بن خياط - تاريخة - ص ٣٢٥

[٢٣١] الطبري- الرسل و الملوك - ج٦ - ص ٥٥٨

عبد السلام الترمانين - أزمنة التاريخ الإسلامي - م١ق١-ص١٣٨ .

لمستجدات أحوال مصره فكان يسوس رعيتة بالشدة و هذا بلا ريب لا يتفق مع سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي كان يقدم الحلم علي ما عداه في سياسته مع الرعية خلال مدة خلافته .

و مما يدعم رأينا أن الجراح حين وصل خراسان كتب إلي عمر بن عبد العزيز يقول : (إني قدمت خراسان فوجدت قوماً قد أبطر تهم الفتنة فهم ينزون فيها نزواً ، أحبّ الأمور إليهم أن تعود ليمنعوا حق الله عليهم ، فليس يكفهم إلا السيف و السوط ، و كرهت الإقدام علي ذلك إلا بإذنك) .

فكتب عمر إليه (يا بن أم الجراح ، أنت أخرص علي الفتنة منهم ، لا تضربن مؤمناً و لا معاهداً سوطا إلا في الحق ، و احذر القصاص فإنك صائر إلي من يعلم خائنة الأعين و ما تخفي الصدور ، و تقرأ كتاباً لا يغادر صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها) [٢٣٢] و لقد كان لسياسة الجراح مع موالي خراسان آثارها السيئة علي الدولة الأموية فإنه جعلهم من الطبقة الثانية في خراسان وآية ذلك ما قاله أحد الموالي [٢٣٣] للخليفة عمر بن عبد العزيز (يا أمير المؤمنين

---

[٢٣٢] الطبري - الرسل و الملوك - ج٦ - ص ٥٦٠ ابن الاثير - ج٥ - ص ٥٢ .

[٢٣٣] كان جهم بن زحر عامل يزيد علي جرجان قد اعتقل واليها الجديد الذي عينة عليها والي العراق و سار جهم الي الجراح فعفا عنه و ارشده الي غزو بلاد الختل حتي يعفو عنه الحليفة أن هو حصل الغنائم ففعل . و من ثم أرسل الجراح الي الخليفة بوفد يبشرة بالغنائم ضم اثنين من العرب وواحد من الموالي و هو الذي رفع شكياتهم الي عمر بن عبد العزيز الطبري - الرسل و الملو ك - ج٦ - ص ٥٥٩ ابن الاثير - ح٥ - ص ٥٠ .

عشرون ألفا من الموالي يغـــزون بـــلا عطـــاء و لا رزق ، و مثلـــهم قـــد أسلم من أهل الذمة يؤخذون بـــالخراج ، و أميرنـــا عصبـــي جـــاف يقـــوم علي منبرنا : أتيتكـــم حفيـــا ، و أنـــا اليـــوم عصبـــي ! و الله لرجـــل مـــن قومي أحبّ الي مائه من غـــيرهم . و بلـــغ جفائـــه أن كـــم درعـــه يبلـــغ نصف درعه ، وهو بعد سيف من ســـيوف الحجـــاج ، قـــد عمـــل بـــالظلم والعدوان ؛ فقال عمر إذن مثلـــك فليوفّـــد) [٢٣٢]

لكل ما تقدم فإن عمر بن عبـــد العزيـــز رأى واليـــه الجـــراح غـــير كفؤ لحكم هذا الإقليم الهام فعزل واليه الجراح عـــن خراســـان بعـــد حكـــم استمر سنةً وخمسة اشهر [٢٣٥] ، ثم قـــال الخليفـــة لخلصائـــة (ابغونـــى رجلاً صدوقاً اسأله عن خراسان ؛ فقيـــل لـــه : أبـــو مجلـــز لاحـــق بـــن حميد ، فكتب فيه فقدم عليه.. ، فقـــال لـــه الخليفـــة أخـــبرني عـــن عبـــد الرحمن ابن عبد الله قال يكافئ الأكفاء ، ويعـــادى الأعـــداء ، وهـــو أمـــير يفعل ما يشاء ، ويقدم إن وجد مَنْ يســـاعده . قـــال : عبـــد الرحمـــن بـــن نعيم ، قال ضعيف ليّن يجـــب العافيـــة وتـــاتى لـــه ؛ قـــال : الـــذى يحـــب العافية وتأتى له أحـــبّ إلـــىّ ؛ فـــولاه الصـــلاة والحـــرب ، وولـــى عبـــد الرحمن القشـــيرى الخـــراج ، وكتـــب إلـــى أهـــل خراســـان : انـــى عبـــد الرحمن على حربكم وعبد الرحمـــن ابـــن عبـــد الله علـــى خراجكـــم عـــن غير معرفة من بهما ولا اختيـــار ، الا مـــا اخـــبرت عنـــهما ، فـــان كانـــا

---

[٢٣٢] الطبرى - الرسل والملوك - ج٦ - ص ٥٥٩ .

[٢٣٥] الطبرى - الرسل والملوك - ج٦ - ص ٥٥٨ ، عبد السلام الترمانينى - ازمنه التاريخ الاسلامى - م١ ق ١ - ص ١٣٨

على ما تحبون فاحمدوا الله ، وان كان على غير ذلك فاستعينوا بالله ولا حول ولا قوة الا بالله) [٢٣٦]

وكدأب عمر بن عبد العزيز مع عماله كتب كتاباً الى واليه الجديد على خراسان يوصيه فيه بحسن معاملة الرعية ، وتحرى الدقة فى اختيار العمال واتباع شرعه الله فى سياسته ظاهراً وباطناً (أما بعد ؛ فكن عبداً ناصحاً لله فى عباده ، ولا يأخذك فى الله لومة لائم ؛ فإن الله أولى بك من الناس ، وحقه عليك أعظم ، فلا تولين شيئاً من أمر المسلمين إلا بالمعروف بالنصيحة لهم والتوفير عليهم ، وأداء الأمانة فيما استرعى ، وإياك أن يكون ميلك ميلاً الى غير الحق .فإن الله لا تخفى عليه خافيه ، ولا تذهبن عن الله مذهباً ؛ فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه " [٢٣٧]

استمر عبد الرحمن بن نعيم يدبر أمر خراسان ستة عشر شهراً من لدن وصوله إليها فى شهر رمضان سنة مائة حتى توفى عمر بن عبد العزيز فى الخامس والعشرين من رجب سنة إحدى ومائة ، وآل أمر الدولة الأموية إلى يزيد بن عبد الملك [٢٣٨] فجعل العراق إلى مسلمة بن عبد الملك [٢٣٩] الذى جعل والياً جديداً على خراسان عوضاً عن عبد الرحمن النعيمى [٢٤٠]

---

[٢٣٦] الطبرى - الرسل والملوك - ج٦ - ص ٥٦١

[٢٣٧] الطبرى - الرسل والملوك - ج٦ - ص ٥٦١ ، ٥٦٢ .

[٢٣٨] خليفة بن خياط - تاريخه - ص ٣٢١ ، العمراني - الانباء فى تاريخ الخلفاء - ص ٥٣ .

[٢٣٩] ابن مروان بن الحكم الاموى الدمشقى المكنى بابى سعيد الملقب بالجرادة الصفراء ، له حديث فى سنن ابى داود ، جاهد الدوم وحاضر القسطنطينية ، توفى سنة عشرين ومائه - الذهبى - السيَر - ج٦ - ص٦٨ ، ٦٩ .

[٢٤٠] الطبرى - الرسل والملوك - ج٦ - ص ٥٦٢ .

دفع مسلمة عمل خراسان إلى ختنه سـعيد بـن عبـد العزيـز ابـن الحارث بن الحكم بن أبى العاص الملقـب بخذينـة [٢٤١]

وكان الوالى الجديد على شـاكله مَـنْ سـبقهم مـن الـولاة فـألقى القبض على عمال سلفة عبد الرحمن القشيرى وفعـل نظـير ذلـك برجـالٍ كانوا يتولون بعض الأعمال ليزيد بـن المـهلب حيـن كـان واليـاً علـى خراسان؛ لتستمر سلسلة التصفيات الجسـدية لأبطـال العـرب المسـلمين بخراسـان لا لشـيئ سـوى أن كـل والٍ يريـد الانتقـام مـن أسـلافه ومعاونيهم وغالباً ما كـان ذلـك يتـم بنـاءاً علـى رأى لبعـض رجـال خراسان أبدوه للوالى القادم فـى حـق هـذا أو ذاك بقصـد الانتقـام ، أو أن شئت فقل بسبب العصبية القبليـة التـى كـانت تـأكل بنارهـا أعـلام خراسان بين الفينةِ والفينة.وهذا ما أدركـه سـعيد بـن خذينـة بعـد مـا أطلق يد الزبير بن نشـيط مولـى باهلـه وهـو (زوج أم الوالـى) فـى تعذيب عمال يزيد فأمات بعضهم وانـهك بـالعذاب بعضـهم الآخـر ممـن ظلوا على قيد الحياة فقـال سـعيد وهـو يواجـه الـترك متحسـراً علـى غياب جهم ابن زحر عن هذه المواجهة بسـبب قتلـه علـى يـد الزبـير (قبَّح الله الزبير فإنه قتل جـهماً)

---

[٢٤١] لقب بذلك لأنه حين قدم خراسان قدمها على بختية معلقاً سكيناً فى منطقته فدخل عليه ملك ابغرو سعيد متفضل فى ثياب مصبغة حوله مرافق مصبغة ، فلما خرج من عنده قالوا له : كيف رايت الامير ؟ قال : خذ ينية ، لمته سكينيه ، فلقب خذينه وخذينة هى الدهقانه ربه البيت - الطبرى - الرسل والملوك-ج٦ - ص ٦٠٥

ليس هذا فحسب بل إن وفاة حيان النبطى كانت من هذا القبيل أيضاً ، فإن سعيد بن خذينه حين عبر النهر الى الصفد ليضع حداً لتحالفهم مع الأتراك ضد المسلمين - كما سنبينه فى معركة قصر الباهلى - وتمكن من إلحاق الهزيمة بهم ، قال لأصحابه : (لا تتبعوهم فإن الصفد بستان أمير المؤمنين ، وقد هزمتموهم ، أتريدون بوارهم ؟ وقد قاتلتم يا أهل العراق الخلفاء غير مرة فهل ابادوكم ؟ وقال سورة بن الحر لحيان النبطى : ارجع عنهم يا حيان . قال : عقيرةً الله لا ادعها . قال : انصرف يا نبطى . قال : انبط الله وجهك).

آثار هذا الحوار حفيظة سورة بن الحر فأوقع بين والى خراسان سعيد خذينة وبين حيان النبطى وهو من أشجع فرسان خراسان فقال سوره بن الحر لسعيد : (إن هذا العبد أعدى الناس للعرب والوالى ، وهو أفسد خراسان على قتيبة ، وهو واثب بك مفسد عليك خراسان ثم يتحصن فى بعض هذه القلاع . فقال سعيد :لا تُسمعنّ هذا احداً . ثم دعا فى مجلسه بلبن وقد أمر بذهب ، فسحق وألقى فى اللبن الذى فى إناء حيان ، فشربه حيان ومات بعد أربعة أيام من ذلك [٢٤٢]

أما عن اختيار سعيد لعماله بخراسان فإنه حاول الافادة من رأى وجهاء البلدان فى اختياره لعماله الذين يتولون إدارة الأعمال ؛

---

[٢٤٢] ابن الاثير - الكامل - ج٥ - ص ٩٥ ، ٩٧

فلم يجدهم متفقين على رأيٍ بعينـــه يمكنـــه مـــن خلالـــه اختيـــار هـــؤلاء وتنحيه أولئك مما أطمع أهل البلاد فيه . وعلـــى كـــل حـــال فقـــد اســـتعمل سعيد على حرب الصفد عثمان بن عبـــد الله ابـــن مطـــرف بـــن الشـــخير وجعل الخراج الى سليمان بن ابى السَّرى وولى هـــراه معقـــل بـــن عـــروه القشـــيرى .[٢٤٣]

حمل سعيد بن خذينة على كاهلـــه عـــبء مواجهـــة الـــترك والصفـــد اللذين دأبا على نقض العـــهود مـــع المســـلمين ومهاجمـــة بلادهـــم فـــى خراسان والأعمال التـــى تتبعـــها فخـــاض جنـــد خراســـان معركـــة قصـــر الباهلى ضد الـــترك .

• معركة قصر البـــاهلى

اختلف المؤرخـــون حـــول الأســـباب التـــى أدت إلـــى نشـــوب تلـــك المعركة فعزاها بعضهم الى ما أشـــيع بيـــن وجـــهاء الـــترك مـــن ضعـــف والى خراسان فمنوا النفـــس بحـــرب المســـلمين وحيـــازة الأراضـــى مـــن أيديهم ومنهم من نسب نشوبها إلى رغبة عظيـــم مـــن عظمـــاء الدهـــاقين الزواج من امرأة من باهلة كانت فـــى قصـــر البـــاهلى فلمـــا أبـــت جيَّـــش عظيمهم الجيوش ورجوا أن يسبوا مَنْ فـــى القصـــر ، فـــأقبل كورصـــول حتى حصر أهل القصر وفيه مائـــة أهـــل بيـــت بذراريـــهم ، وكـــان علـــى سمر قند عثمان بن عبد الله بـــن مطـــرف بـــن الشـــخير ؛ فكتبـــوا اليـــه وخافوا أن يبطـــئ عنـــهم المـــدد فصـــالحوا الـــترك علـــى أربعيـــن ألفـــاً وأعطوهم سبعة عشر رجـــلاً رهينـــةً .

---

[٢٤٣] ابن الاثير الكامل - ج٥ - ص ٩٠ ، ٩١.

لبى عثمان بن الشخير نداء المستغيثين فجهز جيشا لنجدتهم بقيادة المسيب بن بشر الرياحى ؛ فلما سار بجنده من سمرقند قال لهم : (إنكم تقدمون على حلبه الترك عليهم خاقان ، والعوض إن صبرتم الجنة ، والعقاب إن فررتم النار ، فمن أراد الغزو والصبر فليقدم ؛ فرجع عنه الف وثلثمائه) .

وقد كرر القائد المسلم ذلك القول عليهم غير مرة فكان ينخزل عنه العدد الكبير من الرجال حتى وصلوا الى ارض المعركة بسبعمائة رجل هناك التقى بواحد من الأتراك الذين تمردوا على حكم كورصول ؛ فأوقف المسلمين على عورات الترك المحاصرين وأمدهم بثلاثمائة من الاتراك ليحاربوا معهم خاقان الترك فلما التفت الفئتان المسلمة بقيادة المسيب بن بشر الرياحى والتركية بقيادة كورصول عند قصر الباهلى انجلت المعركة عن هزيمة الأتراك ونجده المسلمين الباهليين المحاصرين ونهى القائد المسلم أتباعه عن ملاحقة الأتراك الذين ولو الأدبار فكانت هذه المعركة من المعارك الكبرى التى خاضها مسلموا خراسان ضد الترك . [٢٤٤]

استمر سعيد بن خذينة ينهض بأمر خراسان فى الداخل والخارج حتى آل حكم بلاد العراق الى عمر ابن هبيره [٢٤٥] سنة

---

[٢٤٤] الطبرى - تاريخ الرسل والملوك - ج٦ - ص ٦٠٧ : ٦١١ ، ابن الاثير - الكامل - ج٥ - ص ٩٢ : ٩٥ .

[٢٤٥] بن معية بن سكين بن خديج بن مالك بن سعد بن عدى بن خزاره شارك في غزو قسطنطيمية سنه سبع و مائه ، و اعتقلة خالد القسرى بعد ولايته العراق فاحتال غلمان عمر بن

ثلاث ومائة [٢٤٦] بعد عزل يزيد بن عبد الملك [٢٤٧] مسلمة عنها فأمر ابن هبيرة بعزل سعيد بن خذينة عن خراسان إثر شكاية في حق الوالي رفعها إليه اثنان من أهل خراسان .

وكان سعيد بن خذينة يجاهد أعداء الاسلام في سمرقند ، فقفل إلى مرو بعدما علم بنبأ عزله ليسلم البلاد لواليها الجديد سعيد بن عمرو بن الأسود بن مالك ابن كعب بن وقدان بن الحريش [٢٤٨] وكان سعيد في بدء امره من المغمورين فقيل : إنه كان سائلا يسأل على الابواب ثم صار يسقى الماء ثم جنديا بالجيش [٢٤٩]

والجدير بالذكر هنا أن الخليفة يزيد بن عبد الملك هو الذى اختار سعيدا الحرشي لعمل خراسان خلافا لما جرت به العادة في ذلك حيث إن اختيار والى هذا الإقليم كان إلى من يوليه الخليفة بلاد العراق والسبب في ذلك يعود الى أن الخليفة يزيد بن عبد الملك لما ولى عمر بن هبيره بلاد العراق على ما ذكرناه طلب منه أن يرسل

هبيرة حتى تمكنوا من اطلاق سراحة ، توفى نحو من سنة عشر ومائة عن عمر بلغ نيفا وخمسين عاما - ابن عساكر - تاريخ دمشق - ج٤٥ - ص ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، الذهبى - السير - ج٥ - ص ٤٥٥ .

[٢٤٦] ابن عساكر - تاريخ دمشق - ج٤٥ - ص ٣٧٤

[٢٤٧] بويع له لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة ، وتوفى يوم الخميس لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة . فكانت خلافته اربع سنين وشهرا واحدا . ابن العمرانى - الانباء فى تاريخ الخلفاء - ص ٥١ .

[٢٤٨] الطبرى - الرسل والملوك - ج٦ - ص ٦١٩ .

[٢٤٩] ابن عساكر -تاريخ دمشق - ج٢١ - ص ٢٤٥ .

اليه قائمةً بأسماء العرب الذين أبلوا بلاءاً حسناً فى موقعه العقر التى - أسلفنا ذكرها - فلم يضمن ابن هبيره قائمته اسم سعيد بن عمرو الحرشى . وكان الرجل أشهر من أن يتجاهل لماله من دور بارز اضطلع به فى جهاد الأعداء عند تخوم خراسان فسأل الخليفة عنه مرتاباً فى أمر تجاهل ابن هبيرة له ومن ثمَّ أزمع الخليفة دفع خراسان إليه [٢٥٠].

وعلى الرغم من أن الخليفة هو الذى فرض سعيداً على ابن هبيرة فإن والى العراق لم يضن بنصبحته لسعيد وهو يسيره الى خراسان فقال له : "يا سعيد اجعل حاجبك عاقلاً فإنه وجهك ، ولسانك ، والمخبر عنك ، والمؤدى اليك، وعليك بعمال العذر قال : وما عمال العذر ؟ قال : من شاورت فيه العامة فأشاروا عليك به ، فإنهم إن أحسنوا كان حسنهم لك وإن اساءوا اتسع العذر بينك وبينهم وبين الناس " [٢٥١]

قدم سعيد خراسان والمسلمون بها يجاهدون الترك فأنشأ يحمس المجاهدين للثبات أمام جحافل الأعداء بعدما كادت الهزيمة تحل بالمسلمين فمما قاله لهم :"إنكم لا تقاتلون عدوّ الإسلام بكثرة ولا بعُدَّة ، ولكن بنصر وعز الإسلام ؛ فقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله . فقال :-

---

[٢٥٠] ابن عساكر - تاريخ دمشق - ج٢١ - ص ٢٤٥ .

[٢٥١] ابن عساكر - تاريخ دمشق - ج٢١ - ص ٢٤٦.

فلست لعامر إن لم ترونى أمام الخيل أطعن بالعوالي
فأضربُ هَامَةَ الجبَّار منهُمْ بغضب الحدّ حودثَ الرّجالِ
فما انا فى الحرُوب بمُسْكينِ ولا اخشى مُصاولةَ الرّجالِ
ابى وَالدِى من كلّ ذمّ وخالي فى الحوادثِ خَيْرُ خالِ
إذا خَطرتْ امامى حيُّ كَعْب وزَافَتْ كالجبالِ بنوُهِلال(٢٥٢)

اما الصغد فان الفزع ألم بهم لما علموا بقدوم سعيد الحرشى إلى خراسان والياً وكان هؤلاء -كما ذكرت غير مرة - يظهرون التمرد على حكم المسلمين فيعطونهم الجزية حيناً ويمنعونها احياناً ؛ فقرر الصغد الخروج من بلادهم فراراً من سعيد الحرشى فلما أنهوا ذلك إلى ملكهم قال لهم :"أقيموا واحملوا له خراج ما مضى واضمنوا له خراج ما يأتى ، وعمارة الأرض ، والغزو معه إن أراد ذلك ، واعتذروا مما كان منكم ، وأعطوه رهائن .قالوا : نخاف ألاّ يقبل ذلك منا ، ولكنا نأتى خجنده (٢٥٣)فنستجير بملكها ، ،ونرسل إلى الأمير فنسأله الصفح عما كان منا . فوافقهم .

فخرجوا الى خجنده ، و أرسلوا إلى ملك فرغانه يسألونه أن يمنعهم ، وينزلهم مدينته ؛ فأراد أن يفعل فنهته أمه ؛ وقالت له :

---

(٢٥٢) الطبرى - الرسل والملوك - ج٦ - ص ٦٢٠ ، ٦٢١ .

(٢٥٣) بضم اوله وفتح ثانيه ونون ثم دال مهمله ، وهى بلده مشهور بما وراء النهر على شاطئ سيحون ، بينها وبين سمرقند عشرة ايام مشرقاً وهى مدينة نزهه ليس بذلك الصقع انزة منها ياقوت معجم البلدان - ج٣ - ص ٢١٦ .

فرّغ لهم رستاقاً يكــون فيــه فأرسـل إليــهم بذلــك فوافقــوا واختــاروا فسطاطا اخلاه ملك فرغانة لهم فأقــاموا بــه ."

وقبل انقضاء الأجل المضروب أرسل ملـــك فرغانـــة ابـن عـمٍ لــه إلى سعيد الحرشى وكان وصل الى قصر الريح فأطلعــــه علـــى مـــا اتفـــق ملك فرغانة عليه مع الصغـد وأغـراه بقصدهـم قبـل أن يدخلـوا بـــلاده ويبسط عليهم حمايتــــه .

فلما علم سعيد بالأمر أرسل مع رسول صـــاحب فرغانـــه عـــدداً مـــن المسلمين ليوافــوه بالحقيقـة فلمـا غـادروا قصـر الريـح نـدم سـعيد الحرشى على ما فعل فقرر اللحاق بهم ليحمى المســلمين مـــن أمـــر ربمـــا يكون بيَّته الفرغانيون لـــهم فمـر بأشروســنة فصــالح أهلــها . وحيـــن وصل سعيد إلى خجنده وجد أهلها قد اعدوا العـدة لمعركـة تكـون بينـــهم وبين المسلمين فحضـــروا خندقـاً فـــى ربضـــهم وراء البـــاب ، وغطـــوه بقصب وتراب ، وأرادوا إذا التقـــوا إن انـــهزموا دخلــوا مـــن الطريـــق ، ويشكل على المسلمين فيسقطون فـــى الخنـــدق . فلمـــا خرجـــوا قـــاتلوهم فانهزموا واخطئوهـــم الطريـــق فســـقطوا فـــى الخنـــدق ، فـــأخرج منـــهم المســـلمون أربعيـــن رجـــلاً ، وحصرهـــم الحرشـــي ، ونصـــب عليــــهم المجـــانيق .

فأرسل الصغد الى ملك فرغانة :إنك قـــد غـــدرت بنـــا ، وســـألوه أن ينصروهم ؛فقال : قد أتوكم قبل انقضاء الأســـجل ، ولســـتم فـــى جـــوارى ، فطلبوا الصلح ، وسألوا الحـــرش أن يؤمنـــهم ويردهـــم الـــى الصغـــد ،

فاشترط عليهم أن يردوا ما فى أيديـــهم مـــن نســـاء العـــرب وذراريـــهم ، وأن يؤدوا ما كســـروا مـــن الخـــراج ، ولا يغتـــالوا أحـــداً ، ولا يتخلـــف منهم بخجندة احد ، فإن أحدثوا حدثاً حلـــت دمـــاؤهم .

فخرج إليهم الملوك والتجار مـــن الصغـــد ، ونـــزل عظمـــاء الصغـــد على الجند الذين يعرفونـــــهم [٢٥٤]

بيد أن الصغد نقضوا الصلـــح الـــذى أبرمـــوه مـــع الحرشـــى والـــى خراسان ؛ فقتل الصغد مائة وخمســـين رجـــلاً مـــن أســـرى المســـلمين ، فقرر سعيد قتل الصغفـــد بعـــد عـــزل التجـــار عنـــهم ، فقاتلـــهم الصغـــد بالخشب ، ولم يكن لهم ســـلاح ، فقتلـــوا عـــن آخرهـــم ، وكـــانوا ثـــلاث آلاف ، وقيـــل : ســـبعة آلاف ، واصطفـــى الحرشـــى أمـــــوال الصغـــد وذارريهم [٢٥٥]ومن هناك سار إلى كـــش لإخضـــاع أهلـــها . [٢٥٦]

وعلى كل حال فان ســـعيداً اســـتمر يدبـــر أمـــر خراســـان ويجـــاهد أعداء الاسلام حتى قـــرر ابـــن هبـــيرة إقالتـــه ؛ وذلـــك لأســـباب اختلـــف المؤرخون فى تفصيلاتـــها وإن عـــادت جميعـــها إلـــى العـــداء المســـتحكم بين عمر بن هبيرة وسعيد بن عمـــرو الحرشـــى .

فيبدو أن كلا الرجلين اقرت فـــى نفســـيهما الظـــروف التـــى واكبـــت اعتلاء سعيد على كرســـى الإمـــارة بخراســـان فـــابن هبـــيرة رأى ســـعيداً

---

[٢٥٤] النويرى - نهاية الارب - ج٢١ - ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ .

[٢٥٥] ابن الاثير - الكامل - ج٥ - ص ١٠٩ ، النويرى - ج٢١ - ص ٣٨٠ .

[٢٥٦] سوف يقف القارئ الكريم على المزيد من المعلومات عما آل اليه امر جهاد الحرشى اعداء المسلمين فى كش وغيرها وهو يطالع موقف نصر بن سيار من والى خراسان سعيد الحرش.

مفروضاً عليه من قبل الخلافة وكان يريد آخراً يقـر لـه بفضلـه عليـه ، ومن ثمَّ يتفانى فى الاخلاص له وارســال الامـوال والـهدايا اليـه حتـى يظل محافظاً على رضاه عنـه .

وسعيد حين تولى رأى فى نفسـه نـداً لأمـير العـراق عمـر بـن هبيرة ، وليس ممن يأتمرون بأمره ، وهذا بلا ريـب أثـار حفيظـة عمـر بن هبيرة على عامله بخراسان فقـرر عزلـه .

وآية ذلك هذه الروايات المتعددة التى ذكرهـا الطـبرى والتـى تؤكـد للقارئ صحة ما ذهبنا اليه والتى منـها أن سـعيداً كـان يسـتخف بـأمر ابن هبيرة ؛ فكلما قدم الـبريد أو رسـول مـن بـلاد العـراق قـال لمـن حضر : " كيف أبو المثنىَّ ؟ ويقول لكاتبه : اكتـب إلـى أبـى المثنـى ولا يقول : (الأمير) ويكثر أن تقول : قـال أبـو المثنـىَّ ، فبلـغ ذلـك ابـن هبيرة فدعا جُميل بن عمران ؛ فقال له : بلغنـى أشـياء عـن الحرشـى ، فأخرج إلى خراسان ، وأظهر أنك قدمـت تنظـر فـى الدواويـن ، واعلـم لى علمـه .

فقدم جميل ؛ فقال له الحرشى : كيف تركـت أبـا المثنـى ؟ فجعـل ينظر فى الدواوين ، فقيل للحرشى : ما قدم جميـل لينظـر فـى الدواويـن ، وما قدم إلا ليعلم علمك فسمَّ بطيخةً ، وبعث بـها إلـى جميـل ، فأكلـها فمرض ، وتساقط شعره ، ورجـع إلـى ابـن هـبيره ، فعولـج واسـتبل وصح ، فقال لابن هبيرة : الأمر أعظم ممـا بلغـك ، مـا يـرى سـعيد إلا أنك عامل من عماله . فغضب عليـه وعزلـه وعذبـه ونفـخ فـى بطنـه

النمل ، وكان يقول سعيد حين عزله : لو سـألنى عُمر درهماً يضعه في عينه ما أعطيته ، فلما عذب أريّ ، فقال له رجل : ألم تزعم انك لا تُعطيه درهماً ! قال : لا تعنفّنى ، إنه لما اصابنى الحديد جزعت.[٢٥٧]

ومنها إن ابن هبيره غضب على سعيد الحرشى لماّ وجه والى العراق معقل بن عروه إلى هراه أما عاملاً وأما فى غير ذلك من أمور ، فنزل قبل أن يمر على الحرشى وأتى هراة ، فلم ينفذ له ما قدم فيه ، وكتب إلى الحرشى ، فكتب الحرشى إلى عامله

أن احمل الىّ معقلاً ؛ فحمله ؛ فقال له الحرشى : (ما منعك من إتيانى قبل أن تأتى هراه ؟ قال : أنا عامل لابن هبيرة ولانى كما ولاك ، فضربة مائتين وحلّقه) [٢٥٨] .

ومنها أيضاً ما روى أن عمر بن هبيره لما جاءه معقل بن عروة القشيرى مستشفعاً فى الحرشي قال له ابن هبيره (أنت بينى وبينه ، قدمت العراق فوليته البصره ، ثم وليته خراسان ، فبعث إلىّ ببرذون حطم [٢٥٩]واستخف بأمرى ، وخان فعزلته) .[٢٦٠]

وكيفما كان الأمر فان ابن هبيره قرر عزل سعيد عن خراسان بعد نجاحه فى إقناع الخليفة بأن سعيداً ينفر الناس عنه بسوء سياسته فيهم .

---

[٢٥٧] الطبرى - الرسل والملوك - ج٧ - ص ١٥ ، ١٦ .
[٢٥٨] الطبرى - الرسل والملوك - ج٧ - ص ١٦ .
[٢٥٩] يقال فرس حطم : إذا هُزل واسنّ فضعف - لسان العرب مادة حطم.
[٢٦٠] الطبرى - الرسل والملوك - ج٧ - ص ١٦ ، ١٧ .

ومن ثمَّ اختار عمر بن هبيرة مسلماً بن سعيد بن أسلم ابن زرعة بن عمرو بن خويلد الصّعق ، والياً على خراسان عوضاً عن سعيد الحرشي .

ولعل السبب الذى جعل عمرو بن هبيره يتجه ببصره إلى مسلم ابن سعيد راجع إلى أن والد الوالى كان قضى نحبه وهو يقاتل مع الحجاج بن أبى يوسف الثقفى أعداء الدولة الأموية ، ولحسن بلائه جعل الحجاج مسلماً ابن سعيد مع مع ولده فتأدب ونبل ؛ فلما قدم عدى بن أرطاة إلى البصرة أراد أن يوليه ، فشاور كاتبه ، فقال : وله ولايةً خفيفةً ثم ترفعه ، فولاه ولايةً ، فقام بها وضبطها وأحسن ، فلما وقعت فتنه يزيد بن المهلب حمل تلك الأموال إلى الشام ، فلما قدم عمر بن هبيره أجمع أن يولّيه ولاية ، فدعاه ولم يكن شاب بعد ، فنظر فرأى شيبةً فى لحيته ، فكبّر .

ثم سمر ليلة ومسلم فى سمره ، فتخلف مسلم بعد السُّمَّارة وفى يد ابن هبيره سفرجلة ، فرمى بها ؛ وقال : أيسرك أن أوليك خراسان ؟ قال : نعم ، قال : غدوة إن شاء الله . فلما أصبح جلس ودخل الناس ؛ فعقد لمسلم على خراسان وكتب عهده ، وأمر بالسير ، وكتب إلى عمال الخراج أن يكاتبوا مسلم بن سعيد [٢٦١]

كان مسلم بن سعيد على غرار أسلافه من الولاة فى مواجهته للترك والصغد فسار إليهم وبينما هو عند بخارى جاءه كتاب من خالد

---

[٢٦١] الطبرى - الرسل والملوك - ج٧ - ص ١٨ .

بن عبد الله القسرى [٢٦٢] يعلمه فيه بان امـــره العـــراق آلـت اليـــه بعـــد عزل ابن هبيرة عنها وطالب مســلماً بـــالمضى قدمـــاً فـــى جـــهاده ففعـــل حتى وصل فرغانة ومنها سار إلى مقاتلــــه الأتـــراك يقطـــع الفيـــافى فـــى القرى حتى كانت معركة العطـــش [٢٦٣] بيـــن الـــترك والمســـلمين بقيـــادة مسلم بن سعيد [٢٦٤]وحين آلت خلافة الدولـــة الأمويـــة إلـــى هشـــام بـــن عبد الملك [٢٦٥]سنة خمس ومائـــة [٢٦٦] طلـــب مـــن خـــالد بـــن عبـــد الله القسرى الذى ولاه العراق كما قلنا أن يســـيَر إلـــى خراســـان رجـــلاً يثـــق

---

[٢٦٢] ابو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن اسد بن كرز البجلى ، ولد من ام نصرانية وجده صحب رسول الله ﷺ تولى مكه للأمويين سنة تسع وثمانين للهجرة ولم يعزل عنها الا حين ولاه هشام بن عبد الملك العراق سنة ست ومائه ، روى عن أبيه عن جده ، وروى عنه اسماعيل بن ابى خالد وحميد الطويل وغيرهما . ابن قتيبه - المعارف - ص ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ابن خلكان :وفيات الاعيان - ج٢ -ص٢٢٦ ،الذهبي - السير - ج٣- ص١٠١ ابن حجر -التهذيب - ج٢ - ص ١٠١ .

[٢٦٣] أُجهد المسلمون فى هذه المعركة بسبب شدة حرارة الجو من ناحية ومن ناحية أخرى ندرة الماء مع كثرة الطلب عليه إلى حد أن أحد المسلمين نزع إناء الماء من يد الأمير مسلمة بن سعيد ليشربه دونه فلما حاول حراس الأمير منعه قال لهم (دعوة فما نازعنى شربتى الا من حرٍ دخله) - الطبرى الرسل والموك - ج٧ - ص ٣٤ . ولسوف يطالع القارئ المزيد من التفاصيل عن معركة "يوم العطش " اثناء حديثنا عن نصر بن سيار وموقفه من مسلم بن سعيد

[٢٦٤] النويرى - نهاية الارب - ج٢١ - ص ٤٠٤

[٢٦٥] أبو الوليد ، ويعرف بالأحوال ، بويع له بالخلافة فى رمضان سنة خمس ومائة ، وكانت وفاته لعشر خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائه ، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وسبعة اشهر وخمسة عشر يوماً . . العمرانى - الانباء فى تاريخ الخلفاء ص٥٣ ، القرمانى - اخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ج٢ - ص ٤٨،٤٩ ، ٥٠ .

[٢٦٦] السيوطى - تاريخ الخلفاء - ص ٢٤٧ .

به لبوليه أمورها فأشخص خالدُ إليـــها أخـــاه أســـداً [٢٦٧] ابـــن عبـــد الله بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر بـــن عبقـــرى أبـــو عبـــد الله – ويقـــال أبو المنذر – البجليّ القشْـــرى [٢٦٨] روى عـــن أبيـــه [٢٦٩] وأبـــى يحيـــى بن عفيف والحجاج بن يوسف الثقفى . وروى عن اسد ســـلم بـــن قتيبـــة بن مسلم الباهلى ، وسعيد بن خيثـــم الـــهلالى. اختلـــف علمـــاء الحديـــث فى صحة روايته فمنهم من وثقها ومنـــهم مـــن ضعفـــها [٢٧٠]

لما قدم أسد خراسان أنشأ يعيـــن عمالـــه علـــى مناطقـــها[٢٧١] ولقـــد أحسن أسد بن عبد الله إلى سلفه على خراسان مســـلم بـــن ســـعيد فحملـــه مكرماً إلى اخيه خالد بن عبد الله القشرى ببـــلاد العـــراق .

ولقد اهتم أسد بالعمارة خلال ولايته الأولـــى بخراســـان فأعـــاد بنـــاء مدينة بلخ على نفقة جميع الكُورة حسب خراج كـــل واحـــدة منـــها وجعـــل الاشراف على ذلك إلى برمك أبى خالد بن برمك ونقـــل إليـــها بعـــد بنائـــها مَنْ كان بالبروقان من الجند فأســـكنهم و أقطعـــهم المنـــازل [٢٧٢]

---

[٢٦٧] خليفة بن خياط - تاريخه - ص ٣٣٦ ، اليعقوبى :البلدان - ص ٦٦ ، ابن الجوزى : المنتظم - ج٤ - ص ٧٩ .

[٢٦٨] ابن حجر -التهذيب - ج١ - ص ٢٦٠ .

[٢٦٩] حدثنى ابى عن جدى أن النبى "ﷺ" قال :"لا يؤمن احد حتى يُحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، ولا يؤمن احدكم حتي يأمن من جاره ستره "ابن عساكر - تاريخ دمشق - ج٨ - ص ٣١٣.

[٢٧٠] ابن عساكر - تاريخ دمشق - ج٨ - ص ٣١٥ / ابن حجر - التهذيب - ج١ - ص ٢٦٠ .

[٢٧١] الطبرى - الرسل والملوك - ج٧ - ص ٣٧ ، ٣٨ / النويرى نهاية الارب - ج٢١ - ص ٤٣٣.

[٢٧٢] الطبرى - الرسل والملوك - ج٧ - ص ٤٠ ، ٤١ .

وفى ولاية أسد بن عبد الله الأولى على خراسان تسلل دعاة العباسيين إليها ذلك أن محمداً بن على بن عبد الله بن العباس أرسل زياداً أبا محمد مولى همدان إلى خراسان فلما قدمها دعا إلى بنى العباس ، وذكر سيرة بنى مروان وظلمهم ، وجعل يطعم الناس الطعام ، فقدم عليه غالب من أبر شهر ، فكانت بينهم منازعة ، غالب يفضل آل ابى طالب وزياد يفضل بنى العباس ، ففارقه غالب وأقام زياد بمروشتوة ، وكان يختلف إليه من أهل مرو يحيى بن عقيل الخزاعى ، و إبراهيم بن الخطاب العدوى .

فلما علم الحسن بن شيخ (عامل الخراج بمرو) بأمرهم رفعه إلى أسد بن عبد الله فاستدعاهم إليه فلما مثلوا بين يديه قال أسد لزياد أعرفك ؟ قال : نعم ، قال له أسد : رأيتك فى حانوت بدمشق ، قال : نعم ، قال له : فما هذا الذى بلغنى عنك ؟ قال : رفُع إليك الباطل ، إنما قدمت خراسان فى تجارة ، وقد فرّقت مالى على الناس ، فإذا صار إلىّ خرجت . قال له أسد : اخرج عن بلادى ، فانصرف ، فعاد إلى أمره فرفع الحسن أمره مرة ثانية إلى أسد بن عبد الله ، وعظّم عليه أمره ، فأرسل إليه فجاء فقال له : ألم أنهك عن المقام بخراسان قال : ليس عليك أيها الأمير منى بأس ، فأحفظه وأمر بقتلهم ، فقال له أبو موسى ، فاقض ما أنت قاضٍ فازداد غضباً ، وقال له اسد أنزلتنى منزله فرعون ! فقال له : ما انزلتك ولكن الله انزلك . فقتلوا ، وكانوا عشرة من اهل بيت الكوفة .

وقيل أن أسد عرض على دعاة العباسيين البراءة ، فمن تبرأ منهم مما رفع عليه خلّى سبيله ، فأبى البراءة ثمانية منهم ،و تبرأ اثنان .

فلما كان الغد أقبل أحدهما وأسد فى مجلسه ؛ فقال : أليس هذا اسيرنا بالامس ! فأتاه ، فقال له : أسالك أن تلحقنى بأصحابى ، فقتله . " (٢٧٣) .

والجدير بالذكر أن هذا الوالى يعد من أهم ولاة خراسان الذين حكموها فى بداية القرن الثانى الهجرى حيث حكم البلد ثلاث مرات(٢٧٤) كان فى كل مرة منها يأخذ الرعية بالشدة فى الوقت الذى كان فيه دعاة بنى العباس يحققون النجاح تلو الآخر فى خراسان - كما سنرى ونحن نطالع أخبار نصر بن سيار - فَنفَّر الناس بها من الحكم الأموى والتفوا حول أئمه الدعوة العباسية .

يضاف إلى ما تقدم خطر الاتراك والصغد فإن الرجل لم يكن على شاكله أسلافه من الولاه فى التصدى لهم حيث لم يحسن الافادة من وجهاء هذا الإقليم بل على النقيض من ذلك عمد إلى إلحاق الإهانة برموز رجال خراسان مثل نصربن سيار وسلمه بن الأحوز وغيرهما (٢٧٥) مما تسبب فى تدخل الخليفة هشام بن عبد الملك فأمر بعزل (٢٧٦)أسد بن عبد الله عن خراسان سنة تسع ومائة بعد الذى

---

(٢٧٣) الطبرى - الرسل والملوك - ج٧ - ص ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ .

(٢٧٤) ابن عساكر - تاريخ دمشق - ج٨ - ص ٣١٥

(٢٧٥) ابن خلدون - العبر - ج٣ - ص ١٠٨ .

(٢٧٦) الطبرى - الرسل والملوك - ج٧ - ص ٤٩ ، ابن عساكر - تاريخ دمشق - ج٨ - ص ٣١٥

رآه منه فى هذا الإقليم من سوء سياسته مع أعــلام البلــد وزمــه لقبيلــة تميم-(٢٧٧) فترك اسد البلد إلى عوانه بن الحكم الكلبى الــذى لــم يقــم بــها إلا صيفيه (٢٧٨) عزل بعدهــا لتــؤول البــلاد إلــى أشــرس بــن عبــد الله السـلمى .

والوالى الجديد عرف بيــن النــاس بفضلــه وخــيرة حتــى ســموه بالكامل فلما سار إلى خراسان دخلها على حمار فقــال لــه حيــان النبطــى : " أيها الأمير ، إن كنت تريد أن تكون والــى خراســان فــاركب الخيــل ، وشدّ حزام فرسك ، وألــزم الســوط خاصرتــه حتــى تقــدم النــار ، وإلا فارجع . قال : أرجع إذن ، ولا أقتحم النــار ياحيــان .فركــب الخيــل بعــد ذلك "

ولما استوى أشرس على كرســى إمارتــه بخراســان عيّــن العمــال واستقضى القضاه وبدأ يعد لمجاهدة الترك فســار إلــى آمــل فقــاتل بــها الترك مدة ثلاثة أشهر سالت فيها على ظبا الســيوف مئــات الأنفــس مــن كِلاّ الفريقين فألجأ أشرس ابن عبد الله إلــى اطــلاق ســراح ثــابت قطنــه ليتقوى المسلمون به لما عرف عنه مــن رباطــة الجــأش وشــدة البــأس فكفله عبد الله بن بســطام .

وكان ثابت قطنة عند حسن ظن أهــل خراســان بــه فــراح يحمــس على الجهاد نظراءه من الأبطال فالتنقى بعبــد الملــك ابــن دثــار البــاهلى فقال له :" هل لك فى الجهاد ؟ فقــال: امــهلنى حتــى اغتســل وأتحنــط . فوقف له حتى اغتسل " سار ثابت قطنة بمن معــه يريــد محاربــة الــترك

-(٢٧٧) سوف يطالع القارئ الكريم تفاصيل كثيرة عن مجاهدة اسد للترك وموقفه من اعلام خراسان وهو يطالع اخبار نصر بن سيار مع هذا الوالى.

(٢٧٨) الطبرى - الرسل والملوك - ج٧ - ص ٤٩ .

وحلفائهم فلما صار وجهاً لوجه قـا ثـابت لأصحابـه : أنـا أعلـم بقتـال هؤلاء منكم ، وحرّضهم ، فحملوا ، واشتد القتـالُ ، فقـال ثـابت قطنـه : اللهم إني كنت ضيف ابن بسطام البارحـة فـاجعلني ضيفـك الليلـة ، والله لا ينظر اليّ بنو امية مشـدوداً فـى الحديـد . فحمـل وحمـل أصحابـه ، فرجع أصحابه وثبت هـو ، فرُمـى برذونـه فشـب ، وضربـه فـأقدم ، وضرب ثابت فارتث فقال وهو صريع : اللهم انـى اصبحـت ضيفـاً لابـن بسطام وأمسيت ضيفك ! فاجعل قراى منك الجنـة ! فقتلـوه وقتلـوا معـه عدّه من المسـلمين .(٢٧٩)

ويلوح لى أن موقف ثابت قطنـه واترابـه حفّـز غـير واحـد مـن المسلمين على الاستنساد فى مجـاهدة الـترك فـاجتمعت عصبـة منـهم فتبايعوا على الموت فحملوا علـى العـدّو فقـاتلوهم فكشـفوهم وركبـهم المسلمون يقتلونـهم (٢٨٠) .

وعلى الرغم من الانتصار الذى احـرزه اشـرس علـى الـترك فـى هذه المعركة فان هؤلاء ما فتئوا يمنـون النفـس النيـل مـن المسـلمين فـاعدوا ، ، واسـتعدوا لخـوض غمـار معركـةٍ كبـيرةٍ بينـهم وبيـن المسلمين عند كمرجـه .

- **موقعة كمرجـة (٢٨١)**

كانت كمرجـة مـن المنـاطق التـى اهتـم المسـلمون بتحصينـها فأحاطوها بالخنادق فلمـا وافاهـا الـترك وقفـوا علـى حافـة خنادقـها

---

(٢٧٩) ابن الاثير - الكامل - ج٥ - ص ١٥٠ ، ١٥١

(٢٨٠) الطبرى : الرسل والملوك - ج٧ - ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٢٨١) بفتح اوله وثانية وسكون الراء وجيم .قرية من قرى الصغد ياقوت -معجم البلدان -ج٧ - ص ١٥٢ .

محاصرين للمسلمين وشنوا عليهم حرباً نفسية بقصد النيل من معنوياتهم فراح ابن خسرو بن يزد جرد يراودهم على تسليم البلد إذ لا طاقة لهم بالدفاع عنها امام الترك المتكاثفة أعدادهم فقال لهم :" يا معشر العرب لِمَ تقتلون أنفسكم ؟! أنا الذى جئت بخاقان ليردَّ علىَّ مملكتى ، وانا آخذ لكم الامان ، فشتموه ، وأتاهم بازغرى ، فقال : إنَّ خاقان يقول لكم : إنى أجعل مَنْ عطاؤهم منكم ستمائة ألفاً ،ومَنْ عطاؤه ثلاثمائه ستعمائه ، ويُحسن إليكم وتكونون معه ، فأبى المسلمون ذلك ، فأمر خاقان بجمْع الحطَب الرطْب ، وأن يُلقى فى الخندق ليعبروا عليه . فجمُع فى سبعة ايام ، فكانوا يُلقون الحطب الرَّطب ، ويُلْقى المسلمون فيه الحطب اليابس حتي سوي الخندق بالأرض، فأشعل المسلمون النيران ، وهاجت ريحُ شديدةٌ ، فاحترق الحطَبُ الذى جُمع فى سبعةِ ايام فى ساعةٍ واحدة (٢٨٢).

وهكذا رأينا الترك يريدون طم الخندق بالحطب الرطب حتى تعبر عليه خيولهم فَيَلجُونَ والمسلمون يقفون لهم بالمرصاد فيجعلون الحطب الجاف فى الخندق حتى إذا ما عبرت خيول الترك عليه تهشم ، ومن ثَمَّ تتعثر فى العبور إلى الجانب الآخر فيكون فرسانها صيداً سهلا لسهام المسلمين .

وبينما يعلق كلا الفريقين آمالاً كباراً على جنى ثمار جهده المبذول فى سبعة أيام متصلة إذا بقدرة الله تحسم الأمر وتجعل النصر فى جانب أولئك الذين نصروا الله فنصرهم فإن النيران أتت على الأخضر واليابس من هذا الحطب فأحرقت معه أمانى الترك

---

(٢٨٢) النويرى - نهاية الارب - ج٢١ - ص ٤١٠ ، ٤١١ .

الذين لم يعتبروا بهذه الآيـــة العظيمـــة فـــأزمعوا تكـــرار محاولـــة عبـــور الخندق مرة ثانية مستغلين فى ذلـــك مالديـــهم مـــن أغنـــام وفـــيرة فـــأمر خاقانهم بذبح العدد الوفير منـــها لأكـــل لحومـــها وحشـــو جلودهـــا ترابـــا ومن ثم القائها فى الخندق حتى يجعلوا منها جســـرا يعـــبرون عليـــه إلـــى كمرجه ، فلما فعل الترك ما أمرهم بـــه خاقانـــهم أرســـل الله علـــى البلـــد سيلا شديدا فحمل ما فى الخندق والقاه بالنـــهر الكبـــير المحيـــط بـــالبلده ، فاهتبل المسلمون هذه الفرصة فرموا الـــترك بالســـهام وقتلـــوا بـــازغرى وكان من دهاتهم وممن لا يرد لهم خاقان الـــترك رأيـــا ففـــرح المســـلمون بقتله فرحا عظيما وعدوها أرهاصة للانتصـــار علـــى الـــترك وبعـــد ذلـــك الحصار الذى استمر ثمانية وخمسين يومـــا لـــم يســـتطع المســـلمون فـــى خمسة وثلاثين يوما منها أن يســـقوا إبلـــهم .

اتفق الفريقان على أن يرحل خاقـــان عـــن كمرجـــة ، ويرحلـــوا هـــم عنها أيضا إلى سمرقند والدبوســـية ، فاجـــاب اهـــل كمرجـــة إلـــى ذلـــك وأخذت كل طائفة منهما الرهائن من الاخرى ضمانـــا للوفـــاء بمـــا اتفـــق عليـــه(٢٨٣)

وهكـــذا وضعـــت حـــرب كمرجـــة اوزارهـــا دون أن يحقـــق الـــترك مأربهم فى السيطرة عليها وســـبى مـــن بـــها - صحيـــح - أنـــها انتـــهت بإخلاء البلد من المسلمين لكـــن الآيـــات التـــى أيـــد الله بـــها جنـــده فـــى كمرجه لإمراء افادت المسلمين بخراسان حيـــن تنـــاقل اخبارهـــا الركبـــان الذين انتقلوا من مكان إلي اخـــر .

---

(٢٨٣)الطبرى - الرسل والملوك -ج٧- ص ٦٤ ، ٦٥ .

لم تكد تمضى سوى عشية أو ضحاها علـــى موقعــة كمرجــة حتــى غربت شمس أشرس بن عبد الله عن خراســـان فقــد دفعــها هشــام ابــن عبد الملك إلى الجنيد بن عبــد الرحمــن

ولقد ذكر الراوه أن اختيــاره راجــع إلــى هدايــا كــان اعطاهــا لام الخليفة ثم لـــه [٢٨٤]

وعندى أن هذه الراوية غير مقبولـــة لأن مــن يقــرأ تــاريخ هشــام بن عبد الملك ويمعن النظر فيما ذكره الـــراوة عنـــه وهـــو يختـــار ولاتـــه على الاقاليم يجده مدققـــا متحريـــا اختيـــار العمـــال العـــدول ولا أتصـــور قلادة مهما كان حجمها وعظم ثمنها بـــالتى تسـيل لعـــاب الخليفـــة حتـــى يبذل خراسان لمن اعطاه اياها ثمنـــا لـــها ، والصحيـــح أن الجنيـــد كـــان من الرجال الاكفاء الذين رآهم هشام جديريـــن بولايـــة خراســـان مـــن ثـــم ولاه .

ولسوف يرى القارئ فيما يلـــى مـــن صفحـــات الكتـــاب مـــا يؤكـــد وجهة نظرنا هذه وهو يطالع اختيـــار الخليفـــة هشـــام لنصـــر بـــن ســـيار واليا على خراســـان .

وكيفما كان الامر فإن الجنيد قدم خراسان فـــى ســـنة احـــدى عشـــرة ومائة على ثمانية من دواب البريد فســـأل الخليفـــة اكـــثر مـــن ذلـــك فلـــم يفعل فلما وصلها كان أشرس بن عبـــد الله يقـــاتل أهـــل بخـــارى والصغـــد فارسل اليه الجنيد مددا بقيادة عامر بـــن مـــالك الحمـــامى ، فنجـــح هـــذا

---

[٢٨٤] الطبرى - الرسل والملوك - ج٧ ص ٦٧ .

القائد فى الوصول إلى الجنيد بعد تغلبه على الترك الذين حاولوا الحيلوله بينه وبين الوصول إلى الجنيد بن عبد الرحمن (٢٨٥)

تقوّى الوالى الجديد بهذا المدد وحارب الترك على بُعْد فرسخين من بَيكَنْد وكادت الدائرة تدور على المسلمين ووالى خراسان الذى نجا من القتل بصعوبة غير أن الجنيد استطاع بفضل معاونة رجاله الأكفاء تحويل كافة المعركة لصالحة فأسر ابن القائد التركى وارسل إلى هشام بن عبد الملك بكتاب بخبره فيه بالانتصار العظيم الذى احرزه على الترك المتربصين بقوات الدولة الاموية فى خراسان (٢٨٦)

وعلى كل حال فان الجنيد بن عبد الرحمن اهتبل فرصة هزيمة الترك وعاد إلى مرو فانشا ينظم ادارة امارته فعين عماله على المناطق التابعة لخراسان من قبيلة مضر فجعل قطن بن قتيبة على بخارى ، والوليد بن القعقاع العبسى على هراة - وحبيب بن مرة العبسي على شرطة ، وعلى بلخ مسلم بن عبد الرحمن الباهلى (٢٨٧)

والدارس للحقبة التى حكم فيها الجنيد بن عبد الرحمن خراسان يجد أن عهده شهد واحدة من كبريات المعارك الحربية التى خاضها المسلمون ضد الترك وهم يحاولون التصدى لخطر هؤلاء على الحكم الاموى لخراسان فان معركة الشعب كانت بمثابة اختبار للقوى من

---

(٢٨٥) النويرى نهاية الارب ج ٢١ ص ٤١٢ ، ص ٤١٣ .

(٢٨٦) الطبرى تاريخ الطبرى ج٧ ص ٦٨ .

(٢٨٧) الطبرى تاريخ الرسل والملوك ج٧ ص ٦٩ .

قبل التركى لهذا الوالى الجديد فهاجموا بقيادة خاقانـــهم ســمرقند فأرســل عاملها سورة بن الحر إلى أمير خراســان رســالة يســتمده فيــها حتــى ينقذ عمله من الترك الذى يتهددونه بألوف المقــاتلين وأنــه لا طاقــة لــه بمنعهم والذى يدلك على مدى حرج الجنيد بــن عبــد الرحمــن وان هــذه الموقعة كانت بمثابة امتحان دقيق لـــه وهــو يحكــم خراســان أن الرجــل قبل أن يأتيه خبر هجوم الترك على ســمرقند ســير جيوشــاً مــن عنــده للفتح فأمر عمارة بن حريم بالتوجه إلى طخارســتان فــى ثمانيــة عشــر الفاً وابراهيم بن بسام الليثى فــى عشــرة الآف فــى وجــه آخــر ولقــد أدرك حرج هذا الموقف عدد من كبار رجالــه بخراســان فحــذروا الجنيــد العبور إلى الترك لاستنقاذ سمرقند منهم مع ما هو فيــه مــن قلــة رجالــه في الوقت الذي حشد فيه الترك العدد الغفــير مــن المقاتلــة فقــالوا لــه : إن الترك ليسوا كغيرهم لا يلقونك صفا ، و لا زحفــا و قــد فرقــت جنــدك فمسلم بن عبد الرحمن بالنيروز [٢٨٨] و البحــتري بــهراة و لــم يحضــرك أهل الطالقان . و عمارة بــن حريــم غــائب . و قــال لــه المجشــر : إن صاحب خراسان لا يعبر النهر في أقل مــن خمســين ألفــا ، فــاكتب إلــي عمارة فليأتك و أمهل و لا تعجــل ، فقــال الجنيــد بــن عبــد الرحمــن : فكيف بسورة و من معه من المسلمين ؟ لو لم اكــن الا فــي بنــي مُــرة ، أو من طلع معي من أهل الشــام لعــبرت .

---

[٢٨٨] مدينو من نواحي السند بين الديبل و المنصورة علي نصف الطريق و لعلها الي المنصورة اقرب بينها و بين الديبل أربع مداخل ياقوت معجم البلدان ج٤ ص ٤٢٢

مضي الجنيد قدما في طريقه الــــي ســمرقند حتــي وصــل برجالــه الي الشعب الذي يفصله عــن ســمر قنـد أربعـة فراسـخ ، هنـاك دارت معركــة ضــروس بيــن المســلمين و الــترك ومــن آزرهــم مــن أهــل الصغانيان و الشاش و غيرهم فانهزمت ميمنــة المســلمين و أحيـط بـهم فأرسل الجنيد نصراً بن سيار فــي ســبعة نفــر مــن شــجعان المســلمين بخراسان فقاتلوا العدو قتالا نجحوا من خلالــه فــي رفــع الحصــار عــن بعــض فــرق المســلمين ممــا جعــــل هــؤلاء يثبتــون للــترك و يصبرون علي القتال حتي أعيــت الحــرب الــترك والمســلمين ، فكــانت السيوف لا تحيك و لا تقطع شيئا ، فقطع عبيدهــم الخشــب يقــاتلون بــه حتي مل الفريقــان[٢٨٩] .

و لم ينعم الجيشان بهدنة مؤقتة فــي هــذه المعركــة الا حيــن قــال خاقان الترك لقومة لمــا شــددوا الحصــار علــي العــرب أن العــرب إذا احرجوا استقتلوا ، فخلوهم حتي يخرجــوا ، و لا تعرضــوا لــهم فــإنكم لا تقومون لــهم[٢٩٠]

و لقد فجع المسلمون فــي حربــهم للــترك بفجيعــة عظيمــة حيــن استطاع هؤلاء قتل ثورة بن الحر عــامل ســمرقند وكــان خــرج لقتالــهم فى اثنى عشر ألفاً فلم ينج منهم الا الفان على قول والــف علــى آخــر .

ولقد أظهر نصر بن سيار فى يوم مقتــل ســورة بــن الحــر بســالة منقطعة النظير فإنه عندما حمى الوطيــس وانتشــر لــهيب النــيران هنــا

---

[٢٨٩] الطبري تاريخ الرسل و الملوك ج٧ ص ٧١:٧٤

[٢٩٠] الطبري تاريخ الرسل و الملوك ج٧ ص ٧٥

وهناك قال العدو أكثر من ذى قبل حتى انقطـــع ســيفه وســيور ركابــه ، فأخذها وضرب بها الــترك .

وعلى الرغم من شجاعته التى رأيتـــها فــى هــذا الظــرف الدقيــق فإن والى خراســـان الجنيــد بــن عبـد الرحمــن لــم يحمـد لنصـر فعلـــه هــذا [٢٩١] .

فتأثر نصر لذلك تأثراً عظيماً وســجل ذلــك فــى شــعر لــه ضمنــه بعضاً من مواقفه فى معركة الشعب واليوم الــذى قتــل فيــه ســورة بــن الحر التميمى فقـــال

إنىّ نشـــأت وحُسَّادى ذوُو عَددَ ... ياذا المعـــارج لا تنقص لهم عدداً
إن تحدونى على حُسن البلاء بكُمْ ... يوماً ، فمثل بلائى جر لى الَحسَدَا
يابى الاله الذى أعلى بقـــد رئه ... كعبى عليكــم واعطى فوقكم عضُدا
أرْمِى العَدُوَّ بأفراسٍ مُكملّةٍ [٢٩٢] ... حتى اتخذت على حُسَّادهن يـــدا
من ذا الذى منكم فى الشَعب ازوردوا ... لم يتخذْ حومة الاثقالِ مُعْتَمـــدًا
فما حفظتم من الله الوصاة ولا انتم ... بصبر طلبتم حُسنَ ما وعَـــدَا
ولا نهاكم عن الثَّوثاب فى عتبٍ ... الا العبيد يضرب تكسر العمـــدا
هلا شكرتمْ دِفاعِى عن جنيدكُمْ ... وَقْع القيا وشهاب الحرب قَدوقَدا[٢٩٣]

---

[٢٩١] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٧ – ص ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨. – ابن الاثير : الكامل ج٥ – ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

[٢٩٢] كلمة تطلق على العدو الكثير من الافراس ويقال هذا المُكملُ عشرين ، والمُكملُ ومائه والمكملُ ألفاً . ابن منظور : لسان العرب مادة كمل.

ولقد آثار موقف نصر فى يوم الشعب ابـــن عـــرس فســجل موقفـــه فى هذا اليوم فى شعر مدح به نصـــراً يـــرى القـــارئ مـــن خلالـــه مـــدى الفائدة التى عادت على المقـــاتلين المســـلمين فـــى يـــوم الشّـــعب بســـبب جرأة نصر وشجاعته فى هذا اليوم فقد عد ذلك فضـــلاً لنصـــر علـــى كـــل من شهد معركة الشّعب من المســـلمين واذا كـــانت عـــادة الشـــعراء فـــى هذا الغرض الميل إلـــى المبالغـــة إلا أن مـــا ذكرتـــه المصـــادر التاريخيـــة عن موقف نصر فى هذه المعركة وغـــيره مـــن أبطـــال المســـلمين الذيـــن نال معظمهم الشهادة يجعل ما قاله هذا الشـــاعر بعيـــداً عـــن مثـــل هـــذه المبالغات و قريبا من الحقيقة التي عبر عنـــها ابـــن عـــرس فـــي حديثـــة عن رجل لم يكن قد تولى امر خراسان بعد ، فمما قـــال فـــى شـــعره :-

يا نصر أنت فتى نزارٍ كلهّا	فـــلَكَ المـــآثر والفَعـــالُ الأرفـــعُ
فرجتَ عن كل القبائل كربةً	بالشّعب حيـــن تخـــاضعوا وتضعضعـــوا
يوم الجنيْد اذ القَنا متشاجر	والنحـــر دام والخوافقـــ تلمـــع
ما زلت ترميهم بنفسٍ حُرّةٍ	حتى تفَـــرج جمعـــهُم وتصدعـــوا
فالناس كل بعدها عتقاؤكم	ولك المكـــارم والمعـــالى اجمـــعُ [٢٩٤]

وعلى كل حال فان معركة الشعّب على الرغـــم مـــن كـــثرة شـــهدائها المسلمين الذين يعدون بالآلاف ومثلهم مـــن الـــترك الذيـــن ســـقطوا قتلـــى

---

[٢٩٣] ذكر الطبرى ج٧ - ص٨٠ شعراً لنصر بن سيار من يوم الشّعب فيه بيت من الشعر زيادة على مَا أثبته فى المتن قال فيه . وضرنى الترك عنكم يوم فرقكم بالسيف فى الشعّب حتى جازوا السندا الطبرى ج٧ ص ٨٤ . ابن الاثير الكامل ج٥ - ص ١٧٠ ، ١٧١ .

[٢٩٤] ابن الاثير الكامل ج٥ - ص ١٧١.

فى ميدان الحرب فإن كلا الفريقين المسلمين والترك لم يستطع احراز النصر الحاسم على الآخر لتستمر بعد ذلك حلقات الصراع بين المسلمين المقيمين فى خراسان والترك المتاخمين لها.[٢٩٥]

فى عهد الولاة الذين تعاقبوا على البلد بعد الجنيد بن عبد الرحمن الذى أمر هشام بن عبد الملك بعزله عن الاقليم بسبب انه أصهر إلى آل المهلب بن ابى صفرة حيث تزوج ابنته فاضلة فأغضب ذلك الفعل هشاماً فأشخص إلى خراسان عاصماً بن عبد الله بن يزيد الهلالى وامره بالقبض على الجنيد وازهاق روحه الا أن المنّيه وافت والى خراسان السابق قبل مجئ واليها الجديد اليها [٢٩٦].

لم يستمر عاصم بن عبد الله طويلا بخراسان فإنه ادرك أن هذا الاقليم لا يستقيم امره الا إذا استند حاكمه إلى والى العراق فى ادارته لاقليمه فكتب بذلك إلى هشام بن عبد الملك سنة سبع عشرة ومائة ليعيد خراسان إلى سيرتها الأولى تحت ادارة والى العراق فقال : أما بعد يا امير المؤمنين فإن الرائد لا يكذب أهله ، و قد كان من أمر أمير المؤمنين إلى ما تحقق به على نصيحته ، وان خراسان لا تصلح الا أن تضم إلى صاحب العراق ، فيكون قوادها ومعونتها فى الاحداث والنوائب من قربٍ ليتباعد امير المؤمنين عنها [٢٩٧]فأمر

---

[٢٩٥] ابن الاثير الكامل ج٥ - ص ١٧١.

[٢٩٦] ابن الاثير الكامل ج٥ - ص ١٨٢ . - ابن تعرى بردى النجوم الزاهرة ج١ - ص ٣٥٣

[٢٩٧] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٧ - ص ١٠٤ . ابن الجوزى المنتظم ج٤ - ص ٦٤١ - ثريا حافظ : الخراسانيون ودورهم السياسى فى العصر العباسى الاول -ص ٣٤ .

هشام بن عبد الملك بعزله عـــن خراســـان وفـــوض خـــالداً بـــن عبـــد الله القسرى فى ارسال من يثق به إلى خراسان فإنـــه بلغـــه عنـــها أن الفتـــن قد انتشرت بين اهلها وانها فرقتها اشـــياعاً وذلـــك يشـــكل خطـــراً علـــى المسلمين القاطنين بها . وهم يقاتلون الـــترك ، فأرســـل خـــالد بـــن عبـــد الله القسرى أخاه أسد بن عبد الله إلى خراســـان للمـــرة الثانيـــة فوصلـــها فى سنة سبع عشرة ومائـــة للـــهجرة (٢٩٨)

ليجد نفسه امام مشاكل عدة صار عليـــه التصـــدى لـــها حتـــى يعيـــد خراسان إلى سابق عهدها من الاســـتقرار الداخلـــى. وحمـــل عـــبء نشـــر الاسلام ببلاد الترك المجاورين لها ولســـوف نفصـــل القـــول عـــن بعـــض هذه العقبات عند الحديث عن ولاية نصر بـــن ســـيار لإقليـــم خراســـان لأن هذه العقبات استغرقت زمناً ليس بالقصير مـــن ولايـــة نصـــر بـــن ســـيار على خراسان بل إن جلـــها كـــانت مـــن بيـــن الاســـباب الجوهريـــة التـــى عجلت بأفول نجم نصر بن سيار ودولته ليس عـــن خراســـان وحدهـــا بـــل عن وسائر الدولة الإســـلامية حيـــن ورث ملـــك الامويـيـــن بنـــو العبـــاس جاء أسد بن عبد الله خراسان وهـــو يعلـــم أن مـــن أهـــم العقبـــات التـــى تصادفه مناهضـــة الـــترك بقيـــادة الخاقـــان للجنـــد المســـلمين بخراســـان فأزمع أسد غزو الختل عند تخوم السند الشـــمالية فـــي ســـنة ١١٩ هـــ ، سنة ٧٣٧ م ، وهى بلاد لم يكن قتيبـــة يعـــرض لـــها فـــى فتوحـــه وان كان أسد نفسه قد أغار عليها فى ولايتـــه الاولـــى لخراســـان ســـنة ١٠٨ هـــ / ســـنة ٧٣٦ م .

---

(٢٩٨) اليعقوبى : تاريخه ج٢ ص٣١٩ ، كتاب البلدان ص ٦٦ .

فلما أرسل صاحب بلاد الختل إلى خاقان يعلمه بمجيء أسد بن عبد الله بجند لا طاقة له بهم وسأله الاسراع بارسال المدد اليه لاستنقاذ بلاده من المسلمين بادر خاقان الترك إلى اجابته فأمر باعداد رجاله وحشد عتاده وخرج بنفسه على رأس هذه الجيوش التركية ليلقى أسد بن عبد الله بمن معه من المسلمين بيد أن صاحب بلاد الختل عاد إلى صوابه فرأى إن هو ترك بلاده مسرحاً لمعركة تدور بين أسد ورجاله وخاقان فانه لايغنم إلا معاداه العرب له أبد الدهر وان ظفر خاقان وطرد المسلمين من الترك ظل خاقان يمتن عليه بقوله :أخرجت العرب من بلادك ورددت عليك ملكك (٢٩٩)

ومن ثم أرسل إلى أسد يعلمه بقدوم خاقان إلى بلاده ويطلب منه التفرق برجاله وماغنموه من الختل حتى لا يظفر بهم خاقان .

اخذ اسد بن عبد الله بهذا الراى فسار برجاله حتى عبر نهر بلخ والترك يلاحقونه فظفروا بثلة من مؤخرة جيشه لم تكن عبرت النهر بعد وأصبح موقف القائد المسلم في غاية الحرج إذ لم يفصل بينه وبين جيوش خاقان إلا هذا النهر الذى اعتقد معظم المسلمين أن الترك غير قادرين على اقتحامه إلا أن خاقان أمره بعبوره فلما عبروه لاذ المسلمون بعسكرهم وخرج غلمانهم بالبراذع والعمد فضربوا وجوه الترك فولوا مدبرين .

---

(٢٩٩) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٧ ص ١١٣ ، ١١٤

أثار هذا الموقف الذى وقفه الترك من المسـلمين بعـد هـذا اللقـاء اليسير التساؤلات لدى القائد المسلم فأنشـأ يتسـاءل عـن السـبب الـذى جعل الترك يحجمون عن لقائه فى اليوم التـالى وهـم فـى عـدد وعتـاد لانظير لهما فاعتقد جازماً أنهم وقفوا على مكـان أثقـال المسـلمين مـن الأسرى الذين وقعوا فى أيـدى الـترك وطلـب أسـد بـن عبـد الله رأى وجهاد خراسـان فيمـا عسـاه أن يفعـل ازاء هـذا الموقـف العصيـب أيعسكر في مكانه أم يسير إلـي اثقالـه ليحميـها مـن الـترك الذيـن أن وصلوا الي مكانها حازوها فتكلم غـير واحـد مـن رجالـه و نصـر بـن سيار يرمق الحاضرين بعينية و لا يتكلم و حيـث إن أسـدا يعـرف عنـه حسن البلاء في ولايته الاولي و لامراء وقـف علـي أخبـار نصـر مـع الولاه الذين اعقبوا أسداً علـي خراسـان .

فقد وجه الحديث اليه قائلا : (مالك يا بـن سـيار مطرقـاً لا تتكلـم ! قال : أصلح الله الأمير ! خلتان كلتـهاهما لـك ، إن تسـر تغـث مـن مع الاثقال و تخلصـهم ، و إن أنـت انتـهيت اليـهم و قـد هلكـوا فقـد قطعت قحمة لابد من قطوعها . فقبـل رأيـه) (٣٠٠)

مما تقدم تري نصراً يريـد أن يجعـل المسـلمين يظـهرون للـترك قوتهم و رباطة جأشهم و ذلـك لا يكـون إلا إذا تحركـت جيوشـهم علـي الأرض لتنقذ أثقالهم أو تلقي الترك فـي معركـة يكـون فيـها المسـلمون في حرية تتيح لهم المناورة علي الأرض و ذلـك مـا كـان ليتحقـق لـهم

---

(٣٠٠) الطبري تاريخ الرسل و الملوك ج٧ ص ١١٥ ، ١١٦ ابم الاثير الكامل ج٥ ص ٢٠١

أن بقوا في مكانهم ينتظرون ما يقرره عدوهـم فـي شـأنهم ، ومـن ثـم يفرض عليهم ما يريده أعداؤهم و بالتـالي يسـهل علـي الـترك احـراز الانتصار عليهم لان عدم الاخذ بزمام المبـادأة بعـد المعـارك التـي دارت بين الترك و المسلمين يجعل الجند لا يتمتعـون بمعنويـات مرتفعـة فـي لقائهم لعدوهم و الرأي عندي أن ذلك كله لم يغـب عـن أسـد بـن عبـد الله حين قرر الأخذ بمشورة نصر عليهم و ذلك مـا كـان فـإن المسـلمين صاروا يلاحقون الترك بعد توجههم لاسـتنقاذ أثقالـهم و قـد كـانوا قبـلا يلوذون بـالفرار مـن ملاحقـه الـترك لـهم الامـر الـذي سـهل علـي المسلمين احراز الانتصار علي خاقـان و الذيـن معـه عنـد الجوزجـان فغنم المسلمون مـا معـه مـن أمـوال و جـواري و أراح الله المسـلمين منه حين قتله كورصـول[٣٠١]

ظل أسد بن عبد الله يدبر أمـر خراسـان حتـي وافتـه منيتـه فـي ربيع الأول سنه عشرين و مائـه للـهجرة ، فـآلت خراسـان بعـده إلـي جعفر بن حنظله البهراني . فاسـتمر بـها أربعـة أشـهر [٣٠٢] آل بعدهـا الاقليم إلي نصر بن سـيار .

---

[٣٠١] الطبري تاريخ الرسل و الملوك ج٧ ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥
ابن الوردي تاريخه ج١ ص ١٧٥

[٣٠٢] ابن الاثير الكامل ج٥ ص ٢١٦
ابن الجوزي المنتظم ج٤ ص ٦٦٥
النرخشي تاريخ بخاري ص ٩٣

الفصل الرابع

نصر بن سيار في خراسان

يعد هذا الوالي من أهم الولاة الذيـن تعـاقبوا علـي كرسـي الإمـارة بهذا الاقليم نظرا لانه عايش أهل خراسان فترة طويلـة قبـل أيلولـة أمـر ولايتها إليه فعرف دور بها و أقام العلائق مـع ولاتـها و رأى بعينيـه مـا فعلته العصبية القبلية بأمرائها و كبار رجالها . مـن ثـم فـإني آثـرت أن يكون التاريخ السياسي لنصر بن سيار فـي فصـل مسـتقل . يـري فيـه القاريء هذه الشخصية قبل الولاية و بعدهـا ليحكـم لـها أو عليـها فبـها ختم العهد الأموي لتقوم دولة عباسيه غيرت وجـه التـاريخ الإسـلامي .

- نصر بن سيار قبل الإمـارة

تمهيد : في التـاريخ شـخصيات مهمـة قـامت بـأدوار جريئـة و تركت بصماتها علي صفحـات الحيـاة و لكـن حظـها مـن الذكـر لـدي المؤرخين لم يكن بالقدر الـذي يجلـو أعمـال هـذه الشـخصيات و يزيـد الأمر حيرة أن البطل في القديـم يذكـر فجـأه حيـن يلعـب دورا سياسـيا فيسـجله المؤرخـون دون نظـر الـي مـا تقـدم مـن أمـره طفولـة و صبـا و شبابا ، و تلك حال شكا منها كثـير مـن المؤرخيـن و منـهم اللواء الركن محمود شيت خطاب حين تعـرض لأبطـال الفتـح الاسـلامي في المشرق و المغرب و أخذ يبحث عن طفولـة أمثـال القـعقاع بـن عمرو و الأحنف بن قيس و عباده بن الصـامت و النعمـان بـن مقـرن و غيرهم فلم يجد عن ذلك شـيئا

كذلك كان موقفي حين أردت أن أبحث عن طفولـة نصـر بـن سـيار فلم أعلم عن ماضيه شيئا أبدأ بـه خطـوات حياتـه ، إذ أن أول مـا نكـر

من أمره هو ما كان من إنضمامه لجيش قتيبة بن مسلم ثم جهوده مع القادة اللاحقين لقتيبة إلي أن اختار هشام بن عبد الملك و اليا له علي خراسان ، و طبعي أن اختيار أمير المؤمنين لا يكون لغفل من الناس بل لابد أن يتجه الي بطل يمكنه أن يقف أمام أعدائه موقف الأسد الهصور ، أما كيف كان نصر أسداً هصورا في عيني هشام ؟ فهذا ما سكت عنه التاريخ إلا ما ذكرته مصادره من أخبار يسيره عن أعمال جليلة قام بها نصر في خراسان بين عهدي قتيبة بن مسلم وولاية أسد بن عبد الله القسري الثانية علي الأقليم .

علي أن الزمن لم يضن علينا بشذرات من الأخبار المتعلقة بطفولة نصر تلك التي كانت بمثابة قطرات متساقطة رذاذا لا توابل يتدفق صيباً ، و هذه الأخبار الصغيرة التي لا تمثل كل اتجاهاته في طفولته بل تشير الي خطوط ضئيلة في نسج هذه الطفولة بعضها قد اشار إليه الكاتب الكبير " علي أدهم " و هو وحده الذي خص نصراً بمقال لا يتجاوز أربع صفحات و لكن القليل عن نصر كثير بالنظر لهذه الصحراء الشاسعة التي غمرت طوفان الأحداث فلم تعد الي سواء السبيل .

فصاحبنا هو نصر بن سيار بن رافع بن حري بن ربيعه بن عامر بن هلال بن عوف بن جندع بن ليث ، و ينتهي نسبه الي مدركة بن الياس بن مضر(٣٠٣)

---

(٣٠٣) ابن قتيبة المعارف ص ٤٠٩ عبد القادر البغدادي الادب ج٢ ص ٢٢٤

أمه زينب بنـــت حســـان محمـــد بنـــي تغلـــب [٣٠٤] ارتبـــط ميـــلاده بشروق شمس الامويين ، وكانت وفاتـــه بمثابـــة اعـــلان عـــن غـــروب شمس هذه الدولة ذلك أن نصرا ولد في سنة ست وأربعيـــن للـــهجرة فـــي عهد الخليفة الأموي الأول معاوية بن سفيان فقضـــي عمـــره منـــذ نعومـــة أظافره ينظر الأطوار التي مرت بها الدولة الامويـــة مـــن عـــهد القـــوه و الفتوة إلي عهد الهرم ، و إذا كان بحكم صغـــر ســـنه و ســـيرة أبيـــه لـــم يشارك في صنع الأحداث في الســـنوات الأولـــي لـــهذه الدولـــة فانـــه كـــان من المدافعين عنها و الباذلين للنفيس قبـــل الرخيـــص فـــي ســـبيل بقائـــها حين بلغت روحها الحلقوم بســـبب نجـــاح الدعـــوة العباســـية كمـــا يـــري القاريء و هو يطالع سيره هذا الوالـــي الـــذي حكـــم خراســـان فـــي هـــذا الظرف الدقيق و الذي يدعوا الي العجب أن سيار بـــن رافـــع والـــد نصـــر كان من شيعة ابن الزبير فقد شاطر مصعبا كفاحـــه ضـــد الامويـــين حيـــن كان اليه أمر العراق مما يجعل المرء كمـــا يقـــول الاســـتاذ " علـــي أدهـــم" يرجح أن نشأة نصر كانت ببلاد العراق ، فـــإذا بولـــده مـــن صلبـــه يحمـــل السيف في شجاعه ليدافع عن الوجود الأموي و لعـــل الـــذي جعـــل نصـــراً يتجه الي الإنخراط فـــى ســـلك العســـكرية ويقـــدم علـــى ركـــوب الأهـــوال والمخاطر دون خوف هو رغبته فى محو العار الـــذى لحـــق بأســـرته ذلـــك أن أباه سياراً قد إتهم بســـرقة عيبـــة [٣٠٥] .

---

[٣٠٤] الطبري تاريخ الرسل و الملوك ج٧ ص ١٥٤

[٣٠٥] زبيل من أدم ينقل فيه الزرع المحصود الى الجرين - ابن منظور لسان العرب مادة عيب

فقطع عبد الرحمن بـن سـمرة [٣٠٦] يـده فكـان يقـال لـه الأقطـع وطالما عير نصراً اعداؤه بهذه الهفوة التـي ارتكبـها أبـوه [٣٠٧] والـذى لامراء فيه أن طفولة نصر كانت علـى غـرار غيرهـا مـن حياة اطفـال ذلك العصر فقد تعلم العلوم الدينيـة وان لـم ينبـع فيـها كمـا نبـغ فـى الناحيتين السياسية والعسكرية ، ومع هـذا فقـد حـدّث عنـه فـى العلـم عكرمة وابو الزبير وابن المبـارك فيمـا قيـل ومحمـد بـن الفضـل بـن عطية [٣٠٨] وكان ذا ميول أدبية بدت واضحـة للعيـان فـى اشـعار قليلـة نقلتها المصادر التاريخية لنا سجل فيـها نصـراً احاسيسـه التـى تملكتـه عندما تثير الأحداث شجونه وهو يشارك فى صنعـها او يشـاهد مـآل مـن صنعوها كما سـأبينه .

ومع كل هذا فإن الرجل كان ذواقه للشـعر ينقـده نقـد الخبـير بـه مما يدلك على أنه أولع بالشعر قولاً وسـماعاً ، فلـم يكـن يـروق لـه إلا الجيد منه ، وآية ذلك ما رواه ابن قتيبه من أن احـد الرجـاز أتـى نصـر بن سيار والى خراسان لبنى أمية فمدحـه بقصيـدة تشـبيبها مائـة بيـت ومديحها عشرة ابيـات .

---

(٣٠٦) ابن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى اسلم يوم الفتح وصحب النبى محمداً (ﷺ) كان يسمى بعبد كلال قبل الاسلام فسماه النبى محمد (ﷺ) بعبد الرحمن سكن البصرة قاد الجيش الاسلامى لفتح سجستان سنة ٣٣ ه، - مات سنة خمس للهجرة - ابن قتيبه . المعارف . المعارف . ص ٣٠٤ - ابن الاثير : اسد الغابة ج٣ ص٤٩ ، ٣٥١،٣٥٠ .

(٣٠٧) ابن قتيبه : المعارف . ص ٤٠٩ - على ادهم .مقالة بعنوان (من الادب العرب نصر بن سيار) منشورة بمجلة الثقافة العدد رقم ٥٨٠ لسنة ١٩٥٠ - ص ٨

(٣٠٨) الذهبى . سير اعلام النبلاء ج٦ - ص ٢٤١.

فقال نصر :- والله ما بقيت كلمـــةً عذبـــةً ولا معنـــىً لطيفـــاً الاوقـــد شغلته عن مديحى بتشبيبك فإن اردت مديحى فـــاقتصد فـــى النســـيب فأتـــاه فأنشـــده :-

هل تعرف الدار لأم القمر   دع ذا وحَبِّر مدحـــه فـــى نصـــر

فقال نصر : لا ذلك ولا هـــذا ولكـــن بيـــن الأمريـــن [٣٠٩] ولقـــد بـــدأ نصر بن سيار خطواته الأولى فى مجال الجندية حيـــن انضـــم إلـــى جيـــش قتيبه [٣١٠] الذى سيره الحجاج الى خراسان - كمـــا ذكرنـــا ســـابقاً - فبـــدأ الرجل منذ ذلك الوقت يدعم نفـــوذه بـــالاقليم بـــإحرازه إنتصـــارات عظيمـــة لامراء شاهدها وشارك فيها نصر مما اكسبـــه ثقـــةً فـــى نفســـه ومعـــارف حربية مكنته من المضى قدما فى طريق الشهرة فقـــد ابلـــى بـــلاءاً منقطـــع النظير فى معاركه التى خاضها مع صالح بـــن مســـلم (أخـــو قتيبـــة) حيـــن فتح باسارا فأراد صالح مكافأة نصر علـــى استبســـاله فوهبـــه فـــى ســـنة ست وثمانين للهجرة قرية بخراسان تســـمى تنجانـــه [٣١١]

- بين نصر بن سيار وســـعيد الحرشـــى

حرص نصر بن سيار على الافادة مـــن الـــولاة الذيـــن تعـــاقبوا علـــى الأقاليم بعد قتيبة بن مسلم فوثقوا به ثقة عظيمـــة فكـــانوا يعـــهدون اليـــه بالمهام الكبار فها هو ذا سعيد بـــن عمـــرو بـــن الأســـود الحرشـــى والـــى

---

[٣٠٩] ابن قتيبه الشعر والشعراء ج١ - ص ٨٢

[٣١٠] البلاذرى .فتوح البلدان ق٢ - ص ٥١٧

[٣١١] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٦ - ص ٤٢٥.

خراسان الذى سلف ذكره يحرص على الإفادة مـن نصـر بـن سـيار لمـا علمه عنه من نباهه الذكر والبسـالة فحيـن خـرج سـعيد الحرشـى الـى مدينة كش عرض اهلها عليه أن يصالحوه علـى أن يدفعـوا اليـه عشـرة آلاف رأس من الماشـية والأغنـام علـى قـول وسـتة الآف علـى آخـر وضرب لذلك أربعين يوماً يسلم بعدهـا صـاحب كـش مـا صـالح سـعيداً الحرشى عليه فلم يجد عـامل خراسـان اذ ذاك رجـلاً يطمئـن اليـه فـى القيام بقبض اموال اهل كشى أكفأ من نصر بـن سـيار .

ويلوح لى أن نصراً لما احسن القيام بهذه المهمـة التـى كلفـه بـها اميره عمل والى خراسان علـى ادنائـه اليـه وجعلـه مـن كبـار رجـال ولايته فعزل سورة بن ابحر الحر التميمى عـن اعمالـه بـاقليم خراسـان وجعلها لنصر بن سـيار (٣١٢) .

فنصر إذاً واحد من هؤلاء الرجـال الذيـن عـاونوا سـعيداً الحرشـى فى ولايته التى غربت شمسها بمجئ مسلم بـن سـعيد إليـها سـنة أربـع ومائة للهجرة - كما قلنـا .

• بين نصر بن سيار ومسلم بـن سـعيد

لما جاء مسـلم الـى خراسـان وجـد أن الـترك كـثرت تحرشـاتهم بالمسلمين على أرضها لذلك فان مسلم بـن سـعيد حيـن عقـد الخنـاصر على غزو الترك سنة ست ومائـة للـهجرة ، عمـل علـى حشـد طاقـات قاطنى خراسان ليضمن تحقيق النصر لحملته تلك فـالقى خطبـة فـى أهـل

---

(٣١٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٧ - ص ١١ . - ابن الأثير . الكامل . ج٥ - ص ١١٠.

البلد قال فيها : ما أخلف بعد شيئاً أهم عندى من قوم يتخلفون بعدى مخلقى الرقاب ، يتواثبون الجدران على نساء المجاهدين ، اللهم افعل بهم وافعل ! وقد امرت نصراً ألا يجد متخلفاً الا قتله ، وما ارثى لهم من عذاب يذله الله بهم [٣١٣]

مما تقدم يرى القارئ الكريم أن مسلم بن سعيد جعل من نصر بن سيار ساعداً أيمناً له وهو يحارب الترك فلو لم تكن له مكانه مرموقة بين الخراسانيين ومعرفتهم عن نصر الجد فى أدائه للمهام التى يعهد بها اليه أميرة ما خوف مسلم بن سعيد به أهل خراسان فمهمة حمل المتخلفين على الحرب كما ترى ليست بالأمر الهين بل هى تحتاج إلى رجال من ذوى الشكيمة حتى يستطيعوا بقوة عزيمتهم حشد أكبر عدد من الجند فى المعارك الحربية التى يخضوها الأمير وقد قام نصر بن سيار بهذه المهمة على أكمل وجه فقاد العصبة اليسيرة التى تركها مسلم بن سعيد لمعاونته فى أدائه لمهمته أحسن قيادة وسار بهم إلى البخترى بن درهم ،وزياد بن طريف الباهلى وكانا ممن تخلف فى رجال معهما عن مسلم بن سعيد فأحرق داريهما ليكونا عبرةً للمتخلفين من اهل خراسان .

ولما أراد نصر بن سيار تعقب المتخلفين بمدينة بلخ حال بينه وبين مأربه عمرو بن مسلم وكان عليها اذ ذاك فاقام نصر بالبروقان

---

[٣١٣] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٧ – ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٣١٤)واتته الاشـياع مـن امـاكن كثـيرة فنشـبت بينـه وبيـن البخـترى بالبروقان معركة انجلت عن هزيمة البخترى وحليفـه عمـرو بـن مسـلم الذى أرسل إلى نصر يطلب منـه الأمـان فأمنـه وقيـل أن نصـراً اوتـى بعمرو بن مسلم مكبلاً فمن عليه بالأمـان وهنـاك روايـة ثالثـة تذكـر إن نصراً حين ظفر بمعارضيه ضرب كـل واحـد منـهم مائـة سـوط وحلـق رؤوسهم ولحاهم وألبسهم المسـوح(٣١٥). وراحـت قيثـارة الشـعر التـى تميز بها نصر تصور هذه الأحداث فى أبيات لـه حيـث قـال :-

أرَى العينَ لجَّتْ فى ابتدارٍ وما الذى ... يَرُدّ عليها بالدموعِ ابتدارُهـا!

فما أنا بالوانى إذا الحربُ شَمَّـرَتْ ... تَحَرَّقُ فى شَطْرِ الخميسَين نارُها

ولَكنَّنى أدعو لها خِندِفَ (٣١٦)التى ... تطلَّعُ بالعِبء الثَّقِيلِ فِقارهـا

ومَا حفظتْ بكرٌ بالعِراقِ تَنَـزَّرَتْ ... ففى أرضِ مَرْوٍ عَلُّها وازْوِرارُها

وقد جَرَّبَتْ يَومَ البرَوُقانِ وقعـةً ... لِخِندِفَ اذ حَانَتْ وأنَ بوارُهـا

أتتنى لقَيْسٍ فى بَجيلةَ وقعةٌوقد ... كان قبلَ اليـوم طـالَ انتظارُهـا(٣١٧)

وعلى كل حال فإن هذه الحملة العسكرية التـى قـام بـها مسـلم بـن سعيد على الترك اصابت المسلمين بخسائر فادحـة فـى الرجـال والأمـوال فسقط منهم الجم الغفير مـن الرجـال شـهداء وتخفـف المسـلمون مـن

---

(٣١٤) بالقاف والنون قرية من نواحى بلخ . ياقوت . معجم البلدان ج٢ – ص ٣٢١.

(٣١٥) كساء من الشعر .لسان العرب . مادة مسح .

(٣١٦) الخندفه . الهرولة والاسراع فى المشى قال ابن الاعرابى هو مشتق من الحذف وهو الاختلاس – ابن منظور لسان العرب مادة خندف

(٣١٧) الطبرى . تاريخ الرسل والملوك ج٧ – ص ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .

اثقالهم بالاحراق حتى لا تكون غنيمـــة للأعـداء ليـس هـذا فحسـب بـل انهم تعرضوا للهلكة لنفاد جُل مائهم وطعامـــهم فعـرف هـذا اليـوم بيـوم العطـش(٣١٨).

ولم يكن نصر بالذى ينسى هذا اليوم وما لقـــى فيـه المسـلمون مـن اهوال فقد نال من الترك وطراخوانه الذيـــن استشـهدوا فـى هـذا اليـوم حين آل أمر خراسان اليه كما سأبينه ولقد قام نصر بـن سـيار فـى هـذه المعركة بدور عظيم ادى إلى نجاة عـدد كبـير مـن المسـلمين مـن قتـل محقق على يد الـترك .

فيذكر الخزرج التغلبى وهو ممـــن شـهدوا هـذه المعركـة . قاتلنـا الترك فأحاطوا بنا حتى أيقنا بالهلاك فقـد حمـل حوثـرة بـن يزيـد بـن الحربن الحنيف على الـترك فـى اربعـة الآف فقاتلـهم فـي أربعـة آلاف فقاتلهم ساعه ثم رجع ، و اقبـل نصـر بـم سـيار فـي ثلاثيـن فارسـا فقاتلهم حتي أزالهم عـــن مواضعـهم فحمـل عليـهم النـاس فانـهزم الترك (٣١٩) وقد اعاد هذا الانتصار الثقـة إلـى الجيـش الاسـلامى وهـذا ليس بالأمر الهين فـى ميـادين الحـروب فـإن معنويـات الجنـود وهـم يخوضون غمارها أمضى من السلاح الـذى يواجـهون بـه عدوهـم فـى احراز النصـر .

واذا كان نصر بن سيار قـد جنـى ثمـرة علاقاتـه الطيبـة نتيجـة إخلاصه لسلف مسلم بن سعيد فان الأخـير عـرف لنصـر قـدره وكافـأه على حسن بلاءه فى حروب الترك فعهد اليـه بحكـم طخارسـتان .

(٣١٨) الطبرى . تاريخ الرسل والملوك ج٧ – ص ٣٣ .
(٣١٩) ابن الاثير . الكامل ج٥ – ص ١٣٠.

وكان نصر عند حسن ظن أميره فيه فقد استطاع بكياسته وحسن سياسته وضع حد للثورة التى اقام بها العرب عليه فقبل القاطنون بعد احرازه الانتظار على الثائرين بطخارستان ابرام الصلح بينه وبينهم (٣٢٠) ليتألف قلوب الشاردين منهم .

ولم ينعم نصر بن سيار طويلاً بما جنى من ثمار فى عهد والى خراسان مسلم بن سعيد فإن هذا الوالى عزل بأسد بن عبد الله القسرى - كما ذكرنا -

عين نصر بن سيار واسد بن عبد الله القسرى فى ولايته الاولى

عندما قدم اسد بن عبد الله خراسان أزمع غزو بلاد الختل فحدث منه ما يوضح عدم معرفته بعادات أهل البلد الذى جاء لحكمه ومكانه كبار رجاله من العرب الذين أحسن الولاة السابقون الإفادة منهم .

وآية ذلك أن أسداً اراد أن يعمى على اعدائه الترك الوجهة التى يقصدها فأشاع بين جنده أنه يريد قضاء الشتاء فى (سُرخ دره) فلما وصلها الجند بقيادة أميرهم كبر الناس ، فقال أسد : ما للناس ؟قالوا : هذه علاقتهم إذا قفلوا ، فقال لعروة المنادى : ناد إن الأمير يريد غورين ، وبعد مناورات بين الجيشين عاد أسد إلى بلخ دون أن يخوض حرباً ضد خاقان الترك تاركا رجالا في غورين و هنا يري القارئ نصر بن سيار يريد اثبات حسن نيته لواليه الجديد: فعقد الخناصر هو وسلمه بن الاحوز على القيام بأعمال بطولية ضد الترك

---

(٣٢٠) البلاذرى . فتوح البلدان ق٣ - ص ٥٢٥.

تؤكد هبيه المسلمينفي أعين العدو ، ومــن ناحيـة فإنهـا أمـلا أن ترفـع هذه الأعمال ذكرهما عند الوالى فحين برز للمســلمين رجـلٌ مـن الـترك فى صورةٍ تنم عن اعتزازه بقوته وتأهبـه للبطـش بالمسـلمين .قـال قـد عرفت رأي أسد و أنــا خـامل علـي هـذا العلـج [٣٢١] فلطـي أن فتلـه فريضي فقال شارك فحمل عليه فمـا اختلـج رمحـه حتـي غشـيه مسـلم فطعنه فاذا هو بين يدى فرسه ، ففحص برجلــه ، فرجـع سـلم فوقـف ، فقال لنصر أنا حامل حمله أخرى ، فحمـل حتـى إذا دنـا منـهم اعترضـه رجل من العدو فلختلف ضربتين فقتلــه سـلم فرجـع سـلم جريحـاً فقـال نصر لسلم . قف لى حتى أحمــل عليـهم ، فحمـل حتـى خـالط العـدو ، فصرع رجلين ورجع جريحاً فوقف فقال : أتـرى مـا صنعنـا يرضيـه ؟لا ارضاه الله ! فقال لا والله فيما أظن ، وأتاهما رســول أسـد فقـال :يقـول لكما الامير : قد رأيت موقفكما منذ اليوم وقلــة غنائكمـا عـن المسـلمين ، لعنكما الله ! فقالا آمين أن عدنا لمثـل هـذا)[٣٢٢].

وسواء أصحت الرواية التـى تقـول أن أسـداً رجـع دون حـرب أم غيرها من الروايات التى تصرح بانهزامـه [٣٢٣]فـان والـى خراسـان لـم يقلع عن هذه المعاملة السيئة التى عامل بـها كبـار رجالـه دون أن يفكـر فيما تجلبه عليه من العواقب التى تهدد ولايته وذلك مـا كـان فـان اسـداً بن عبد الله خطب فى اهــل خراسـان خطبـة ذم فيـها القبـائل المناوئـة

---

[٣٢١] الرجل الشديد الغليظ من كفار العجم و الانثي علّجة ابن منظور – لسان العرب – ماده علج

[٣٢٢] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٧ – ص ٤٣ ، ٤٤ .

[٣٢٣] ابن الاثير . الكامل – ج٥ – ص ١٣٩.

لليمنية والتى يتعصب لها اسد بن عبد الله ونال من نصر بن سيار وقبيلته ومن شايعهم فأجج نار العصبية القبلية فى خراسان فى وقت كان الترك فيه يهتبلون الفرص الموالية لهم حتى ينقضوا على الإقليم فقال أسد : (قبح الله هذه الوجوه ! وجوه أهل الشقاق والنفاق والشغب والفساد ، اللهم فرق بينى وبينهم وأخرجنى إلى مهاجرى ووطنى ، وقل من يروم ما قبلى اويترمرم ، وأمير المؤمنين خالى وخالد بن عبد الله أخى ، ومعى اثنا عشر ألف سيف يمان) ثم نزل عن منبرة ، فلما صلى ودخل عليه الناس ، وأخذوا مجالسهم أخرج كتابا من تحت فراشة ، فقرأه على الناس ، فيه ذكر نصر بن سيار ، وعبد الرحمن بن نعيم الغامدى وسورة بن الحر الا بانىأبان بن دارم ، والبخترى بن أبى درهم من بنى الحارث بن عباد ، فدعاهم فأنبهم ، فأزم القوم ، فلم يتكلم منهم أحد فتكلم سورة فذكر حاله وطاعته ومناصحته وانه ليس ينبغى له أن يقبل قول عدو مبطل وان يجمع بينهم وبين من قرفهم بالباطل ، فلم يقبل قوله وامر بهم فجردوا وضربهم [٣٢٤] .

وعلى الرغم من ذلك فلم يغض نصر الطرف عن المصلحة العامة للأمة فى خراسان فحين أرسل بنوتميم رسولا إلى نصر يقول

---

[٣٢٤] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ج٧ ، ص ٤٧ ، ٤٨ . البلاذرى .فتوح البلدان – ق٣ ، ص ٥٢٦ – ابن الاثير . الكامل – ج٥ – ص ١٤٢ ، ١٤٣ .النويرى . نهاية الارب – ج٢١ – ص ٤٣٥.- ابن تغرى . النجوم الزاهرة – ج١ – ص ٣٣٧ . ثريا حافظ عرفه . الخرسانيون ودورهم فى العصر العباسى الاول – ص ٢٣ .

له : أن شئتم انزعناكم من ايديهم فكفهم نصـــر عـن ذلـك حفاظـاً علـى دماء المسلمين وعدم انشغالهم بأمر داخلـي يسـهم فـى اضعافـهم وهـم يواجهون الترك المتربصين بهم . وأمر أسد بـن عبـد الله بنصـر والذيـن معه فسيرهم إلى أخيه خالد بن عبـد الله القسـرى فـى العـراق وارسـل معهم كتاباً اتهمهم فيه بالخروج عليه ، فلما قدمـوا علـى خـالد لام أسـداً وعنفه وقال ألا بعثت برؤوسهم ! وكدأب نصر بن سـيار فإنـه سـجل مـا أصابه على يد أسد بن عبد الله وما ألصقه من اتـهامات هـو منـها بـرئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب فى ابيات من الشـعر حيـث قـال :

بَعَثْتَ بالعتاب فى غَيْرِ ذَنْـبٍ	فى كتاب تَلُـومُ أم تميـم
إنْ أكُن موثقاً أسيراً لديهـمْ	فى هُمُومٍ وكُرَبةٍ وَسُهُـومِ
رهْنَ قسْرٍ فما وَجَدْتَ بَلاءً	كإسار الكِرَام عند اللئيـم
أبلغِ المُدّعين قسراً وقَسْرُ	أهلُ عود القناة ذاتِ الوُصـوم
هَلْ فطِنْتُمْ عنِ الخيانَةِ والغدْ	رِأم أنتمْ كالحاكرِ المُسْتَديم ؟[٣٢٥]

من ثمَّ فقد أسد ولايته الاولى - كما قلنـا سـابقاً .

تلك كانت إلماعة عن علاقة نصـر بـن سـيار بـأبرز ولاة خراسـان قبل أن يصبح الرجل صاحب الحول والطول فـى هـذا الثغـر الـهام حيـن عهد اليه الخليفة هشام بن الملك بحك هـذا الاقليـم .

---

[٣٢٥] الطبرى . تاريخ الرسل والملوك ج٧ - ص ٤٨ ، ٤٩ .

نصر بن سيار
بين
ولايته ووفاته

لما وقف هشام بن عبد الملك على خبر وفاة أسد بن عبد الله وما كان من استخلافه قبيل وفاته لجعفر بن حنظلة البهرانى أنشأ يجيل بصره يمنة ويسرة باحثاً عن رجل يوليه أمر خراسان حيث إن هشاماً من لدن خلافته أولى الإقليم جل عنايته بالنظر إلى موقفه من الأعداء المتربصين بالدولة الإسلامية. والذى يطالع الطبرى يجده يذكر ثلاث روايات عن الكيفية التى تم بها ختيار نصر بن سيار والياً على خراسان فيها يرى القارئ روايتين تتفقان على اختيار الخليفة "هشام بن عبد الملك" "نصر بن سيار" والياً على خراسان دون أن يأخذ برأى عامله على العراق "يوسف بن عمر الثقفى" بينما تجعل الرواية الثالثة للوالى المذكور دوراً بارزاً فى ترشيحه رجالاً من خراسان للخليفة حتى يختار من بينهم والياً على خراسان ولأن كل رواية من هذه الروايات الثلاث تظهر للقارئ القواعد والضوابط التى اختار الخليفة الأموى على أساسها نصراً لولاية خراسان وتلك التى جعلت الخليفة يغض الطرف عن بقية الرجال المرشحين لولاية الإقليم فإنى أذكر هذه الروايات بنصوصها ليرى القارئ من خلالها مدى حكمة الخليفة هشام بن عبد الملك وحسن سياسته وهو يكاتب عماله أو يشاورهم فى اختيار الرجال الذين يتولون أمر الثغور الهامة من أمثال خراسان.

فقد روى الطبرى عن على بن محمد (أن هشاماً استشار أصحابه فى رجل يصلح لخراسان ، فأشاروا عليه بأقوام وكتبوا له

أسماءهم ، فكان ممن كتب له "عثمان بن عبد الله بن الشخير" ، ويحيى ابن حضين بن المنذر الرقاشى "ونصر بن سيار الليثى" و"قطن بن قتيبة ابن مسلم" و"المجشر بن مزاحم السلمى أحد بنى حرام ، فأما "عثمان بن عبد الله بن الشخير" ، فقيل له : إنه صاحب شراب وقيل له المجشر شيخ هم ، وقيل له : ابن حضين رجل فيه تيه وعظمة ، وقيل له : قطن بن قتيبة موتور ، فاختار نصر بن سيار ، فقيل له : ليست له بها عشيرة. فقال هشام : أنا عشيرته. فولاه وبعث بعهده مع عبد الكريم بن سليط بن عقبة الهفانى[1].

أما الراوية الثانية فتذكر أن هشاماً قال لعبد الكريم حين أتاه الخبر بموت أسد بن عبد الله : من ترى أن نولى خراسان فقد بلغنى أن لك بها وبأهلها علماً ، قال عبد الكريم : قلت يا أمير المؤمنين : أما رجل خراسان حزماً ونجدة فالكرمانى ، فأعرض بوجهه. وقال: ما اسمه ؟ قلت "جديع بن علي" قال: لا حاجة لى فيه وتطير ، وقال سمّ لى غيره ، قلت اللسن المجرب يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيبانى أبو الميلاء ، قال ربيعة لا تُسدُّ بها الثغور . قال عبد الكريم : فقلت فى نفسى كره ربيعة واليمن فأرمية بمضر فقلت : عقيل بن معقل الليثى ، إن اغتفرت هنّة ، قال : ما هى ؟ قلت ليس بالعفيف ، قال لا حاجة لى به ، قلت منصور بن أبى الخرقاء السلمى ، إن اغتفرت نكرة فإنه مشئوم ، قال : غيره ، قلت : المجشر بن مزاحم السلمى ، عاقل شجاع له رأى مع كذب فيه ، قال الأخير فى الكذب قلت : يحيى ابن حضين ، قال : ألم أخبرك أن ربيعة لا تسد بها الثغور ! قال : فكان إذا ذكرت له ربيعة واليمن أعرض قال عبد الكريم : وأخرت

---

[1] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٥٤ ، ١٥٥.

نصرا وهو أرجل القوم ، وأحزمهم وأعلمهم بالسياسة فقلت نصر بن سيار الليثى ، قال : هو لها قلت:إن اغتفرت واحدة ، فانه عفيف مجرب عاقل ، قال ما هى ؟ قلت عشيرته بها قليلة ، قال : لا أبا لك أتريد عشيرة أكثر منى ! أنا عشيرته[١]

وتذكر الرواية الثالثة أن يوسف بن عمر لما قدم العراق قال : أشيروا على برجل أوله خراسان فأشاروا عليه بمسلمة بن سليمان بن عبد الله بن خازم وقديد بن منيع المنقرى ونصر بن سيار وعمرو بن مسلم ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم ومنصور بن أبى الخرقاء وسلم بن قتيبة ، ويونس بن عبد ربه ، وزياد بن عبد الرحمن القشيرى ، فكتب يوسف بأسمائهم إلى هشام ، وأطرى القيسية وجعل أخر من كتب اسمه نصر بن سيار الكنانى ، فقال هشام ما بال الكنانى آخرهم و كان فى كتاب يوسف إليه يا أمير المؤمنين نصر بخراسان قليل العشيرة . فكتب إليه هشام : قد فهمت كتابك وأطراءك القيسية . وذكرت نصراً وقلة عشيرته ، فكيف يقل من أنا عشيرته ! ولكنك تقيست على ، وأنا متخندف عليك فابعث بعهد نصر فلم يقل من عشيرته أمير المؤمنين ، بلة ما إن تسبيا أكثر أهل خراسان فكتب إلى نصر أن يكاتب يوسف بن عمر ، وبعث يوسف سلماً وافداً إلى هشام ، وأثنى عليه فلم يوله ثم أوفد شريك بن عبد ربه النميرى وأثنى عليه ليوليه خراسان فأبى عليه هشام . وأوفد نصر من

---

[١] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٥٥ ، ١٥٦ اليعقوبى : تاريخه جـ ٢ ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧.

خراسان الحكم بن يزيد بن عمير الأزدى إلى هشام وأثنـــى عليـه نصر فضربه يوسف ومنعه من الخروج إلى خراسان فلما قدم يزيـــد ابن عمر بن هبيرة استعمل الحكم بن يزيد على كرمان وبعـــث بعــهد نصر مع عبد الكريم الحنفى [١]

إن من يمعن النظرفى الروايات السابقة يجد أن أولاها أولـــى بالقبول من غيرها فقد ذكرها الطبرى معزوة إلى علـــى بـــن محمـد بخلاف ما عداها ، فإنه لم يذكر سندا لهما ، يضاف إلى ما تقـــدم أن هذه الرواية أوفى من الأخريين فى ذكر التفاصيل الدقيقة لخبر ولايـة نصر وكيفية علمه به ، فى حين أن الرواية الثانية لم تذكر شيئا عـــن هذا الأمر ومثل ذلك الرواية الثالثة فإنها حين ساقت إلى القارئ خـبر ولاية نصر خلت من ذكر دواعى الترشيح لكل فـــرد ممـــن سـمتهم الرواية للخليفة هشام بن عبد الملك ناهيك عن كـــون هـــذه الروايـة الأخيرة ذكرت ليوسف بن عمر الثقفى دوراً بارزاً فى التـــأثير علـــى الخليفة وهو يختار رجلا على خراسان وهذا لا يتصور من هشام ابـــن عبد الملك حيث كان يوسف بن عمر على بلاد اليمن[٢] قبل أن يوليـه العراق فمن أين له العلم برجـــال خراســـان حتـــى يستشـيره أمـير المؤمنين فيمن يوليه عليها؟

---

[١] الطبرى : تاريخ الرسل والملـــوك جـــ ٧ ص ١٥٧،١٥٦ ابـــن الجـــوزى : المنتظم جـــ ٤ ص ٦٦٦ ، ٦٦٧

[٢] ابن خلكان : وفيات الأعيـــان جـــ ٧ ص ١٠١ ، ١٠٢

ليس هذا فحسب بل إن ابن الأثير [١] ومن دار فى فلكه حين تناولوا ولاية يوسف بن عمر على العراق ذكروا أن الوالى المذكور ولى العراق فى جمادى الأولى سنة عشرين ومائة للهجرة وقدم الكوفة فى جمادى الآخرة ؛ فكيف يتصور القارئ والحالة هذه لعب هذا الرجل دورا فى ولاية نصر فإن الأخير جاءه كتاب ولاية عهده فى شهر رجب سنة عشرين ومائة للهجرة.

ومما يدعم ما ذهبت إليه أن البخارى [٢] جعل سنة إحدى وعشرين ومائة بداية لولاية يوسف بن عمر على العراق فلو صح التاريخ المذكور لكان من المستبعد يقيناً لعب يوسف بن عمر دوراً فى عرض المرشحين على الخليفة ليختار من بينهم والياً على خراسان ولو سلمنا جدلا بصحة التاريخ الذى جعل سنة عشرين ومائة بداية لولاية يوسف على العراق فإن ما ذكرته المصادر عنه منذ جاء إلى عمله وهو يطارد خالداً القسرى وعماله يجعل من يقرأ هذه الأخبار يكاد يجزم بعدم تدخل يوسف من قريب أو من بعيد فى أمر اختيار نصر بن سيار أو غيره على ولاية خراسان.

رأي الباحث في الأسباب التي جعلت هشام يولي نصراً خراسان

وعلى كل حال فإن هشام بن عبد الملك حين اختار نصراً لولاية خراسان لم يكن اختياره لها خاليا من أسباب يمكن للمرء أن يبرر بها ترجيح الخليفة لكفة نصر على غيره من الرجال المرشحين

---

(١) الكامل : جـ ٥ ص ٢٢١،٢٢٢،٢٢٣

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٧ ص ١٠١ ، ١٠٢.

لولاية خراسان وهذه الأسباب فيما أرى تتلخص فى أن الخليفة كانت تطالعه أخبار نصر ومواقفه مع الولاة السابقين بخراسان والتى كان فيها نصر يعمل بجد واجتهاد من أجل الحفاظ على سيادة المسلمين بخراسان وكان كذلك يحرص على إقامة العلائق الطيبة مع الولاة السابقين وإن أساءوا إليه ، وأنه صار صاحب خبرة لا يمكن لمن كان على شاكلة هشام بن عبد الملك أن يغض الطرف عنه فإنه تولى الكور [1] بخراسان حسبما رأى القارئ فيما سلف.

وهناك سبب آخر جعل هشاما يتجه ببصره إلى نصر دون غيره ألا وهو حرصه على إظهار الدولة الأموية بمظهر القوة المسيطرة على مقاليد الأمور بخراسان وأنها بقوتها تستطيع التصدى للعصبية القبلية التى كانت بلغت مداها فى خراسان قبيل عهد نصر ابن سيار فولى من كانت قبيلته قليلة العدد بين القبائل الأخرى ، وعلل ذلك بقوله الذى قرأه القارئ (أنا عشيرته).

بيد أن هشاماً لم يستطع تحقيق هذا الهدف على أرض الواقع فإن الدولة الأموية كانت على مشارف شيخوختها ، وذلك ما عبر عنه الأستاذ الخضرى وهو يعقب على مقولة هشام فى حق نصر حين رفض ما عابه به من استشاره هشام فقال: (هذه جملة صحيحة فى زمن قوة الدولة الناشئة عن اتحاد الفاتحين فأما بعد الانصداع فليست بصحيحة)[2].

---

[1] اليعقوبى : تاريخه جـ ٢ ص ٣٢٧.

[2] محاضرات فى تاريخ الدولة العباسية ص ٢٧.

ولقد شهد واقع خراسان لهشام بن عبد الملك أنه كان على دراية بأحوال أقاليم دولته ومنها خراسان فإن أنظار الخراسانيين بعد أن وافت المنية أسد بن عبد الله اتجهت إلى نصر بن سيار على الرغم من أيلولة البلد إلى جعفر بن حنظلة البهرانى سواء أكان منهم من بادله الود أو طوى نفسه على بغض لنصر.

وآية ذلك ما رأيته من ذكر لنصر ضمن المرشحين فى الروايات الثلاث وما قاله البخترى لنصر حين أم داره ليستنصحه فيما عرضه البهرانى على نصر من ولاية بخارى ، فقال له البخترى لا تقبلها لأنك شيخ مضر بخراسان فجاء الواقع موافقا لما تنبأ به البخترى بن مجاهد الذى لامراء بنى مقولته هذه على استقراء جيد لأخبار الرجال الذين جذبوا أنظار الخراسانيين وغيرهم إليهم بحكم مشاركتهم فى الأحداث والذين منوا أنفسهم بالتوصول إلى كرسى الولاية بخراسان نتيجة للأعمال التى قاموا بها فى هذا الإقليم وركون الولاة السابقين إليهم فى حملاتهم العسكرية وإخماد العصبية القبلية . فلما جاء العهد إلى نصر بن سيار بعث إلى البخترى ليأتيه فقال البخترى لأصحابه (قد ولى نصر خراسان ، فلما أتاه سلم عليه بالامرة فقال له : من أين علمت ؟ قال كنت تأتينى فلما بعثت إلى علمت أنك قد وليت)[1]

ونصر بن سيار الذى أقام بخراسان وقتا ليس بالقصير كان يعلم أن خبر ولايته إن سر بعض من أقاموا بها وخالطوه فإنه فى

---

[1] ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٢٢٧

الوقت ذاته أساء إلى من ناهضوه من القرناء بسبب العصـ[illegible]
القبلية أو الرغبة فى أن تكون الولاية لأحدهم دونه ولقد عبر نصـ[illegible]
بن سيار عن ذلك كله فى شعر له جاء فيه :-

تَعَزّ عن الصَّبابةِ لا تُلامُ ... كذلك لا يلِمّ بك احتمام

أَأَنْ سخِطت كبيرةُ بعد قُربٍ ... كلِفت بها وباشَرَكَ السَّقام

ترَجّى اليومَ ماوعَدَتْ حديثا ... وقد كذبتْ مواعِدَها الكرامُ

ألمْ ترَ أنّ ما صنَع الغوانى ... عَسِيُر لا يَريعُ به الكلامُ

أبَتْ لىَ طاعتِى وأبَى بَلائى ... وقوزى حينَ يَعْتَرِكُ الخصامُ

وإنّا لا نضيعُ لنا مُلِمًّا ... ولا حَسَبًا إذا ضاعَ الذِّمامُ

ولا نغضِى على غَدْرٍ وإنّا ... نُقيمُ على الوفاءِ فلا نُلامُ

خليفتُنا الذى فازت يَداه ... بقِدْح الحمدِ والملِكُ الهمامُ

نسوُ سُهُمْ به ولنا عليهم ... إذا قلنا مكارمُهُ جِسامُ

أبو العاصى أبُوهُ وعبدُ شمسٍ ... وحَرْبُ والقماقِمَةُ الكرامُ

ومروانُ أبو الخلفاءِ عالٍ ... عليه المجدُ فهو لهم نِظامُ

وبيت خليفةِ الرحمن فينا ... وبَيْتاهُ المقدس والحرامُ

ونحن الأكرمونَ إذا نُسِبنا   وعرنينُ[1] البرية والسنامُ

فأمسَينا لنا من كلِّ حيّ   خراطيم البَريّة والزّمامُ

لنا أيدٍ نريش بها ونبرى   وأيدٍ فى بوادرها السمام

وبأس فى الكريهة حين نلقى   إذا كانَ النذيرُ بها الحسامُ [2]

سياسة نصر الداخلية بخراسان

لما استوى نصر على كرسى الولاية صرف جل عنايته إلى اختيار عماله على الأقاليم فاختار رجالاً يثق بهم فجعلهم على المناطق التابعة لخراسان فأشخص على بلخ مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم واستعمل على مروالروذ وساج بن بكير بن وساج ، وعلى هراة الحارث بن عبد الله بن الحشرج ، وعلى نيسابور زياد بن عبد الرحمن القشيرى ، وعلى خوارزم أبا حفص بن على ختنه ، وعلى الصغد قطن بن قتيبة [3] وجعل على كتابته البخترى بن مجاهد الذى ظل يشغل المنصب حتى توفى نصر [4].

---

(١) عرانين القوم سادتهم وأشرافهم ، وقد تطلق على بن الأنف تحت مجتمع الحاجبين حيث يكون فيه الشَّمَمُ ابن منظور : لسان العرب مادة عرن .

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٥٨.

(٣) ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٢٢٧.

(٤) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٦٦.

يتضح لك مما سبق أن نصرا حين اختار عماله لم يجعل من بينهم يمنيا الأمر الذى جعل بعض اليمنيين يعد فعله هذا عصبية لقبيلته مضر[1].

وعندى أن هذا الرأى إن صح فى حق ولاة سابقين على نصر فإنه لا ينطبق على هذا الرجل فقد رأى القارئ أنه أبى على قومه اتيان والى خراسان أسد بن عبد الله فى ولايته الأولى لاستنقاذ نصر من بين يديه حتى لا يتسبب ذلك فى حرب قبلية تعانى منها خراسان فرجل هذه حساسيته إزاء التركيبة القبلية فى خراسان والذى رأى معاناة القبائل من تعصب هذا الوالى لقبيلة دون أخرى لا مراء ينأى بنفسه عن فعل ما يثير اليمنية وغيرها عليه وهو فى بداية ولايته فاختياره لعماله على النحو السابق ربما يرجع إلى أنه رأى فيهم كفاءة وإخلاصا دون غيرهم . ومن ثم استعان بهم فى بداية أمره حتى يفرغ لعلاج معضلات الأمور التى ورثها نصر عن الولاة السابقين والتى من أهمها مسألة الجزية فإن هذه القضية لطالما شغلت ولاة خراسان.

فيذكر الطبرى وغيره أن عمر بن عبد العزيز حين آلت إليه الخلافة كتب إلى الجراح بن عبد الله الحكمى والى خراسان كتابا يقول له فيه :-

انظر من صلى قبلك إلى القبلة فضع عنه الجزية ، فسارع الناس إلى الإسلام ، فكان من رأى الجراح ومن معه امتحان الناس

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٢٢٧.

بالختان لأن الدافع إلى إسلامهم إنما هو الفرار من الجزية ، وكتب بذلك إلى عمر رضى الله عنه ، فرد عليه بكتاب شديد اللهجة قال فيه ، إن الله بعث محمداً – صلى الله عليه وسلم – داعياً ولم يبعثه خاتنا!!![1]

ولم يهدأ له بال ولم يقر له قرار إلا بعد أن رفع الخراج عن من أسلم بخراسان وفرض لمن أسلم وكتب إليه هذا الوالى إنه لا يصلح أهل خراسان إلا السيف فأنكر عليه ذلك وعزله [2] على الفور.

وظلت خراسان تعانى من هذه القضية حتى جاء إليها أشرس ابن سعيد فأراد أن يضع حداً لها حتى يقبل العجم على الإسلام فأرسل إلى سمر قند وبلاد ما وراء النهر "أبا الصيداء صالح بن طريف مولى بنى ضبه" "والربيع بن عمران التميمي" فقال : أبو الصيداء إنما أخرج على شريطة أن من أسلم لا تؤخذ منه الجزية ، وإنما خراج خراسان على رءوس الرجال . فقال أشرس : نعم . فقال أبو الصيداء لأصحابه فإنى أخرج ، فإن لم يف العمال أعنتمونى عليهم ؟ قالوا نعم . فشخص إلى سمرقند وعليها الحسن بن العمرطة الكندى علي حربها وخراجها فدعا أبو الصيداء أهل سمرقند ومن حولها إلى الإسلام علي أن توضع عنهم الجزية فسارع الناس ، فكتب غوزك إلى أشرس أن الخراج قد أنكسر فكتب أشرس إلى ابن العمرطة : إن الخراج قوة للمسلمين ، وقد بلغنى أن أهل الصغد

---

[1] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٦ ص ٥٥٩.
[2] البلاذرى : فتوح البلدان ق ٣ ص ٥٢٤.

وأشباههم لم يسلموا رغبة إنما أسلموا تعوذاً من الجزية فانظر من اختتن وأقام الفرائض وقرأ سورة من القرآن فارفع خراجه.

كان رجوع أشرس بن سعيد عن قراره رفع الجزية عمن دخل الإسلام من أهل سمرقند و بلاد ما وراء النهر الأثر العظيم فقد تجمع العجم ومن شايعهم من رجال العرب الذين رأوا في فرض الجزية على من أسلم مخالفة للشريعة الإسلامية بغض النظر عن الأعذار التي برر بها أشرس بن سعيد الإقلاع عن قراره الأول . فاحتال عاملة على "هانئ بن هانئ" فألقى القبض عليه حتى يخمد الفتنة ويستمر الوضع على ما كان عليه من دفع الجزية.

وكان نصر بن سيار ممن عايشوا هذا الموقف فأحسن إلى ثابت قطنة وقد كان ممن ألقى القبض عليهم مع هانئ بسبب تأييدهم رفع الجزية عن العجم الذين دخلوا الإسلام [1]

فكان من الطبعي أن يولي نصر بن سيار هذا الأمر عظيم عنايته عندما آل إليه أمر هذا الإقليم فخطب الناس في سنة إحدى وعشرين ومائة للهجرة فحدثهم عن قضية الجزية التي شغلت العجم بخراسان زمناً طويلا حديثا حمل إلى الخراسانيين وغيرهم البشائر بوضع حد حاسم لهذه القضية يتفق مع ما قرره الإسلام فقال(إني استعملت عليكم منصور بن عمر بن أبي الخرقاء وأمرته بالعدل عليكم ، فأيما رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه،أو ثقل عليه في خراجه،وخفف مثل ذلك عن المشركين ، فليرفع ذلك إلى "المنصور بن عمر"،يحوله عن المسلم إلى المشرك

---

[1] الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٥٦/ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩.

فما كانت الجمعة الثانية حتى أتاه ثلاثون ألف مسلم ، كانوا يـؤدون الجزية عن رءوسهم وثمانون ألف رجل من المشركين قد ألقيت عنهم جزيتهم فحول ذلك عليهم وألقاه عن المسلمين،ثم صنف الخراج حتى وضعه مواضعه ثم وظف الوظيفة التى جرى عليها الصلح،فكانت مرو يؤخذ منها مائة ألف سوى الخراج أيام بنى أمية (١).

ويذكر فى هذا الصدد أن ديوان المحاسبات المالية بخراسان كان ما يزال يستخدم للغة الفارسية فى حساب أموال الإقليم.

ومن ثمَّ رفعها إلى أمير المؤمنين إلى أن آل لنصر أمر خراسان فأراد "يوسف بن عمر" والى العراق جعل المحاسبة باللغة العربية بدلا من الفارسية فكتب إلى نصر بن سيار فى سنة أربع وعشرين ومائة كتابا أنفذه مع رجل "يعرف بسليمان الطيار" يأمره ألا يستعين بأحد من أهل الشرك فى أعماله وكتابه.

وكان أول من نقل الكتابة من الفارسية إلى العربية بخراسان إسحاق بن طليق الكاتب رجل من بنى نهشل ، كان مع نصر بن سيار فخص به ، وولد لإسحاق ابن فسماه نصراً ، وقال :-

سميت نصرا بنصر ثم قلت له   أخدم سميك يا نصر بن سيار (٢)

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٧٣ ، ١٧٤.
النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٤٢٧.
(٢) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٦٧.

ولقد أتت سياسة نصر المالية ثمارها بإقليم خراســـان حيث عمرت عمارة لم تعمر قبلها مثلها[1] فكانت دار إمارته تشـــهد بيـــن الفينة والفينه مجيء بعض الشعراء إليه مثل أبى العطـــاء الســـندى وهو شاعر عرف بحبه للأمويين فإن الرجل مدح نصراً بـــأكثر مـــن قصيدة فمنحه الوالى المذكور أكثر من عطية تدلك على مدى الرخـــاء الذى عاشه الوالى وإقليمه فى بداية ولاية نصر له فقد أعطاه أربعيـــن ألف درهم [2] عن قصيدة مدحه بها.

ولا يعنى هذا أن نصراً أسلم نفسه لمجالس الأدب والشعر مـــع حبه ذلك دون أن يقدم عليها مصالح مصره فإنه أبى الجلوس لأبـــى العطاء السندى حتى ينشده قصيدة أنشأها فى مدحه لانشغاله بتدبـــير مصالح إقليمه وقال له : أئت تميماً (ولد نصر) فأتاه فأنشده فقـــال لأبى العطاء السندى حين أتاه فى الغد ما فعل بك تميم ؟ فقال :

لئن كان أغلِقَ بابُ الذرى　　　فقد فُتِح البابُ بالأبلَق

ثم أنشده قوله :

وهيكلٍ [3] يقال فى جَـــلالِهِ　　　تقصر أيدى الناسِ عن قَـــذالِهِ[4]

---

[1] ابن الجوزى : المنتظـــم جـــ ٤ ص ٦٦٧.

[2] الأصبهانى : الأغـــانى جـــ ١٧ ص ٣٣٤ ، ٣٣٩.

أحمد أمين : ضحى الإســـلام جـــ ١ ص ٢٣٢.

[3] تطلق على الضخم من الآدميين والعظيم مـــن الأشـــياء الأخـــرى

ابن منظور : لسان العرب مادة هكـــل

[4] تستعمل للدلالة على أكثر من معنى منـــها العيـــب أو الأتبـــاع

ابن منظور : لسان العرب مادة قـــذل.

جعلت أوصالى على أو صالهِ(١)   إنك حمّالٌ على أمثالهِ(٢)

ولعل السبب الذى جعل نصراً يتسع صدره إلى أمثال أبى العطاء السندى من الشعراء مع الأعباء الثقال التى حملها على كاهله خلال ولايته لخراسان راجع إلى أن الشعر فى هذا العصر كان يضطلع بدرو إعلامى لاغنى للقادة عنه فبسببه يتحدث الناس عن فضائل القادة والحكام أو يذمونهم ، ومن خلاله يستطيع الوالى حشد الطاقات للجهاد واستنهاض الهمم للبناء .

وعلى الجملة فإن الشعر كان يضطلع قديما بما يؤديه فى أيامنا تلك الإعلام من خدمة للحكام.

مما تقدم يتضح للقارئ أن نصراً انطلق فى ترتيب أمور خراسان من خلال معرفته بدقائق أمور الإقليم وساكنية فعين العمال وعالج قضية الجزية مع عدم حرمانه نفسه من الاستماع للشعراء كل ذلك لا يريك إلا جانبا واحدا من جوانب شخصية نصر الذى أتى خراسان فى وقت فرشت فيه ولايتها بالأشواك فلا يستطيع ولوجها إلا من تحلى بصفات قل أن يجدها المرء فى رجال عاشوا فى أجواء كتلك التى عاشها نصر بن سيار فى ولايته على خراسان يتبين لك هذا عند الإلماع إلى العقبات التى جابهت نصراً فى ولايته.

---

(١) تطلق على المفاصل وأجزاء العظم والشاعر يريد من الممدوح أن يجزل له العطاء ليضمن معيشة من يحملهم على أوصاله (يعنى ظاهرة وعاتقة)

(٢) الأصبهانى : الأغانى : جـ ١٧ ص ٣٣٤، ٣٣٥.

العقبات التى واجهت نصر

فى ولايته

لم يكن أمر هذه العقبات يشكل لنصر مفاجاءه وهـــو يراهـــ تقف حائلاً بينه وبين التمتع بولاية آمنة مستقرة فإنه عايش معظمـــه وأسهم فى التغلب عليها حين كان يأتمر بأوامر الأمـــراء الســابقين فانطلق فى التصدى لها من خلال تجارب اعتقد أنها ســتعينه علـــى تخطيها حتى يثبت لهشام بن عبد الملك ومن جاء بعده مـــن خلفـــاء الدولة الأموية أنه الأجدر بولاية خراسان من غيره فهل نجح نصـــر فى بلوغ غايته ؟ ذلك ما يراه القارئ فى مطالعته لعلاقة نصر بوالـــى العراق يوسف بن عمر وموقفه من ثورة يحيى بن زيـــد والـــترك ، والحارث بن سريج والكرمانى وأبى مسلم الخراسانى ، ومـــا يتصـــل بها من أمور كان لها التأثير المباشر ليس على خراسان وحدها بـــل على الدولة الأموية بأثرها.

١- موقف يوسف بن عمر والى العـــراق مـــن نصـــر بـــن ســـيار بخراسان:

لقد علم القارئ الكريم من خلال الروايات السالفة التى تناولت اختيار نصر بن سيار واليا على خراسان أن هذه الولايـــة لـــم تـــرق يوسف بن عمر وإن حظيت بتصميم الخليفة عليها ومن ثمّ طفق يعمل كل ما وسعه للنيل من ابن سيار لدى أمير المؤمنين هشام بـــن عبـــد الملك فتذكر المصادر أكثر من رواية سعى فيها يوسف بـــن عمـــر بنصر بقصد زحزحته عن ولايته واستبدال غيره به منـــها مـــا رواه

الطبرى من أن يوسف بن عمر كتب إلى هشام بن عبد الملك كتاباً جاء فيه إن خراسان دَبَرَةٌ دبِرةٌ [١] فإن رأى أمير المؤمنين أن يضمها إلى العراق فأسرح إليها الحكم بن الصلت فإنه كان مع الجنيد وولى جسيم أعمالها فأعمر بلاد أمير المؤمنين بالحكم وأنا باعث بالحكم بن الصلت إلى أمير المؤمنين فإنه أديب أريب ونصيحته لأمير المؤمنين مثل نصيحتنا ومودتنا أهل البيت.

فلما قرأ هشام كتاب يوسف أراد أن يتثبت مما فيه فبعث إلى دار الضيافة لعله يجد بها رجلاً على علم بأمور خراسان وعمالها وولاة أمصارها ، فوجد بالدار مقاتل بن على السغدى ، فأتوه به وأدناه فسأله هشام أمن خراسان أنت قال : نعم وأنا صاحب الترك وكان قدم على هشام بخمسين ومائة منهم فقال أتعرف الحكم بن الصلت قال : نعم ، قال فما ولى بخراسان قال ولى قرية يقال لها الفارياب [٣] خراجها سبعون ألفاً فأسره الحارث بن سريج ، قال ويحك وكيف أفلت منه ! قال : عرك أذنه ، وقفده [٤] وخلى سبيله فقدم عليه الحكم بعد بخراج العراق فرأى له جمالاً وبياناً فكتب إلى يوسف

---

[١] الدبرة بالتحريك قرحة الدابة ودبرت فهى دبرة ، كقرحة ، أى أنها موطن للقلاقل

ابن منظور : لسان العرب مادة دبر

[٣] بكسر الراء ثم ياء مثناه من تحت وآخره باء مدينة مشهورة بخراسان

ياقوت : معجم البلدان جـ ٦ ص ٤٠٩ ، ٤١٠.

[٤] القفد : صفع الرأس ببسط الكف من قِبل القفا

ابن منظور : لسان العرب مادة قفد.

إن الحكم قدم وهو على ما وصفت وفيما قبلك له سعة وخل الكنـــانى وعمله (١) .

فأنت ترى هشام بن عبد الملك بعدما تثبت من عـــدم صـــدق عامله على بلاد العراق فى ما قاله من صفات نعت بها مـــن رشـــحه على بلاد خراسان لينهض بها ويدبر أمورها أكفأ من "نصر بن ســيار" لم يأخذ الخليفة برأى "يوسف بن عمر" واعتقد جازماً أنه ما من ســبب دعاه إلى النيل من "نصر بن سيار" إلا تعصباً عليه أو رغبـــة فـــى أن يكون فى الإقليم ممن "ليوسف بن عمر" اليد الطولى عليهم .

وليس "هشام بن عبد الملك" بالذى يقبل ذلك فى دولته وهـــو الرجل المشهود له بحسن إدارته لأمور خلافته ومع علم يوسف ابـــن عمر بذلك فإنه لم ييأس من بذل المحاولات لبلوغ غايته بعد الإخفـــاق الذى أتى بمسعاه السابق فى نصر لدى الخليفـــة فوجـــد أن اســـتغلال العصبية القبلية بين القيسيه والمضرية وسيلة مثلى قد تنجـــح فـــى تحقيق مأربه ولاسيما إن هو نجح فى تجنيد واحد من رجال القيســـية المقربين إلى نصر فوجد ضالته المنشودة فى المغراء بن أحمـــد بـــن مالك بن سارية النميرى وكان نصر حين آلت إليه ولايـــة خراســـان سنّى منزلته وشفعه فى حوائجه واستعمل ابن عمه الحكم بن نميلـــة على الجوزجان ، ثم عقد للحكم على أهل العالية ، غير أن المغـــراء والحكم لم يحفظا لنصر ما قدمه لهما فبدر منهما ما أوغر صدر والـــى خراسان عليهما فقد صالح الحكم بن نميلة الآبار مولى بنـــى عبـــس

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملـــوك جـــ ٧ ص ١٩٣.
ابن الجوزى : المنتظـــم جـــ ٤ ص ٦٩١.

وكان ممن آزروا يحيى بن زيد الذى خرج على نصر بن سيار بخراسان فى ثورة يطالع القارئ أخبارها بعد ذلك فى الصفحات التالية من هذا البحث.

فاعتبر نصر بن سيار أن هذه المصالحة من الحكم تعد خروجاً على سلطانه ومن ثَمّ أخذ يبعد عن القيسية[١] فلما أرسل نصر بن سيار بعد غزوته الثانية لفرغانة وفداً عليه المغراء ابن أحمر إلى بلاد العراق فتلقاه يوسف بن عمر وهو يعلم ما بينه وبين نصر من خلافات فقال له قولةً تشعل العصبية القبلية فى خراسان حتى يدرك الخليفة أن نصراً ليس الجدير بحكم هذا الإقليم حين يرى الحرب القبلية تأكل بنارها الأخضر واليابس بالبلد/ومن ثَمّ يطمع أعداء الدولة الأموية فى المسلمين المقيمين على أرضها.فقال له يوسف بن عمر : يا بن أحمر يغلبكم ابن الاقطع يا معشر قيس على سلطانكم ! فقال قد كان ذلك أصلح الله الأمير ! قال : فإذا قدمت على أمير المؤمنين فابقر بطنه . فقدموا على هشام فسألهم عن أمر خراسان فتكلم مغراء فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر يوسف بن عمر بخير ، فقال ويحك ! أخبرنى عن خراسان قال : ليس لك جند يا أمير المؤمنين أحد ولا أنجد منهم من سوانق[٢] فى السماء وفرسان مثل الفيلة ، وعدة وعدد من قوم ليس لهم قائد قال : ويحك فما فعل الكنانى ؟ قال لا يعرف ولده من الكبر . فرد عليه مقالته وبعث إلى دار الضيافة فأتى بشبيل بن عبد الرحمن المازنى فقال له هشام

---

[١] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٧ ١٩٥ ، ١٩٦.

[٢] السوانق : الصقر الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٩٤ (٢)

أخبرنى عن نصر ، قال ليس بالشيخ يخشى خرفه ولا الشاب يخشى سفهه المجرب المجرب ، قد ولى عامة ثغور خراسان ومرو بها قبل ولايته [١]

كان لهذه المقولة التى قالها شبيل بن عبد الرحمن الوقع الطيب على فؤاد هشام بن عبد الملك فلم يعزل نصرا عن خراسان بل ازداد تمسكاً به بعد الذى كان من مكائد عاملة على العراق له فظل ابن سيار يحكم إقليمه حتى توفى هشام بن عبد الملك وجاء الوليد بن يزيد فأفرده بولايته.

فلما رأى يوسف ذلك عجل بالمسير إلى الخليفة فاشترى نصراً منه ليبقى تحت سيطرته ويمارس عليه ضغوطه وهو يدبر شئون بلاده [٢]

فزادت تلك السيطرة التى سيطربها يوسف على نصر والمؤامرات التى حاكها ضده من صعوبة موقف الوالى وهو يحاول التغلب على بقية العقبات التى واجهته وهو يدبر أمور إقليمه والتى كان من أهمها على المستوى الداخلى ثورة يحيى بن زيد.

٢- موقف نصر بن سيار من يحيى بن زيد

تعد ثورة زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب[٣] فى خلافة هشام بن عبد الملك حلقة من حلقات ثورات العلويين على

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٩٣ ، ١٩٤.
(٢) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٧٠٦.
(٣) الأصفهانى : مقاتل الطالبيين ص ١٢٧.

الأمويين فإن زيدا حين خرج بالكوفة تصدى له يوسف بن عمر والى العراق فأنزل به وبأتباعه هزيمة ساحقة رأى فيها يحيى والده وقد فاضت روحه إلى بارئها فى ميدان المعركة فأنشأ يحيى يبحث مع ثلة بقيت من رجال أبيه عن مكان يوارى فيه جسده كى لا ينبش الأمويون قبره فجعلوا قبره فى مجرى نهر هناك فحبسوا الماء حتى حفروا قبره وسجوه فيه ثم ما لبث الأمويون أن وقفوا على مكانة فاستخرجوه وقطعوا رأسه وصلبوا جسده وبعثوا بالرأس إلى هشام فأمر به فنصب على باب دمشق ثم أرسل به إلى المدينة المنورة فصلب بها ، ومكث البدن مصلوبا حتى مات هشام فأمر به الوليد فأنزل وأحرق[1].

كان من الطبعى أن تترك هذه المواقف الأثر الأليم على يحيى بعد ما تمكن من الوصول إلى خراسان فعقد الخناصر على الانطلاق منها بثورة على الأمويين ، وبينما هو ينشر بين أرجائها دعوته سرا إذا برسالة تأتى "نصر بن سيار" من عامل العراق "يوسف بن عمر" يأمره فيها بإلقاء القبض على يحيى بن زيد وإنزال شديد العقاب بالرجل الذى آواه فى خراسان[2] فأرسل نصر بن سيار إلى عقيل بن معقل العجلى وهو من كبار قادته وأمره أن يأخذ الحريش الذى اختفى عنده يحيى بن زيد ولا يفارقه حتى تزهق نفسه أو يأتيه به فسار إليه عقيل فسأله عنه فقال لا علم لى به فجلده ستمائة سوط فقال له

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٦٧٧.

(٢) اليعقوبى : تاريخه جـ ٢ ص ٣٢٦.

ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٢٧١.

الحريش : والله لو أنه كان تحت قدمي ما رفعتهما لك عنه فلما رأى ذلك قريش بن الحريش أتى عقيلاً فقال : لا تقتل أبي وأنا أدلك عليه فأرسل معه فدله عليه فأخذه وسار به إلى نصر بن سيار فحبسه فلما رفع أمره إلى يوسف عمر ومن ثمَّ إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك أمر الخليفة الأموي بتسيير يحيى إليه [١] فاستدعاه نصر بن سيار وأعطاه الأعطيات وأمر عماله بخراسان بأن يقيموا الرصد في طرق أعمالهم التي يمر بها يحيى بن زيد حتى لا يمكث بمصر من الأمصار التابعة لخراسان بعضاً من الوقت كي لا يجد فرصة تمكنه من بث دعوته في هذا المكان أو ذاك.

وعلى كل حال فإن يحيى بن زيد قد ظهر منه وهو في الطريق إلى الوليد ما يدل على خروجه على الطاعة فأخذ بعض الدواب من التجار وجمع حوله الأنصار فما كان من نصر إلا أن سير إليه جيشاً بلغ عشرة آلاف رجل عليه سلم بن أحوز وجعل على ميمنته سورة بن محمد بن عزيز الكندي ، وحماد بن عمرو السغدي على ميسرته فدارت بينهم وبين يحيى بن زيد وأتباعه اليسيرين معركة أسفرت عن قتل يحيى بن يزيد فلما بلغ الخليفة الأموي الوليد بن يزيد خبر مقتله كتب إلى يوسف بن عمر كتاباً أمره فيه يحرق جسد يحيى بن زيد ثم نسفه في اليم [٢] نسفاً بيد أن يوسف بن عمر

---

[١] ذكر اليعقوبي في كتاب البلدان ص ٦٦ . ٦٧ أن يحيى بن زيد قد احتال لنفسه حتى هرب من حبس نصر وأن ابن سيار أشخص إليه سلم ابن أحوز ليقاتله هناك.

[٢] الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠.
اليعقوبي : تاريخه جـ ٢ ص ٣٣١ ، ٣٣٢.
ابن الجوزي المنتظم جـ ٤ ص ٧٠٧.

لم يفعل ذلك ، وكان سلم بن أحوز قد صلبه وصلب بازائه رجلاً من العرب يقال له مطر بن مطرف فما زال مصلوباً حتى خرج أبو مسلم فأنزله وواراه وتولى الصلاة عليه ودفنه.[١]

مما تقدم ترى نصر بن سيار ينجح فى تجنيب ولايته ثورةً لو نشبت بها لأدت إلى زعزعة أركان حكمه ولعل السبب الذى جعله ينجح فى ملاحقة يحيى بن زيد قبل أن يستغلظ عوده بخراسان راجع إلى عيون الأمويين الذين أطلعوا عامل العراق ثم الخليفة الأموى على مكان اختباء الثائر العلوى ، ومنذ ذلك الوقت أولى نصر الأمر عظيم عنايته فتعامل معه فى حزم ولين فكان يشتد حين تكون الشدة حاسمة مثلما رأيته وهو يأمر قائدة بإنزال شديد العقاب بالحريش الذى اختبأ عنده يحيى بن زيد مما مكنه من إلقاء القبض عليه.

وها هو ذا يجزل العطاء ليحيى بن زيد حين رأى الخليفة الوليد بن يزيد اشخاصه إليه فلما رأى نصر اللين مع يحيى بن زيد لا يجدى أشخص إليه الجم الغفير من رجاله فوضعوا حداً لهذه الثورة ، ونصر فى هذا الموقف الذى وقفه من يحيى بن زيد إنما يدافع عن هيبة الدولة ، وينفذ أوامر الخليفة فهو فى إعتقادى بمنأى عن اللوم حيث إن يحيى بن زيد هو الذى فرض على ابن سيار ورجاله خوض المعركة التى قتل فيها.

---

(١) المسعودى : مروج الذهب جـ ٣ ص ٢٢٢.
ابن حبيب المحبر ص ٤٨٤.

وهناك سبب آخر تعزى إليه هزيمة يحيى بن زيد وغيره من العلويين السابقين عليه واللاحقين له ألا وهو انفضاض الأتباع والأشياع عنهم عند حومه الوغى بالإضافة إلى عدم الدقة في التخطيط للخروج وتعجله مما سهل على الأمويين وقادتهم إحراز الانتصار عليهم.

وهكذا كان نصر بن سيار يضطلع بأمور ولايته بكفاءة وكياسة ؛ يتضح لك ذلك جليا وأنت تطالع ما كان من أمره مع الترك المتربصين بخراسان.

٣-بين نصر والترك

إن من يطالع أخبار الحملات الحربية التى سيرها نصر بن سيار إلى بلاد الترك سواء تلك التى خرج على رأسها بنفسه أم تلك التى جعل عليها قائداً من قواده يجزم بأن نصراً استوعب الدروس والعبر من صراعات الولاة السابقين مع الترك فأيقن أن لا جدوى من مجابهة هؤلاء بسلاح الحرب وإقامة الحصون المتفرقة على تخوم بلادهم مثل قصر الريح [١] والباهلى وكمرجة [٢] لأن الترك جعلوا من طبيعة بلادهم سياجاً يحميهم فى حملاتهم على العرب تلك التى كانت تتخذ شكل حرب العصابات.

---

[١] بكسر الراء والياء المثناة من تحت والحاء المهملة قرية بنواحى نيسابور ياقوت معجم البلدان جـ ٧ ص ٥٧.

[٢] بفتح أوله وثانية وسكون الراء وجيم ، قرية من قرى الصغد ياقوت : معجم البلدان جـ ٧ ص ١٥٢.

فسلك نهجاً جديداً فى التصدى لحظرهم على قاطنى خراسان إقامة على إظهار القوة لإرهاب الأعداء والتلويح باستخدامها دون اللجوء إلى ذلك إلا إذا دعت الضرورة وتقديم الصلح مع هؤلاء الترك على الحرب ليستطيع به أن يأمن خطرهم هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يجعل منهم عدته فى مجابهته لبنى جلدتهم فى بلاد جعلتهم طبيعتها رجالاً ذوى بأس وشكيمة فإن نصراً استطاع أن يوثق علاقاته (بطوق شيادة)[1] وهو من ذوى السلطان فى بخارى فقد خطب نصر ابنة الرجل إليه [2] وكان يحرص على إكرامه والاستعانة برجاله فى حملاته المتكررة على بلاد ما وراء النهر وذلك ما كان حين توجه نصر بعد سمرقند إلى بلاد الشاش[3] وأراد عبور نهرها فتصدى له كورصول وهو ملك من الأتراك له أربعة آلاف قبّة ، وكانوا يحسبون قوة ملوكهم بعدد القباب التى يملكونها ويقومون بنصبها فى ميادين حروبهم حين يخرجون إليها بأنفسهم وكان نصر بن سيار قد استعان فى حملته تلك على بلاد الشاش بعشرين ألف تركى انضموا إليه من البلاد التى وثق علاقاته بحكامها مثل سمرقند وكش ونسف[4]

---

[1] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٧٦.

[2] النرشخى : تاريخ بخارى ص ٩٣.

[3] بالشين المعجمة:بلده بما وراء النهر ثم وراء سيجون متاخمة لبلاد الترك،ولها عمل وقرى وهى من أنزه بلاد ما وراء النهر وقصبتها بنكت أوتنكت.ياقوت : معجم البلدان حـ ٥ ص١١٤ ، أحمد عطية الله : القاموس الإسلامى حـ ٤ ص ٩

[4] بفتح أوله وثانيه ثم فاء ، هى مدينه كبيرة كثيرة الأهل والرستاق بين جيحون وسمرقند.

ياقوت : معجم البلدان جـ ٨ ص ٣٨٧.

ولقد دارت معارك متقطعة بين المسلمين بقيادة نصر ابن سيار والترك بقيادة "كورصول" بعد ما تمكن الأخير من تبييت نصر ورجاله انجلت عن مفاجأة لم يكن يتوقعها نصر والذين معه فإن عاصم بن عمير قائد جند سمرقند حين مرت به خيل الترك حمل على رجل فى أخرهم فأسره فإذا هو كورصول فحمله إلى نصر وهناك دار حوار بين نصر وهذا الملك يستطيع القارئ من خلاله الوقوف على بعض جوانب شخصية نصر بن سيار الحربية وهو يحكم خراسان تلك التى حفظت كل ما كان بين الترك والمسلمين من معارك لقى فيها المسلمون من شح الماء وندرة الطعام ما جعلهم فى بعض مراحلها يشرفون على الموت كما رأى القارئ ذلك فيما سلف.

فلما دخل أسير الترك على نصر سأله من أنت ؟

قال : كورصول . فقال نصر الحمد لله الذى أمكن منك يا عدو الله . قال : ما ترجو من قتل شيخ ؟ وأنا أعطيك أربعة آلاف بعير من إبل الترك وألف بزدون تقوى بها جندك وتطلق سبيلى فاستشار نصر أصحابه فأشاروا بإطلاقه فسأله عن عمره قال لا أدرى قال كم غزوت؟ قال اثنتين وسبعين غزوة قال أشهدت يوم العطش ؟ قال نعم. قال لو أعطيتنى ما طلعت عليه الشمس ما أفلت من يدى بعد ما ذكرت من مشاهدك وقال لعاصم بن عمير السعدى قم إلى سلبه فخذه فقال : من أسرنى ؟ قال نصر وهو يضحك : أسرك يزيد بن [illegible] الحنظلى : فأنكر أن يكون أسره لما رآه من ضعف شخصيته، فأعاد ملك الترك السؤال على نصر مرةً أخرى : أخبرنى من أسرنى ؟ قال أسرك عاصم بن عمير . قال لست أجد ألم القتل إذا كان أسرنى

فارس من فرسان العرب فقتله نصر وصلبه على شاطئ النهر فلمـــا قتل كورصول أحرقت الترك أبنيته وقطعوا آذانهم وقصـــوا شـعورهم وأذناب خيلهم . فلما أراد نصر الرجوع أحرقه لئـــلا يحمـــل الـــترك عظامه ، فكان ذلك أشد عليهم من قتله[1]

كان لهذا الموقف الذى نال به نصر وطر المسلمين من ملـــك الترك الأثر العظيم على رفع معنويات المؤمنين وحلفائهم هـــذا مـــن ناحية ومن ناحية ثانية فإن نصراً بموقفه المتشدد من رجل له هـــذه المكانة الرفيعة بين الترك أراد أن يحرمهم من الإفادة بخبرته الحربية وقدرته على تجريد الجيوش لقتال المسلمين بعد ذلك إن هـــو أطلـــق سراحه فلم تسل لعاب نصر هذه العروض المالية التى عرضها ملـــك الترك عليه وإن أسالت لعاب مستشاريه مما يدلك على أن نصراً وهو يجابه الترك لم يكن يبحث عن الغنائم وحيازتها بقدر ما كـــان يريـــد استتباب أمن ولايته وبالتالى وقاية المسلمين من اخطارهم أو جعلـــهم يعتنقون الإسلام.

وثمت أمر ثالث هو أن قتل الملك تسبب فى إلقـــاء الرعـــب والفزع فى أفئدة الحكام الترك الذين ما يزالون يناصبون المســـلمين العداء فسياسة نصر التى سلكها فى حربه لهؤلاء الترك يراها القارئ تؤتى ثمارها حين سار إلى بلاد الشاش فى ســـنة إحـــدى وعشـــرين ومائة للهجرة.

---

[1] ابن الأثير : الكـــامل جـــ ٥ ص ٢٣٦ ، ٢٣٧.

ابن كثير: البداية والنهايـــة جـــ ٩ ص ٣٢٧.

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهـــرة جـــ ١ ص ٣٦٧.

فلما علم ملكها بقدومه إلى بلاده خرج إلـــى نصـــر فتلقـــاه بالهدايا وصنوف الإكرام وعرض عليه إبرام صلح بينه وبين نصـــر الذى قبل ذلك من ملك الشاش على ألا يؤوى فى بلاده الحارث ابـــن سريج – الذى ستفصل صفحات هذا البحث الحديث عنه بعد ذلـــك – فقبل الملك هذا الشرط فعين نصر على الشاش نيزك بن صالح مولـــى عمرو بن العاص [١].

ومنها انطلق نصر برجاله فضرب الحصـر علـــى فرغانــه[٢] التى استعد ملكها للنزال ونجح فى سلب المسلمين بعضا من دوابـــهم وأسر عدد من رجالهم فأرسل نصر بن سيار مدداً لرجالـــه فـــالتقوا الفرغانيين فى معركة انجلت عن قتل الدهقان [٣] وأسر ولـــده ومعـــه رجال من الترك فحملوهم إلى نصر بن ســـيار فضـــرب عنـــق ولـــد الدهقان[٤]

ولعل السبب الذى جعل نصرا يقدم على إراقة دم هذا الأســـير هو أن نصراً سبق له تقديم السلام على الحسم حين أرســـل رســـولا إلى ملك فرغانة يعرض عليه الصلح فأظهر صاحب هذه البلاد أنـــه ذو

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٢٣٨.

(٢) بالفتح ثم السكون وغين معجمة وبعد الألـــف نـــون مدينـــة وكـــورة واســـعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان فى زاوية مـــن ناحيـــة - هيطـــل ، علـــى يمين القاصد ببلاد الترك كثيرة الخير واســـعة الرســـتاق بينـــها وبيـــن ســـمرقند خمسون فرســـخا.
ياقوت : معجم البلـــدان جـــ ٦ ص ٤٢٨.
لسترنج : بلدان الخلافـــة الشـــرقية ص ٥١٨، ٢٠، ٥٣١.

(٣) كلمة فارسية مركبة من مقطعين : ده بمعنـــى قريـــة ، وقـــان بمعنـــى شـــيخ او رئيس وقد تطلق على شيخ القرية ومن له معرفـــة بشـــئون الزراعـــة.
أحمد عطية الله : القاموس الإســـلامى جـــ ٢ ص ٣٩٧.

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملـــوك جـــ ٧ ص ١٧٧.

قوة يستطيع بها التصدى لنصر والذين معه إلا أن رسول والى خراسان استطاع بحسن خطابه لملك فرغانة الحصول على موافقته على كتاب الصلح الذى جاء به من عند نصر [١]

وإذا كانت المصادر التاريخية لم تشر صراحةً إلى أن سبب إرسال نصر جيوشه إلى بلاد فرغانة راجع إلى نقض ملك هذه البلاد الصلح الذى أبرمه مع نصر فإن ذلك يفهم من قول الطبرى : (وكان نصر بعث سليمان بن صول إلى صاحب فرغانة بكتاب الصلح بينهما)[٢]

فهذه العبارة تدلك على أن نصراً لم يخض هذه المعركة إلا بعد أن تنكر حكام فرغانة للصلح الذى أبرموه معه.

أطلق نصر بن سيار العنان لفكرة وهو يواجه الترك فلم يقف موقفاً يتسم بالجمود أمام قضايا هذا الصراع الذى طال أمده بين المسلمين والترك فأخذ يتعامل فى جرأة منقطعة النظير مع مشكلات هذا الصراع بما أملته عليه تجاربه الطويلة فى حروبه للترك انطلاقاً من خراسان قبل أيلولة البلد إليه فإن الصغد[٣] لطالما حاربوا الولاة

---

[١] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٧٧، ١٧٨.
ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٦٨١.
ابن الوردى : تاريخه جـ ١ ص ١٧٥.

[٢] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٧٧.

[٣] بالضم ثم السكون وآخره دال مهملة وقد يقال بالسين مكان الصاد وهى كورة عجيبة قصبتها سمرقند وقيل هما صغدان صغد سمرقند وصغد بخارى ، كانوا يسكنون بعض ما يعرف اليوم باسم أوزبكستان من جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية سابقاً/ياقوت معجم البلدان جـ ٥ ص١٩١.

السابقين على نصر وأظهروا فى مواجهتهم للمسلمين بسالة منقطعة النظير.

صحيح أن السابقين على نصر قد استطاع بعضهم أن يفرق جمع هؤلاء إلا أن ظروف الترك ما لبثت أن تغيرت بعد الذى أنزله بهم أسد بن عبد الله حين قتل خاقانهم فأصبحت جماعاتهم تعيش فترة سادها عدم النظام وهيئت الأجواء لظهور قوى تركية جديدة تستطيع التأثير على مجريات الصراع بين المسلمين وبينهم بعد مقتل خاقان.

ومن هذه القوى أهل الصغد فإن هؤلاء أخذوا يعودون إلى بلادهم أرسالا ، فرأى نصر بن سيار مخاطبتهم فى أمر عودتهم إلى بلادهم مع خضوعهم للمسلمين وعدم مناجزتهم فعرضوا عليه ما كان الولاة السابقون على نصر يأبون قبوله فإذا بابن سيار يرحب به ولا يبالى بما أثاره هذا العرض من حفيظة الفقهاء والمسلمين فإنهم عرضوا الرجوع ومهادنة المسلمين على أساس :-

(١) أن لا يعاقب من كان مسلما فارتد عن الإسلام.

(٢) لا يعدى عليهم فى دين لأحد من الناس .

(٣) لا يؤخذ أسارى المسلمين من أيديهم إلا بقضية قاض وشهادة عدول.

ولقد برر نصر بن سيار موقفه هذا لمن أنكروا عليه صلحه مع الصغد على هذه الشروط بقوله :-

(أما والله لو عاينتم شوكتهم فى المسلمين ونكايتهم مثل الذى عاينت ما أنكرتم ذلك) ومضى نصر بن سيار قدماً فى إضفاء الصبغة الرسمية على صلحة فسير رسولا من عنده إلى الخليفة هشام بن عبد الملك الذى ما إن أطلعه الرسول على كتاب الصلح حتى أبدى معارضته لبنوده فلما رأى رسول نصر ذلك من أمير المؤمنين قال له:-

(جربت يا أمير المؤمنين حربنا وصلحنا فأختر لنفسك)

هنا تدخل أحد مستشارى الخليفة فى الأمر فقال له : يا أمير المؤمنين تألف القوم وأحمل لهم ، فقد عرفت نكايتهم كانت فى المسلمين فأنفذ هشام هذا الصلح[1].

إن من يتأمل الصلح الذى عقده "نصر بن سيار" يجد الرجل لم يخالف شرعاً ولم يفعل إلاما فيه خير للمسلمين والخلافة فإن قبوله عدم التعرض لمن كان مسلما من أهل الصغد ثم ارتد عن دينه لا يعود بالضرر على المسلمين وسلطانهم بخراسان إذ لا خير يرتجى من رجل لم يخالط قلبه الإيمان بل على العكس فإنه إن ظل على إسلامه فى الظاهر فلربما يحدث منه عند الاستعانة به فى حرب ما يلحق الضرر بالمسلمين.

ومثل ذلك قبوله عدم التعرض لمن بيد الصغد من الرقيق الذين تحت أيديهم دون إقامة بيّنه على إسلامهم واسترقاقهم بعد أسرهم

---

(١)الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٩٢
النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٤٥٩.

أمر لا يجافى العدل فالقضاء وحده صاحب الكلمة العليا فى هذا الأمر بمقتضى البينة التى يقدمها إليه المدعى ومثل ذلك أيضاً عدم مطالبتهم بديونهم السابقة فإن ذلك كله إن قورن بالنفع الذى عاد على مسلمى خراسان من مصالحتهم للصغد يجعل المرء يعتقد الصواب فى جانب نصر بن سيار فى حسمه للصراع مع الصغد فإنهم وغيرهم من الترك كانوا ملاذاً للخارجين على سلطة المسلمين بخرسان مثل الحارث بن سريج الذى شجعه على المضى قدماً فى حركته وثورته انشغال ولاة خراسان عنه بصراعهم مع الترك.

٤- بين الحارث بن سريج ونصر بن سيار

ورث نصر بن سيار عن ولاة خراسان السابقين عبء مواجهة الحارث بن سريج الذى قاد ثورة كبيرة ببلاد خراسان أرهقت الدولة الأموية من أمرها عسراً فإن هذا الرجل رأى فى الواقع الذى تعيشه هذه الدولة فى كثير من أقاليمها فرصة مواتية لخروجه على طاعتها ففى سنة ست عشرة ومائة شهدت الدولة قلاقل ببلاد الشام واضطرابات للموالى بسبب قضية الجزية فى خراسان فوجد الحارث بن سريج أنه لا سبيل إلى تجميع الرجال إليه فى أعداد غفيرة إن هو خرج بخراسان إلا بإظهار تأييده للعجم فى موقفهم من ولاة الأمويين فى خراسان الذين آبو إلا أن يأخذوا الجزية ممن أسلم منهم فقاد عربى ثورة موالى ضد دولة عربية تعصبت للعرب على حساب العجم فأنشأ يدعو قاطنى خراسان إلى الكتاب والسنة وإلى المساواة بين العرب والعجم ويذكر أن الحارث فى بدء دعوته كان من الخوارج وأخذ برأى المرجئة غير أنه لم يدع إلى نفسه وإنما دعا إلى العدالة

ونصرة الحق ومحاربة الظلم بالسيف مستفيداً من تذمر الموالى تجاه سياسة الأمويين[١].

وقد انضم إليه أشياع أبى الصيداء زعيم المرجئة مثل بشر ابن جرموز الضبى ، وأعداد كثيرة من الموالى .

وكان على ولاية خراسان فى تلك الفترة عاصم بن عبد الله بن يزيد الذى وجه إليهم رسله فقيدهم الحارث وسجنهم ، وحينما استطاعوا الخروج من سجنه أمرهم عاصم بن عبد الله أن يخطبوا فى الناس ذاكرين الحارث وخبث سيرته .

لما رأى الحارث بن سريج أن الناس قد التفوا حوله فى جموع كثيرة سار بهم من الفارياب إلى بلخ وعليها نصر بن سيار فلقى الحارث فى عشرة آلاف وهو فى أربعة آلاف فقاتلهما فانهزم أهل بلخ.

وتبعهم الحارث فدخل مدينة بلخ وخرج نصر بن سيار منها وأمر الحارث بالكف عنهم ، واستعمل عليها رجلاً من ولد عبد الله بن خازم [٢]

ترك الانتصار الذى أحرزه الحارث على نصر بن سيار أثراً عظيماً فجمع اتباعه ليستشيرهم فيما ينبغى عليهم فعله بعد هذا الظفر

---

(١)ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ١٨٣.
ثريا حافظ عرفة : الخراسانيون ودورهم السياسى فى العصر العباسى الأول ص ٣٢، ٣٣ ، ٣٥.

(٢) خليفة بن خياط : تاريخه ص ٣٤٦.
الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٩٤، ٩٥.
النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٤٣٩.

فأشار عليه جُلهم بالبقاء حيث هو بعد ماضم إليه الجوزجان وعللوا ذلك بقولهم (مرو بيضة خرسان وفرسانهم كثير ، ولو لم يلقوك إلا بعبيدهم لا نتصفوا منك ، فنم فإن أتوك فقاتلهم وإن أقاموا قطعت المادّة عنهم)

لم يرق للحارث بن سريج هذا الرأى فصمم على المسير إلى مرو ممنياً نفسه بحيازتها منتهزاً فرصة اضطراب واليها عاصم بن عبد الله فسار إليها بمن معه من دهاقين خراسان وهناك دارت معركة كبيرة بين عاصم وبينه انكشفت عن هزيمة أتباع الحارث هزيمة ساحقة فكانوا بين قتيلٍ أو غريقٍ أو أسير.

ومع ذلك منع عاصم بن عبد الله أصحابه من ملاحقة الفلول التى مضت مع الحارث مونيةً الأدبار[١] ولم يعرف السبب الحقيقى لكف عاصم عن قتال الحارث إلا إذا كان قد أحس بقوة خصمه من جهة والمهمة الملقاة على عاتقه لحماية خراسان من جهة أخرى خاصة وأن المسافة بين خراسان وحاضرة الخلافة الأموية بعيدة والمدد لا يمكن وصوله بالسرعة المرتجاة[٢] والذى يؤكد لك أن عاصماً لم يكن جديراً بمحاربة الحارث بن سريج أنه قبل إبرام صلح بينهما.

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخه ص ٣٤٦.
ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٩ ص ٣١٣.
النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٣٤٩ ، ٤٤٠.
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٣٥٢.
(٢) ثريا حافظ عرفة : الخراسنيون ودورهم السياسى فى العصر العباسى الأول ص ٣٤.

اتفقا فيه على أن ينزل الحارث أى كورخراسان شاء وعلى أن يكتبا جميعاً إلى هشام يسألانه كتاب الله وسنة نبيه ، فإن أبى اجتمعا عليه . فختم على الكتاب بعض الرؤساء وأبى يحيى بن حضين أن يختم وقال هذا خلع لأمير المؤمنين(١).

وإذا كان نصر بن سيار قد حارب الحارث بالسيف فانهزم حين كان ببلخ فإنه استمر بعد ذلك فى مناهضته له بسيفه ثم بلسانه خلال ولاية عاصم ليجعل الناس ينفضون عنه ، فبين لهم أن الحارث بثورته تلك قد أطمع أعداء المسلمين فيهم وأنه ينبغى عليه إن كان جاداً فى دعوته أن يصرف همته إلى هؤلاء حتى يدفعهم عن المسلمين أو ينشر فيهم تعاليم الدين فقال :-

فامْنعْ جهادَكَ مَنْ لم يَرْجُ آخِرةً … وكن عَدوّاً لقوم لايُصَلّونا

واقْتلْ مُواليهَمُ مِنّا ونَاصِرَهُمْ … حيناً تكفّرهُمْ والعَنْهُمْ حينا

والعَائبينَ علينا دينَنَا وَهُمُ … شَرُّ العِبادِ إذا خابَرْتَهُمْ دِينا

والقائلينَ سبيلُ الله بِغْيَتنا … لَبعْدَ ما نكبُوا عَمّا يقُونُونا

فاقتلهم غَضَباً لله مُنْتَصَراً … مِنهُم به وَدَعَ المِرتَاب مَفتونا

ارْجاؤكمُ لَزَّكُمْ(٢) والشْركَ فى قَرنِ

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٠١، ١٠٢

ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٦٣٧.

(٢) لَزَّ الشئ بالشئ لزاً وألزه أى الزمه إياه ، وتستعمل بمعنى لملاصقة ابن منظور : لسان العرب مادة لزز.

فأنتم أَهْلُ إشراكٍ ومَرْجُوناً (١) ...الخ

ولما وقف هشام بن عبد الملك على الخطر الذى شكله الحارث ابن سريج على ولايه بخراسان عجل بعزله وأرسل أسد بن عبد الله والياً عليها كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

اضطلع هذا الوالى بأمر مناهضة الحارث فى ظرف بالغ الصعوبة فقد أحاط به الأعداء من كل مكان وحين سار برجاله إلى الترمذ(٢) .

وجد الحارث بن سريج محاصراً لها فخرج أهل المدينة لقتالة ورده عن بلدهم وكان الحارث قد وضع لهم كميناً فتبعوه ، ونصراً بن سيار مع أسد جالس ينظر المعركة فأظهر الكراهية ، وعرف أن الحارث قد كادهم وظن أسد أنما ذلك من نصر شفقة على الحارث حين ولى ، وأراد معاتبة نصر ، وإذا الكمين قد خرج عليهم فانهزموا(٣)

من هذا الموقف الذى رأيته يتضح لك أن أسد بن عبد الله القسرى حين جاء للمرة الثانية لم يشأ الإفادة من فكر نصر الحربى فكان يعامله بحذر ويقدم سوء اعتقاده فيه على مادونه ، وما

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٠١.

(٢) بفتح التاء وكسر الميم مدينة مشهورة من أمهات المدن على نهر جيحون من جانبه الشرقى متصلة العمل بالصغانيات.
ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٤٠ ، ٤٤١.

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ١٠٦.
ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ١٨٨، ١٨٩.
الذهبى : العبر جـ ١ ص ١١١.

ذلك إلا للعصبية القبلية التى جعلت الحارث وأمثاله يحدثون فى خراسان من القلاقل والاضطرابات ما عجل بنهاية الدولة الأموية.

وعلى كل حال فإن الواليين السابقين على نصر لم يتمكنا من حسم الصراع مع الحارث بن سريج لصالح الدولة الأموية إلى أن جاء نصر فأدرك أن الحارث بتحالفه مع الترك زاد من خطرهم على المسلمين فى خراسان فأراد أن ينهج سياسية جديدة مع هذا الخارج لعلة يدفع بها خطره عن خراسان خاصة ، وعن الدولة الأموية عامة لاسيما وأن الحارث قد أتصل بالكرمانى المناوئ لنصر وكذلك الشيبانى ليجعل منهما وسيلة ضغط على عامل الدولة الأموية بخراسان أو يستطيع بهما هزيمة نصر وطرده عن خراسان والحلول محله.

ويبدو لى أن هذه التطورات التى أشرت إليها لم تغب عن ذهن الخليفة الأموى الجديد يزيد بن الوليد فكتب إلى الحارث يعده ويمنيه ويسأله العودة وهو آمن من بلاد الترك إلى مرو فوافق فعل الخليفة مع الحارث نهج نصر وسياسته.

فأحسن نصر استقبال الحارث بن سريج حين وصل إلى مرو فى جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة فتلقاه نصر وأجرى

عليه رزقاً كل يوم خمسين درهما وأطلق نصر من كان عنده من أهله ، وبعث إليه بفرس وفرش ، فباع الحارث ذلك وقسمة فى أصحابه ، وكان يجلس على برذعة ، وتثنى له وسادة غليظة

٦٠

وعرض عليه نصر أن يوليه ويعطيه مائة ألف فلم يقبل وقال : لست من أهل اللذات وإنما أسألك كتاب الله والعمل بالسنة فإن فعلت ساعدتك وإني خرجت من هذا البلد منذ ثلاث عشرة سنة انكاراً للجور وأنت تريدني عليه.[1]

ومع ذلك جمع الحارث بن سريج الأعوان حوله من جديد فانضم إليه ثلاثة آلاف رجل من قبيلة تميم والأزد وغيرهما.

وحتى يستمر ممسكاً بخيوط اللعبة السياسية بخراسان كتب إلى الكرماني يذكر له : (إن أعطاني نصر العمل بالكتاب وما سألته عضدته وقمت بأمر الله ، وإن لم يفعل أعنتك إن ضمنت لي القيام بالعدل والسنة).[2]

فهو بهذه المقولة يجعل من نفسه رقيباً على الوالي وفي ذلك كما ترى زوال لهيبة سلطة نصر ومكانته في أعين الرعية ، ليس هذا فحسب بل هو يشجع الكرماني على المضي قدما في مناوءته لنصر فوعده الحارث النصرة إن هو أعطاه حق المراقبة عليه إذا ما آل أمر البلد إليه .

ومن الطبعي ألا يتحقق ذلك إلا بعد صراع داخلي تراق فيه الدماء بخراسان . وهذا ما يسعى إليه الحارث الذي حالف كل القوى المناوئة بخراسان بغض النظر عن ما إذا كانت منتمية للدين الحنيف أم لا مثلما كانت حاله مع الترك غير المسلمين إذ ذاك.

---

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٣٠٩.
ابن الجوزي : المنتظم جـ ٤ ص ٧١٧ ، ٧٢٢.
عبد الشافي عبد اللطيف : العالم الإسلامي في العصر الأموي ص ٥٢٥.
(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٣٢٧.

ذلك أنه لما استخلف مروان بن محمد جدد لنصـر بـن سـيار الولاية على خراسان فثار الحارث بن سريج عليه ونقض الأمان على زعم أن الذى أمنه يزيد بن الوليد قد غربت شمسه عن الخلافـة ولا يأمن على نفسه مروان بن محمد وطالب الحارث الناس ببيعته فوافته جموعهم فأرسل نصر إليه كبار رجال ولايته على رأسـهم صـاحب شرطته فناشدوه الاستمرار فى الجماعة وذكروه بإحسان نصر إليـه فأبى إلا المضى قدماً فى انتقاضه على أميره لاعتقـاده أنـه صـار صاحب الكلمة العليا فى خراسان فأرسل إلى نصر يطلب منـه إقالـة صاحب شرطته وتعيين بشر بن "بسطام البرجمى" عوضاً عنه [١]

ولقد بلغ الهوان والضعف بنصر مداهما حين قبل تشكيل هيئـة تحكيم تتولى الحكم بينه وبين الحارث بن سريج لأنه بذلك يسوى بينه وهو ذو سلطان وبين خارجى نبـذ الطاعـة وتحـالف مـع أعـداء المسلمين ، وأمر نصر كاتبه أن يكتب ما يرضـى بـه الحكمين مـن الأسس السياسية لتدبير أمور الإقليم ومـا يختارونـه مـن العمـال فيوليهم الثغرين ، ثغر سمرقند وطخارستان ، ويكتب إلى من عليـهما ما يرضونه من السير والسنن

ويبدو لى أن الذى ألجأ نصر إلى قبول التحكيـم بينـه وبيـن الحارث أن ذلك كان فى وقت أرجف فيه دعاة العباسيين فى خراسـان أنه يظهر فى هذه الآونة صاحب الرايات السود الـذى يديـل دولـة الأمويين فاهتبل الحارث هذه الأراجيف فزعم أنه صـاحب الرايـات السود الذى يتحدث الناس عنه هنا وهناك فأراد نصر أن يبطل دعوته

---

(١)الطبرى : تاريخ الرسل والملـوك جـ ٧ ص ٣١.

تلك فأرسل إليه يقول : إن كنت تزعم وأنكم تهدمون سور دمشق وتزيلون أمر بنى أمية ، فخذ منى خمسمائة رأس ومائتى بعير ، وأحمل من الأموال ما شئت وآلة الحرب وسر ، فلعمرى لئن كنت صاحب ما ذكرت إنى لفى يدك ، وإن كنت لست ذلك فقد أهلكت عشيرتك فقال الحارث : قد علمت أن هذا حق ولكن لا يبايعنى عليه من صحبنى . فقال نصر فقد استبان أنهم ليسوا على رأيك ، ولاهم مثل بصيرتك وأنهم هم فساق ورعاع ، فأذكرك الله فى عشرين ألفاً من ربيعة واليمن سيهلكون فيما بينكم .

وعرض نصر على الحارث أن يوليه ما وراء النهر ويعطيه ثلثمائة الف . فلم يقبل ، فقال له نصر : فإن شئت فابدأ بالكرمانى فإن قتلته فأنا فى طاعتك، وإن شئت فخل بينى وبينه فإن ظفرت به رأيت رأيك، وإن شئت فسر بأصحابك فإذا جزت الرى فأنا فى طاعتك.[1]

إن من يتأمل هذا العرض الذى عرضه نصر على الحارث ابن سريج يدرك أن الوالى بذل له ما وسعه حتى يجنب نفسه خوض معركة ضده فى هذا الوقت الذى كثر فيه أعداء الدولة الأموية وبلغ فيه الضعف مداه بالخليفة الأموى ، فهو إذن يعلم مقدماً أن جابه الأمر بقوة السلطة وعزيمة القائد الحربية لن يجنى إلا الهزيمة التى قد تعجل به من خراسان فلا هو بمستطيع حشد العدد والعتاد اللازم لمجابهة عشرات الألوف التى انضمت للحارث بن سريج ومناوئيه الآخرين ، ولا هو بالرجل الذى يقبل الانسحاب من هذا الميدان معلناً

(١)ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٣٤٢ ، ٣٤٣-

عن عجزه تدبير، الأمور، فقبوله للمفاوضات مع الحارث وعرضة عليه هذه التنازلات كان أمراً لا بد منه بل قل إن شئت كان بمثابة الورقة الأخيرة التى لم يعد يملك سواها ، فلا يلام نصر والحالة هذه فى عرضه الأخير الذى عرضه على الحارث بن سريج الذى نجح فى تجنيد بعض عمال نصر معه فلما وقف نصر على أن عددا من رجال ولايته قد ظاهروا الحارث عليه جمعهم نصر إليه وأجلسهم عن يساره وجعل المخلصين من معاونيه عن يمينه وقال لهم أحمد الله وأذم من على يسارى ، وليت خراسان فكنت يا يونس بن عبد ربه ممن أراد الهرب من كلف مئونات مرو ، وأنت وأهل بيتك ممن أراد أسد بن عبد الله أن يختم أعناقهم ويجعلهم فى الرجالة ، فوليتكم إذ وليتكم واصطنعتكم وأمرتكم أن ترفعوا ما أصبتم إذا أردت المسير إلى الوليد فمنكم من رفع ألف ألف وأكثر وأقل ثم ما لأتم الحارث على ، فهلا نظرتم إلى هؤلاء الأحرار الذين لزمونى مؤاسين على غير بلاء وأشار إلى هؤلاء الذين عن يمينه فاعتذر القوم إليه فقبل عذرهم [1] أدرك نصر بن سيار أنه لا مناص من حرب تدور بينه وبين الحارث بعد ما أعلن المحكمون رأيهم بخلع نصر بن سيار و جعل اختيار والى خراسان إلى المسلمين يختارون على أساس مبدأ الشورى [2] من يرونه كفأًها فأبى نصر قبول هذا الرأى الذى يعنى إقراره بزوال خلافة الأمويين الذين جعلوه واليا على هذا الإقليم ، وزاد من تلبد

-النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٥٢٣.
(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٣٣٢.
(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٤ ص ٣٤٣.
ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٧٢٩.
ثريا حافظ : الخراسانيون ودورهم السياسى فى العصر العباسى الأول ص ٣٦.

الأجواء بين ابن سريج وابن سيار هذا الشحن المعنوى الذى عبأ بـــه الأول الناس فأمر بقراءة سيرته فـــى المســـاجد والتجمعـــات فأتتـــه جموعهم مرحبةً به ترى فيه منقذاً لهم من تعصب الأمويـــين عليـــهم ليس هذا فحسب بل إن أحد من كلفوا بقراءة سيرة الحارث اســـتطاع قراءتها عند باب نصر بن سيار الذى أمر بحشد طاقاته العسكرية بعد علمه بذلك لخوض الحرب ضد الحارث بن سريج فولى عـــاصم بـــن عمير قيادة جيشه فسار إلى الحارث لتدور بين الفئتين حرب ضروس انتهت جولتها الأولى بانتصار الحارث بن سريج ودخوله مرو ثم مـــا لبثت الحرب أن صارت فى صالح نصر والذين معه فألحقوا هزيمـــةً بالحارث بن سريج[1] الذى أوى برجاله المنهزمين إلى الكرمـــانى [2] فانشأ الأخير يلعب دوراً بارزاً فى الصراع بيـــن "نصـــر بـــن ســـيار" و"الحارث بن سريج" وحتى يقف القارئ على الدوافـــع التـــى جعلـــت الكرمانى يؤازر الحارث على نصر يحسن بى الإلماع إلى ما كان بيـــن نصر والكرمانى من علاقات جعلت الأخير يقف مـــن نصـــر موقـــف العداء بعد أيلولة أمر خراسان إليه.

٥-بين نصر والكرمانى

كان جديع بن على بن شبيب بن برارى بن صنيم المعنى[3] المنســـوب إلى كرمان مسقط رأسه ترباً لنصر بن سيار قبل توليته على خراسان

---

[1] خليفة بن خيـــاط تاريخـــه ص ٣٨٣ ، ٣٨٤

[2] الطبري : تاريخ الرســـل والملـــوك جـــ ٧ ص ٣٣٢ ، ٣٣٣، ٣٣٤.

ابن الجوزى : المنتظـــم جـــ ٤ ص ٧٢٩.

[3] الطبرى : تاريخ الرسل والملـــوك جـــ ٧ ص ٢٨٧.

وكلاهما عمل على تهيئة الأجواء لنفسه وجذب الأنظار إليه حتى يصبح فى يوم ما والياً على الإقليم .

ولقد رأيت فيما سلف من القول أكثر من رواية ذكرت الكرمانية مع الرجال المرشحين لهشام بن عبد الملك حتى يختار من بينهم والياً على خراسان ، فلما أصبح نصر والياً على خراسان حنق عليه جديع بن على" وأنشأ يعمل على إثارة القلاقل فى وجهه، ولكى ينجح فى بلوغ مآربه راح يتلمس الأسباب التى تسوغ له الثورة على نصر ابن سيار والتى من بينها تأخر نصر فى إخراج العطاء من بيت مال خراسان على ما جرت عليه عادة أهل الإقليم وذلك بسبب أن الوليد ابن يزيد حين آلت إليه خلافة الأمويين فى ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة [1]

سار إليه يوسف بن عمر والى العراق فاشترى لنفسه منه تبعية الإقليم الذى يحكمه نصر ، وكتب يوسف إلى نصر يطلب منه إرسال الهدايا إليه حتى يبعث بها إلى الوليد فقام نصر بتقسيم عبء تدبير هذه الهدايا على عماله وأهل خراسان فلم يدع بها جاريةً ولا عبداً ولا برذوناً فارهاً إلا أعده واشترى ألف مملوك وأعطاهم السلاح ، وحملهم على الخيل ، وقال بعضهم : كان قد أعد خمسمائة وصيفه ، وأمر بصنعة أباريق الذهب والفضة وتماثيل الظباء ورءوس السباع والأيايل وغير ذلك ؛ فلما فرغ من ذلك كله كتب إليه الوليد يستحثه، فسرح الهدايا حتى بلغ أوائلها بيهق [2] فكتب إليه الوليد يأمره أن

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٥٠.

(٢) بالفتح كوروا سعة كثيرة البلدان والعمارة بين أول حدودها ونيسابور ستون فرسخا)ياقوت معجم البلدان جـ٢ ص ٤٢٢

يبعث إليه ببرابط[1] وطنابير [2] إلا أن شيئا من هذه الهدايا لم يصل إلى الخليفة الذى قضى أجله ونصر يتأهب إلى ارسال الهدايا إليه [3].

فكان من الطبعى أن يؤدى هذا إلى حدوث تذمر بين الخراسانيين حين تأخر عطاؤهم بسبب الأزمة المالية التى تسبب فيها الإنفاق على تدبير هذه الهدايا فقاموا بالمسجد يوم الجمعة يطالبون نصرا بالعطاء فرأى ابن سيار أن الفتنة قد اطلت برأسها وأن رجالا ينفخون فى نارها فحذر الخراسانيين من غائلتها وقال لهم : إنى لمكفر ومع ذاك لمظلم ! وعسى أن يكون ذلك خيراً لى إنكم تغشون أمراً تريدون فيه الفتنة فلا أبقى الله عليكم ، والله لقد نشرتكم وطويتكم ، وطويتكم ونشرتكم ، فما عندى منكم عشرة وإنى وإياكم كما قال من كان قبلكم.

اسْتَمسِكُوا أصحابنَا نحدُو بكمْ ... فقد عرفنا خَيركم وَشَرَّكمْ

فاتقوا الله فوالله لئن اختلف فيكم ليتَمَنينَّ الرجل منكم أنه يخلع من ماله وولده ولم يكن رآه . يا أهل خراسان أنكم غمطتم الجماعة وركنتم إلى الفرقة أسلطان المجهول تريدون وتنتظرون ! إن فيه لهلاككم معشر العرب [4] فاهتبل الكرمانى هذا الأمر فراح يشيع فى أتباعه الأزد أن خراسان مقبلة على فتنة بعد ما آلت لابن سيار فقال لهم : انظروا لأموركم رجلا فقالوا : أنت لنا فلما وقف نصر على

---

(١) البربط : العود ، أعجمى ليس من ملاهى العرب فاعربته حين سمعت به ، وفى حديث علي بن الحسين لا قُدِّست أمَّة فِيها البَرْبَط!
ابن منظور : لسان العرب مادة بربط.

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٢٢٤ ، ٢٢٥.

(٣) ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٢٩٧ ، ٢٩٨
ابن الجوزى : المنتظم جـ ٤ ص ٧١٦ ، ٧١٧.

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦.
ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٣٠٢،٣٠٣.
النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٤٩٦ ، ٤٩٧.

جلية ما يدبر له من وراء ظهره دعا مستشاريه ليستنصحهم عن السبيل الذى يسلكه فى تألف الكرمانى إليه واتقاء خطره فمنهم من قال له : أرسل إليه فاقتله أو فاحبسه فقال نصر لا ، ولكن لى أولاد ذكور وإناث فأزوج بنى من بناته وبنيه من بناتى فأبوا قبول ذلك من نصر فقال لهم ابعث إليه بمائة ألف فإنه بخيل ولا يعطى أصحابه شيئا ويعلمون به فيتفرقون عنه قالوا لا هذه قوة له قال نصر فندعه على حاله يتقينا ونتقيه[1]

ومن الأسباب التى جعلت الكرمانى يعمد إلى إثارة القلاقل فى وجه نصر والدولة الأموية أنه كان يطمح إلى أن يولى مروان ابن محمد أحد ولديه السيوف فينال بذلك ثأر بنى المهلب فلما لم يحقق له الخليفة ما تمناه أزمع النيل من نصر والخليفة بإثارة الفتن الداخلية فى الإقليم ، والذى زاد من تصميمه على إثارة الاضطرابات فى وجه نصر بن سيار أن الكرمانى ونصراً قبل ولاية الأخير كانا متصافيين حيث أحسن الأول إلى الثانى فى ولاية أسد بن عبد الله القسرى فلما تولى نصر خراسان لم يحفظ للكرمانى صحبته

ومن ثم حنق الكرمانى على ابن سيار فلما أوقف الكرمانى عصمة بن عبد الله الأسدى على طويته فى أمر نصر قال له :-

إنها بدء فتنة فتجن عليه فاحشة ، وأظهر أنه مخالف واضرب عنقه وعنق "سباع بن النعمان الأزدى" و"الفرافصة بن ظهير البكرى"

---

[1] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٢٨٧.
ابن الأثير : الكامل جـ ص ٣٠٤.
النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٤٩٧ ، ٤٩٨.

فإنه لم يزل متغضباً على الله بتفضيله مضر على ربيعة [١] ومن الأسباب التى أثارت الفتنة بين الكرمانى وابن سيار أن الأول كاتب عامل جرجان يخبره بأمر منصور بن جمهور الذى آلت إليه ولاية العراق وما كان من موقفه من نصر بن سيار فأغضب ذلك نصراً على الكرمانية [٢]

وكان منصور بن جمهور قد تولى العراق وخراسان بعد عزل يزيد بن الوليد ليوسف بن عمر عنها ومنصور بن جمهور هذا جاء إلى العراق وما تبعها من الأعمال مثل خراسان وهو يريد إعلاء شأن اليمنية على حساب غيرها من القبائل فلما علم نصر بن سيار بعزل منصور بن جمهور له عن خراسان تصدى له وأبى تسليم البلد إليه حتى جاءته ولاية البلد من عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الذى استبدله الخليفة الأموى يزيد بن الوليد بمنصور بن جمهور [٣] وسواء أصحت هذه الأسباب أم لم تصح فإن نصراً أزمع على إلقاء القبض على الكرمانى حتى يجنب خراسان فتنة تأكل بنارها الأخضر واليابس لو ظل جديع بن على على حاله فى موقفه من أميره ابن سيار فلما تم لنصر ذلك ودخل عليه الكرمانى قال له : يا كرمانى ألم يأتنى كتاب يوسف بن عمر بقتلك فراجعت وقلت شيخ خراسان وفارسها فحقنت دمك؟ قال بلى . قال ألم أغرم عنك ما كان لزمك من

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٢٨٧.
ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٣٠٤ ، ٣٠٥.

(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٢٨٧.
ثريا حافظ : الخراسانيون ودورهم السياسى فى العصر العباسى الأول ص ٢٧.

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠.
حسين عطوان : الأمويون والخلافة : ص ٢٢١.
ثريا حافظ : الخراسانيون ودورهم فى العصر العباسى الأول ص ٢٥ ، ٢٦.

الغرم وقسمته فى أعطيات الناس ؟ قال : بلى قال : ألم أ رؤس ابنك "علياً" على كره من قومك ؟ قال بلى : قال فبدلت ذلك إجماعاً على الفتنة.

قال الكرمانى : لم يقل الأمير شيئا إلا وقد كان أكثر منه وأنا لذلك شاكر ، وقد كان منى أيام أسد ما قد علمت فليستأن ويتثبت فلست أحب الفتنة [1]

وعندما وقفت الأزد على اعتقال زعيمهم تمالئوا فيما بينهم على إخراجه سراً من سجنه ليقودوا به ثورةً على المضرية التى اعلى نصر كعبها على الأزد واليمنية [2] فلما نجحوا فى تحقيق مأربهم وأخرجوا الكرمانى من سجنه كادت تحدث معركة داخلية بين القبائل بسبب ما كان بين نصر والكرمانى فإن العصبية القبلية بلغت بهما مدى بعيداً فى العداوة إلى حد أن نصراً تخلى عن حلمه وحكمته فى سياسته فى مثل هذه الأوقات الحرجة، فخطب الناس بعد هروب الكرمانى من سجنه خطبةً أدت إلى اتساع الهوة بينه وبين الأزد أكثر من ذى قبل بل جعلت غيرهم ينضمون إليهم فقال عن الكرمانى : ولد بكرمان وكان كرمانيا ثم سقط إلى هراة فكان هرويا ، والساقط بين الفراشين لا أصل ثابت ولا فرع نابت ثم ذكر الأزد فقال : إن يستوثقوا فأذل قوم ، وإن يأبوا فهم كما قال الأخطل:-

---

[1] النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٤٩٨.

[2] اليعقوبى : تاريخه جـ ٢ ص ٣٣٣.

[3] : الكامل جـ ٥ ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧.

ضَفادِع في ظلماءِ ليلٍ تَجاوَبتْ فَدلَّ عليها صَوتُها حَيَّةَ البحر

ثم ندم على ما فرط منه ، فقال أذكروا الله ، فإن ذكر الله شفاء ذكر الله خير لا شر فيه يذهب الذنب وذكر الله براءة من النفاق.

ولقد أثمرت السفارات بين الرجلين فجنبت خراسان حرباً فعلية في ذلك الوقت الذى عرض فيه نصر أمر الكرمانى على كبار رجال خراسان فإنه رأى أن الأجدى له ولولايته نفى الكرمانى عن خراسان بيد أن هذا الرأى لم يلق قبولاً لدى صاحب شرطة نصر "سلم بن الأحوز الذى قال لأميره إن أخرجته نوهت باسمه وذكره وقال الناس : أخرجه لأنه هابه ، فقال نصر : إن الذى أتخوفه منه إذا خرج أيسر مما أتخوفه وهو مقيم ، والرجل إذا نفى عن بلده صغر أمره فأبوا عليه فكف عنه وأعطى من كان معه عشرة عشرة وأتى الكرمانى نصراً فدخل سرادقه فآمنه [1]

كان هذا الآمان على غرار سوابقه فقد نقضه الكرمانى حين غضب علي نصر بن سيار لما خطب في الخراسانيين ونال من منصور بن جمهور المعزول عن العراق وأطرى واليه الجديد "عبد الله بن عمر بن عبد العزيز" فاعتزل الكرمانى نصراً وسارت الرسل للإصلاح بين الرجلين من جديد فمما قاله "عقيل بن معقل الليثي" لنصر أيها الأمير أنشدك الله أن تشأم عشيرتك إن مروان بالشام تقاتله الخوارج والناس في فتنة والأزد سفهاء وهم جيرانك قال فما اصنع إن عملت أمراً يصلح الناس فدونك ، فقد عزم أنه لا يثق بي .

---

[1] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٢٩٠ ، ٢٩١.
النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٥٠٠ ، ٥٠١.

فأتى عقيل الكرمانى فقال أبا على قد سننت سنة تطلب بعدك من الأمراء إنى أرى أمراً أخاف أن تذهب فيه العقول ، قال الكرمانى إن نصراً يريد أن آتيه ولا آمنه ونريد أن يعتزل ونعتزل ونختار رجلا من بكر بن وائل ، نرضاه جميعا فيلى أمرنا جميعا حتى يأتى أمر من الخليفة وهو يأبى هذا فقال : يا أبا على ، إنى أخاف أن يهلك أهل هذا الثغر فأت أميرك وقل ما شئت تجب إليه ولا تطمع سفهاء قومك فيما دخلوا فيه، فقال الكرمانى إنى لا اتهمك فى نصيحة ولا عقل ولكنى لا أثق بنصر ، فليحمل من مال خراسان ما شاء ويشخص . قال : فهل لك فى أمر يجمع الأمر بينكما ؟ نتزوج إليه ويتزوج إليك قال لا آمنة علي حال قال ما بعد هذا خير ، وإنى خائف أن تهلك غداً بمضيعة ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال له عقيل : أعود إليك ؟ قال لا ، ولكن أبلغه عنى وقل له : لا آمن أن يحملك قوم على غير ما تريد، منا مالا بقيه بعده ، فإن شئت خرجت عنك لا من هيبة لك ، ولكن أكره أن أشأم أهل هذه البلدة وأسفك الدماء فيها [1] وكان الحارث بن سريج قد أوى هذا الوقت إلى الكرمانى ليكونا يداً واحدة على نصر ابن سيار الذى أيقن أن حسن السياسة والكياسة يفرضان عليه الاستمرار فى بذل المحاولات مع الكرمانى حتى يتألفه ويباعد بينه وبين التحالف مع الحارث بن سريج فأرسل نصر إلى الكرمانى ليأتيه فلما جاءه كلمه فى التقارب بينهما حتى يحقنا دماء المسلمين بخراسان وبينما هما كذلك شجر خلاف بين أتباعهما فحسب الكرمانى أن هذه مكيدة من "نصر بن سيار" أراد منها إلقاء القبض عليه فترك مجلس نصر فلما علم الحارث بن سريج ذلك اهتبلها فرصة فأرسل

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٢٩٢ ، ٢٩٣.

إلى نصر يقول له : (إنا لا نرضى بك إماما ، فأرسل إليـــه نصـــر : كيف يكون لك عقل وقد أفنيت عمرك فى أرض الشـــرك ، وغـــزوت المسلمين بالمشركين !أترانى أتضرع إليك أكثر مما تضرعـــت !)[١] أصبحت خراسان بعد الذى كان من أمر الكرمانى والحارث بن ســـريج ميدان حرب تقارعت فيه سيوف المسلمين فى صراع لم يستفد منــــه إلا دعاه العباسيين وغيرهم من الخارجين على الدولة الأمويـــة فلمـــا وقعت الحرب بين نصر من جهة والكرمانى والحارث بن سريج مـــن جهة أخرى كادت تنتهى بإحراز نصر انتصاراً حاسما فى هذه المعركة لولا أن بعض الموالين للكرمانى أشاعوا فى الناس أن ابن سيار قـــد قتل فانفضت المضرية عن نصر ومن معه فلم يجد مناصا من هروبـــه عن مرو فتركها ليدخلها الكرمانى الذى خطب الناس فآمنهم بعد مـــا هدم الدور ونهب الأموال ولاسيما من كان منهم خرج مع نصر مـــن أهل خراسان [٢] فأنكر الحارث عليه ذلك فهم الكرمانى به ثم تركه[٣].

لما رأى الحارث بن سريج أن الكرمانى أنشأ يميل عن المبـادئ التى دعا الحارث الناس إليها أراد أن يفعل به مثلما فعل قبلاً بنصـــر ابن سيار فأرسل الحارث إلى الكرمانى يدعوه إلـــى الكتـــاب والســـنة ونشر العدل وتطبيق الشورى فلم يقبل الكرمانى منه ذلك فدخل مــــع الحارث فى معركة انتهت بقتل ابن سريج ، وهكذا يصفو الجو بمـــرو للكرمانى [٤] ولقد قال نصر بن سيار حين علم بمقتل الحـــارث ابـــن

---

[١] الطبرى : تاريخ الرســـل والملـــوك جـــ ٧ ص ٣٣٤ ، ٣٣٥.
[٢] الطبرى تاريخ الرســـل والملـــوك جـــ ٧ ص ٣٤٠ ، ٣٤١.
[٣] الطبرى : تاريخ الرســـل والملـــوك جـــ ٧ ص ٣٣٥ ، ٣٣٦.
ابن الأثير : الكامل جـــ ٥ ص ٣٤٥.
[٤] خليفة بن خيـــاط : تاريخـــه ص ٣٨٣ .
الطـــبرى : تـــاريخ الرســـل والملـــوك جـــ ٧ ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢.

=

سريج أبياتا أظهر فيها المقتول بأنه جلب الذل والفرقة إلى خراسان وأشعل فيها نيران العصبية القبلية فلم تجن البلاد من اقامته على أرضها إلا البوار والخسران :-

يا مدخلَ الذل على قومه　　بُعداً وسُحقاً لك مِنْ هالِكِ

شُؤمُك أَرْدَى مضراً كلَّها　　وغضَّ من قومِك بالحارِكِ

ما كانتِ الأزْدُ وأشياعُها　　تَطْمعُ فى عمرو ولا مالك

ولا بنى سَعْد إذا أَلجَمُوا　　كل طِمِرٍّ لونه حالِك [(1)]

لم يكن من المعقول أو المقبول أن يترك "نصر بن سيار" "الكرمانىُ ينعم بإقامته فى مرو دون أن يجرد الحملة تلو الأخرى عليه حتى يستطيع نصر العودة إلى حاضرة مصره من جديد غير أن ابن سيار وهو يبذل هذه المحاولات لاسترداد قصبة خراسان من الكرمانى وجد أن عقبة كؤود تحول بينه وبين بلوغ مأربه ممثلة فى أبى مسلم الخراسانى [(2)] الذى أخذ دوره فى الحياة السياسية بين الخراسانيين يتعاظم يوما بعد آخر ليجنى فى نهاية الأمر ثمرة الصراع الداخلى بين نصر ومناوئيه بخراسان.

= ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ / شاكر التاريخ الإسلامى جـ ٤ ص ٣٠١.

(1) خليفة بن خياط : تاريخه ص ٣٨٤.

الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ ٧ ص ٣٤٢.

ابن الأثير : الكامل جـ ٥ ص ٣٤٦ ، ٣٤٧.

(2) النويرى : نهاية الأرب جـ ٢١ ص ٥٢٩.

ومن ثم فإنه يحسن بى الالماع إلى هذه الشخصية التى كان وجودها بخراسان إيذاناً بانهيار الدولة الأموية كى يستطيع القارئ تصور مدى الأهوال والعقبات التى ألمت بنصر وهو بخراسان يدافع عن حكم تهرأت أوصاله.

٦-بين نصر وأبى مسلم

"ظهر عبد الرحمن بن مسلم" وقيل "عثمان الخراسانى" القائم بالدعوة العباسية على مسرح الأحداث بخراسان حين تلقفه نقباء العباسيين المقيمين بالكوفة فراقهم رجاحة عقله فأعلموا به إبراهيم الإمام الذى قال لنقباء دعوته عن أبى مسلم حين طالبوه أن، يرسل من عنده رجلاً يتولى أمر الدعوة بخراسان إنى قد جربت هذا الأصبهانى وعرفت ظاهرة وباطنه فوجدته حجر الأرض فأدنى أبا مسلم إليه وكلفه بقيادة الدعوة فى هذه البلاد [1] النائية عن حاضره الخلافة الأموية.

كان أبو مسلم عند حسن ظن إمامه فيه فأحسن إختيار المكان الذى يدبر منه أمر الدعوة فنزل بقرية بالين وهى بعيدة عن أنظار نصر بن سيار فلما أخذ أبو مسلم يبث دعوته بخراسان راحت أخباره تترامى إلى الكرمانى والشيبانى ونصر فأما الأولان فقد أظهرا عدم مبالاة بأمر الرجل ولا أشياعه إذ هو يدعو إلى خلع "مروان بن محمد"

---

[1] الأمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبه جـ ٢ ص ١٣٧
ابن الوردى : تاريخه جـ ١ ص ١٧٩.
ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧.
النويرى : نهاية الأرب جـ ٢٢ ص ١٩

وهذا ما يوده الكرمانى ليصفى به حساباته مع الخليفة الذى حرمـــه وبنيه الولاية والشيبانى لأن من مذهبه التصدى للخلفـــاء الأمويين وجعل الخلافة شائعةً فى المسلمين دون توريثها بين أفراد فرع بعينـه وأما نصر بن سيار فإنه أدرك عظم الخطر الذى يمثله أبو مسلم فبادر من فوره إلى مخاطبة الشيبانى وكان من بين من نـاوأوه بخراسـان قائلاً له: إن شئت فكف عنى حتى أقاتله ، وإن شئت فجامعنى علــى حربه حتى أقتله أو أنفيه فهم شيبان أن يفعل لولا أن أبا مسلم حيـن علم بتحركات ابن سيار أزكى عيونه هنا وهناك بقصد السـعى إلـى إجهاض الخطة التى أعدها نصر لمواجهة أبى مسلم[١] وهى ما تـزال فى مهدها فكان أبو مسلم يبعث رسله إلى شيبان بكتب يعـده فيـها النصرة ويأمره أن يجعل طريقه عبر مضر كى تقف على ما فى كتـاب أبى مسلم إلى شيبان حتى يزيد الهوة بين اليمنية والمضريـة فـإن كتاب أبى مسلم فيه : رأيت أهل اليمن لا وفاء لهم ولاخير فيهم فـلا تثقن بهم ولا تطمئن إليهم فإنى أرجو أن يريك الله مـا تحـب ولئـن بقيت لا أدع لهم شعراً ولا ظفراً ويرسل رسولاً آخر فى طريـق ثـانٍ بكتاب فيه ذكر المضرية وإطراء اليمن بمثل ذلك حتى صـار هـوى الفريقين جميعاً معه[٢].

ومن ثَمَّ أبىَّ الشيبانى إلا مناهضة "ابن سـيار" بـالرغم ممـا عرضه عليه نصر من خيارات لو تدبرها لوجد أنـها تقيـه وحليفـه

---

(١)الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ٣٦٣،٣٦٤
ابن الأثير: الكامل جـ٥ صـ٣٦٧
الخضرى:الدولة العباسية صـ٣١
(٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ٣٦٩

الكرمانى من خطر هذا الخراسانى الذى جاء من مكة حاملاً المعـــاول لهدم كل صرح يقف فى سبيل إنجاز مهمته بغض النظر عن هويتـــه ، ولم يكتف أبو مسلم بذلك بل إتصل بالكرمانى الـــذى رأى القـــارىء مراحل صراعه مع نصر فوعده النصرة[١] فلما علم نصر بذلك بعـــث إلى الكرمانى يقول له: ادخل إلى مرو واكتب بيننا كتابـــاً[٢] بـــالصلح وهو يريد أن يفرق بينهما غير أن شيئا من ذلـــك لـــم يتـــم بســـبب الوشاة[٣] الذين أوغروا صدور كلا الفريقين على بعضـــهما فـــدارت معركة بين اتباعهما فلما رآها أبو مسلم أنهكت قواتهما كتب إليـــهما يقول : إن الإمام قد أوصانى بكما ولست أعدو رأيه فيكما وكتب إلـــى الكور باظهار الأمر فكان أول من لبس الســـواد (شـــعار العباســـيين) "أسيد بن عبد الله" بنسا ونادى: يا محمد يا منصور وسود معه مقـــاتل ابن حكيم" وابن غزوان"، وسود أهل أبيورد وأهل مرو الـــروذ وقـــرى مرو[٤] والذى شجع أبا مسلم على المضى قدما فى ذلك أن المعركـــة أسفرت عن قتل نصر للكرمانى وصلبه على ميدان مرو[٥]

استثمر أبو مسلم نتيجة هذه المعركة لصالحه فجعل من بنـــى جديع بن على المعروف بالكرمانى وسيلةً يفصم بها عرى التحـــالف الذى كان شيبان على وشك إتمامه مع نصر ليواجها سوياً أبا مســـلم

---

(١) ابن أعثم: الفتوح جـ٨ صـــ١٦٠

(٢) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـــ٧ صـــ٣٧٠

(٣) عبـد الشـافى عبـد اللطيـف: العـالم الإسـلامى فـى العصـر الأمـوى صـــ٥٢٥

(٤) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ٣٦٩

(٥) خليفة بن خياط: تاريخه صـ٣٨٨ اليعقوبى: تاريخه جـ٢ ص٣٤٠، الإمامه والسياسه المنسوب لابن قتيبة جـ٢ ص١٣٩ ،النويرى: نهاية الأرب جـ٢١ ص٥٢٩ ، ابن حبيب المحبر ص٤٨٤

فقال لعلى بن الكرمانى (إنك موتور قتل أبوك ونحن نعلم أنك لست على رأى شيبان وإنما تقاتل لثأرك ، فامنع شيبان من صلح نصر ، فدخل ابن الكرمانى على شيبان ، فكلمه فثناه عن رأيه فأرسل نصر إلى شيبان : إنك لمغرور ، وأيم الله ليتفاقمن هذا الأمر حتى تستصغرنى فى جنبة فبينما هم فى أمرهم إذ بعث أبو مسلم النضر بن نعيم الضبى إلى هراة وعليها عيسى بن عقيل الليثى، فطرده عنها ، فقدم عيسى على نصر منهزما وغلب النضر على هراة[1].

والجدير بالذكر أن نصر بن سيار الذى حمل على كاهله عبء مواجهة الكرمانى وبنيه والشيبانى ومن معه وأبى مسلم الخراسانى لم يكن عنده من القوى العسكرية التى يستطيع بها التصدى لهؤلاء فرادى أو مجتمعين فقد كاتب الخليفة مروان بن محمد كتاباً أطلعه فيه على أحوال خراسان وما ينتظرها من سوء المآل فقال له:-

أرى جَذَعاً[2] إن يثْنِ لم يَقْوَ رَيِّضٌ[3] عليه،فبادِرْ قَبْلَ أن يثْنى الجَذَعْ

وكان مروان مشغولا عنه بغيره من الخوارج بالجزيرة الفراتية وغيرها منهم الضحاك بن قيس الحرورى وغيره فلم يجبه[4] فلما استبطأ نصر بن سيار جواب خليفته على كتابه ورأى أن أبا

---

(١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ٣٦٤، ٣٦٥

(٢) أرى شيئا صغيرا إن يترك كبر ولم يقدر الإنسان عليه.

(٣) الريض من الدوب التى لم تقبل الرياضة ولم تمهر المشية ولم تذل لراكبها، والريض من الدواب والإبل ضد الذكور ابن منظور: لسان العرب مادة روض

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٣ ص١٤٩

مسلم الخراسانى يزداد قوة عند كل يوم تشرق شمسه عليه وهو بخراسان معاودة الكتابة إلى الخليفة لعله يظفر من هذه المحاولة الأخيرة بمدد عسكرى يتقوى به وهو يجابه أعداءه الذين حاصروه من كل مكان فضمّن نصر بن سيار كتابه إلى الخليفة قول أبى مريم[1]

أرى خَلَلَ الرماد وميضَ نارٍ	ويوشك أن يكون لها ضرامُ
فإن النار بالزندين تُورى	وإن الحرب أولُها كلام
لئن لم يُطفْها عقلاء قوم	يكون وقودها جُثَث وهام
أقول من التعجّب ليت شعرى	أيقاظٌ بنى أمية أم نيام
فإن كانوا لحينهُم نياماً	فقل قوموا فقد حان القيام[2]

ولقد جاء كتاب الخليفة إلى نصر مخيباً لآماله التى علقها على أمير المؤمنين إذ قال له فيه: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب

---

(1) عبد الله بن إسماعيل البجلى الكوفى وكان الرجل منقطعاً إلى نصر بن سيار وله مكتب بخراسان .

ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣ ص١٤٩

(2) ابن خلكان :وفيات الأعيان جـ٣ صـ١٤٩،١٥٠ ذكر الطبرى فى جـ٣ صـ٣٦٩ ثم الزركلى فى الأعلام جـ١ صـ٢٣ ما يفهم منه أن هذه الأبيات لنصر بن سيار فلم ينسباها إلى أبى مريم مثل ما فعل ابن خلكان.

فاحسم الثؤلول [1] قبلك فلما قرأها نصر قال لأصحابه أما صاحبكم فقد أعلمكم ألا نصر عنده[2]

لما استيقن نصر بن سيار من عدم نصرة مروان له ولىّ وجهه شطر عامل العراق لعله يجد عنده من المدد ما لم يجده عند أمير المؤمنين فكتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يقول له:-

أبلغ يزيد وخير القول أصدقه ... وقد تبينت ألا خير في الكذب

أن خُراسان أرْض قد رأيتُ بها ... بيضا لو أفْرَخ قد حُدِّثتَ بالعَجَب

فراخُ عامَيْن إلا أنها كبُرتْ ... لماّ يَطِرنَ وقد سُرْبلْنَ بالزَّغب

فإن يَطرنَ ولم يحتل لهن بها ... يُلهِبْنَ نيرانَ حَرْب أيَّما لهَب[3]

كان موقف يزيد بن عمر بن هبيرة من نصر بن سيار على غرار موقف مروان فإن والى العراق قال حين وصله كتاب ابن سيار لا غلبة إلا بكثرة وليس عندى رجل[4].

---

[1] واحدة الثاليل وهو بمعنى المحكم " يريد من نصر لحكام أمر البلد ودرء أبواب الخطر لصالح الدولة

ابن منظور لسان العرب مادة ثـأل

[2] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ٣٦٩

الإمامة والسياسة المنسوب لإبن قتيبة جـ٢ صـ١٢٨

[3] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ٣٦٩،٣٧٠

على أدهم: مقالة بمجلة الثقافة عدد ٥٨ صـ١١

[4] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ٣٧٠

مما تقدم يرى القارىء أن نصر بن سيار بلغ بـــه الضعــف مبلغه وهو يواجه أبا مسلم الخراسانى فقد تخلت عن نصر بن ســيار دولته التى يمثلها ويستمد منها سلطانه بخراسان فى الوقـــت الــذى استطاع فيه أبو مسلم نشر دعوته بالإقليم وجعل السواد الأعظم مـــن رجالات القبائل العربية المقيمة بخراسان يتخلون عـــن نصــرة ابـــن سيار بغض النظر عن الأسباب التى كانت وراء موقف كل واحد منـهم من عامل الأمويين على خراسان صحيح أن مروان بن محمــد وهــو الرجل القوى جاءت خلافته فى وقت كانت فيه المعارضـــة لســلطان الأمويين قد إنتشرت هنا وهناك كما رأى القارىء إلا أنه ليـــس فـــى إستطاعتى أن أدفع عن الخليفة الأموى مسئولية ما أصاب نصر ابـــن سيار من ضعف وهو يواجه أبا مسلم بعد الذى عرفه الخليفة الأمــوى من أمر زعيم الدعوة العباسية بخراسان وانه يدعـــو إلـــى إبراهيـم الإمام وهذا كما يرى القارىء يعنى أن بنى هاشم قد حققوا نجاحا فـــى تنظيم دعوتهم التى أرادوا بها إدالة سلطان الأمويين.

أما عامل الخليفة فى العراق فإن موقفه من ابن ســيار كـــان غاية فى الخذلان فالرجل يستطيع نصرة ابن سيار لو أراد لكنه اعتقـد خطأً أن بقاءه فى عمله ومحافظته على قوة رجاله فى هـــذا الوقـت الذى بلغت فيه القلاقل مداها فى أقاليم الدولة الأمويـــة ســيكفل لــه المحافظة على سلطانه ، ومن ثمَّ لم يستجب ابن هبيرة فى هذا الوقت إلى إستغاثة ابن سيار بما الجأت هذه الظروف التى تعيشها خراســـان "نصر ابن سيار" إلى مكاتبه أبى مسلم الخراسانى ليحكم بينه وبين علـــى بن جديع الكرمانى الذى ما فتىء يحشد الحشود حتى يزلــزل الأرض من تحت قدمى نصر بن سيار."

٨١

وفعل ابن الكرمانى نظير ذلك مع أبى مسلم فأشخص إليه الرسل حتى ينقلوا له رغبته فى معاونة أبى مسلم له وهو يواجه "نصر بن سيار".

إهتبل أبو مسلم الخراسانى هذه الفرصة فكتب إلى ابن سيار وعلى الكرمانى بالحضور إليه حتى يعرض أمرهما على شيعته ليختاروا أى الرجلين فينصروه على صاحبه وأوعز أبو مسلم إلى شيعته أن يميلوا عن ابن سيار ويفضلوا عليه عليا ابن الكرمانى[1] فلما اجتمعا إلى أبى مسلم فى ملأ من شيعته فعلوا ما أراده منهم أبو مسلم فخرج "نصر بن سيار" وهو مزمع الاستمرار فى مواجهة اعدائه بما لديه من امكانيات فى خراسان فتصدى إلى علي ابن الكرمانى الذى أراد منازلة ابن سيار حتى ينال ثأر أبيه منه فجابه نصراً بجموع كثيرة ظاهرها أبو مسلم بالعدد والعتاد فخاضوا معركةً ضد ابن سيار أسفرت عن غروب شمس ولايته عن خراسان فقد خرج من دار الإمارة ودخل أبو مسلم الخراسانى مرو لتسع خلون من جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة وهو يتلو قول الله تعالى:- "ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه[2] .فأتاه على بن جديع الكرمانى فسلم عليه بالأمره

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ٣٧٧،٣٧٨.
ابن الأثير: الكامل جـ٥ صـ٣٧٨
ابن الجوزى: المنتظم جـ٤ صـ٧٣٩
النويرى: نهاية الأرب جـ٢٢ صـ٢١،٢٢
الخضرى: محاضرات فى تاريخ الدولة العباسة صـ٣١
(٢) سورة القصص آية ١٥

وأعلمه أنه معه على مساعدته وقال مرني بأمرك فقال: أقم على ما أنت عليه حتى آمرك بأمري[1].

أنشأ أبو مسلم الخراساني بعد دخوله مرو يعمل على التخلص من وجهاء خراسان الذين قد يشكلون خطراً عليه وعلى دعوته لما لهم من مكانة في قبائلهم أو بحكم سلطانهم الذي ما يزالون يمثلونه من الناحية الشرعية دون العملية مثل ابن سيار فإن هروبه من مرو أن جعل أبو مسلم صاحب السلطان الفعلي إلا أن ابن سيار ما يزال من الناحية الشرعية والياً للخلافة الأموية على هذا الإقليم فرأى أبو مسلم ضرورة التخلص من ابني الكرماني وملاحقة نصر بن سيار حتى يتأكد من نجاح الدعوة العباسية في خراسان ومنها إلى سائر أرجاء الدولة الإسلامية فدبر أبو مسلم الخراساني مؤامرةً لعثمان وعلى ابني الكرماني ففرق بينهما بأن أشخص عثمان ابن الكرماني عاملا له على بلخ واستبقى عليا إلى جواره فلما قدم عثمان بلخا إلتقت به المضرية قوم نصر بن سيار في معركة انجلت عن هزيمته فلما قدم أبو مسلم نيسابور قرر التخلص من ابني الكرماني فأمر أبا داود خالد بن إبراهيم وهو من نقباء الدعوة العباسية الاثنى عشر[2] بمقتل عثمان بن الكرماني فاغتالة أبو داود وهو في الطريق إلى الختل التي كان عهد بها أبو مسلم إليه في حين قتل أبو مسلم في ذلك

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ٣٧١،٣٧٨،٣٧٩.
ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٣ صـ١٥٠
ابن خلدون: تاريخه جـ٣ صـ٢٠٩
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١ صـ ٣٩٣.
(٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ٤ صـ٧٤٠.

اليوم علياً ابن الكرماني(١)

وهكذا ترى أبا مسلم ينجح في التخلص من عقبةٍ كـؤود كانت لا مراء ستقف في سبيل تحقيق الإستقرار له في خراسان وهـو لا يبالي بما قدمه له الكرماني ثم بنوه من تسهيلات كانت السبب فـي ترسيخ أقدامه على أرض خراسان وعلو مكانته بين أهليها وهو بذلك يجعل سلوك كل وسيلة توصله لغايتـه منـهاجاً لـه فـي علاقاتـه بالمحيطين به .

ولقد رأى القارىء الكريم غير مرة نصراً يحذر الكرماني ثم الشيباني وغيرهما من أبي مسلم الخراساني الذي كـان يقـف لابـن سيار بالمرصاد كي لا ينجح في إبرام تحالف مع أحدهمـا أو كليـهما فأضعف أبو مسلم الوالي حين دخل في صراع مع الرجليـن ليجنـي وحده ثمرة هذه الصراعات بعد ما قتل نصر الكرماني واستمالة أبـي مسلم ولديه اللذين حسبا أن هروب نصر من مرو ودخول أبي مسـلم إليها سيجعلهما من ذوي السلطان ، ومن ثمّ يكونان بمثابـة إمتـداد لأبيهما في خراسان فإذا بسيوف أبي مسلم الخراساني تغيبهما عـن الحياة التي حتى ينفرد بالسلطة التي لا يحب صاحبها مزاحمـة أحـد مهما كانت الظروف والأسباب.

فإذا ما ولى القارىء وجهه شطر الشيباني الذي كـان نـاوأ نصراً بالأمس يجده قد ولى خراسان دبره بعـد مـا رأى عليـا ابـن الكرماني يرتمي في أحضان أبي مسلم الخراساني ناقضـاً التحـالف المبرم بينهما ضد نصر بن سيار حتى يزيلاه عن السـلطان يجعـلا الأمر شورى في أهلها.

---

(١) النويري : نهاية الأرب جـ٢٢ صـ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦.

أرسل أبو مسلم إلى الشيباني يدعوه إلى طاعته فأبى ، ومن ثمَّ أرسل أبو مسلم جيشاً لمناهضته فتمكنوا من قتله[1]

وأما نصر بن سيار ثالث الرجال فى خراسان فإن أبا مسلم حين صفت له مرو أرسل إلى نصر لاهز بن قريظ بكتاب يطلب فيه أبو مسلم من نصر مبايعته على كتاب الله وسنة رسوله والدعوة للرضا من آل محمد .

فلما وجد نصر بن سيار أنه لا طاقة له بأبى مسلم ورجاله أظهر لرسوله إستعداده للقدوم عليه ومبايعته بعد أن يعد نفسه للقائه واستمهله نصر ليلة فقبل ثم جاء لاهز بن قريظ نصراً بأمر من أبى مسلم يطلب منه الوفاء بما كان وعد به من قدومه على الخراسانى ومبايعته فاستمهل نصر بن سيار رسول أبى مسلم ريثما يتوضأ للصلاة فبينما هو كذلك إذا بابن قريظ يسمع نصراً قول الله تعالى: (إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين)[2] فدخل نصر منزله وأعلم ابن قريظ ومن معه أنه ينتظر عود رسوله من عند أبى مسلم ، وأقام حتى جنه الليل فخرج من خلف حجرته ومعه تميم ابنه والحكم بن نميلة النميرى وإمرأته المرزبانة[3] ،

---

(١)ابن الجوزى: المنتظم جـ٤ صـ٧٤٠

(٢) سورة القصص آية ٢٠

(٣) كلمة فارسية مؤلفة من لفظين هما مرز بمعنى حد وحدود دولة وبان بمعنى رئيس وحاكم ، وإذا ألحقت بنسم تعنى حارس أو حامى وأصلها البهلوى مرزبان فيكون إطلاقها فيما يعتد والحالة هذه على زوجة الوالى أو القائد يشبه إلى حد كبير ما نراه فى عصرنا من إطلاق لقب السيدة الأولى على أزوج رؤساء الدول.ابن منظور:لسان العرب مادة مرزبان /حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف جـ٣ ص ١٠٧٧

وانطلقوا هرباً ، فلما استبطأه لاهز وأصحابه دخلوا منزله فوجدوه قد هرب فلما بلغ أبا مسلم هربه سار إلى عسكر نصر وأخذ ثقات أصحابه وصناديدهم فكتفهم ، وفيهم "سلم بن أحوز" صاحب شرطة نصر و"البخترى" كاتبه وابنان له وآخرين بلغوا أربعة وعشرين رجلاً من صفوة أتباع ابن سيار فأوسعهم وثاقاً وسار أبو مسلم فى رجال معه يريدون اللحاق بنصر فلم يظفروا إلا بامرأته المزربانة[1] أم بلج بنت قديد بن منيع المنقرى التى خلف أبو مسلم نصراً عليها فظلت معه حتى توفى عنها فتزوجت بعده عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدى الذى تولى خراسان بعد ذلك[2] ونجح نصر بن سيار فى الوصول إلى سرخس[3] ومعه ثلاثة آلاف رجل من أشياعه فلما وقف أبو مسلم على السبب الذى جعل نصر بن سيار يلوذ بالفرار أدنى لاهز بن قريظ إليه فقال له تدغل فى الدين وقتله[4].

ومضى أبو مسلم فى ملاحقته لنصر فسير إليه "قحطبة بن شبيب" فالتقى بجيش ابن سيار وعليه ولده تميم بن نصر فى معركة إنتهت بهزيمة قوات ابن سيار وقتل ولده ومعه نحو من سبعة عشر

---

(١) خليفة بن خياط: تاريخه صـ٣٩٠.
ابن الجوزى: المنتظم جـ٤ صـ٧٣٩، ٧٤٠، ابن الوردى: تاريخه جـ١ صـ١٨٠
النويرى: نهاية الأرب جـ٢٢ صـ٢٤.

(٢) ابن حبيب المجبر صـ٤٥٠

(٣) بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الخاء المعجمة وآخره سين مهملة مدينة قديمة من نواحى خراسان كبيرة واسعة وهى بين نيسابور ومرو يفصلها عن كليهما ست مراحل.
ياقوت: معجم البلدان جـ٥ صـ٣٧

(٤) النويرى نهاية الأرب جـ٢٢ صـ٢٤

النا وغنم ابن قحطبة وجيشه أموالاً عظيمة[١]. فلما بلغ نصر بن سيار ما حل بولده وجيشه هرب إلى قومس وتفرق عنه أصحابه فسار إلى نباته بن حنظلة [٢]بجرجان[٣]

أحسن نباته بن حنظلة استقبال نصر وراح كلا الرجلين يعملان على حشد الطاقات للدفاع عن البقية الباقيه من أملاك الدولة الأموية بخراسان فحفر خندقين عند الجوزجان وجورجان.

فلما رأى الخراسانيون المنضمون إلى ابن قحطبة العدد والعتاد اللذين حشدهما نصر بن سيار و ابن حنظلة دب الرعب في افئدتهم فأدرك القائد العباسى أن الجند إن قاتلوا على غير معنويات مرتفعة لحقت بهم الهزيمة فأنشأ ابن قحطبة يعبئ جنده معنوياً فقام فيهم خطيباً وقال :-

(إن الإمام وعدكم النصر عليهم وقد عهد إلى أنكم تلقونهم فينصركم الله عليهم)[٤]

---

[١] خليفة بن خياط: تاريخه صـ٣٩٠،٣٩١
ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٠ صـ٣٥

[٢] هو من بنى بكر بن كلاب وكان فارس أهل الشام وكان على المنجنيق يوم الكعبة وولى حرجان والرى لمروان فقتله قحطبة بها وقتل معه ابنه حيه بن نباته وكان له ابن يقال له محمد قتله يزيد بن عمر بن هبيرة صبراً فى ذى الحجة سنه ثلاثين ومائة ابن قتيبة: المعارف ص٣٧٠ ، ٤١٨

[٣] ابن الجوزى : المنتظم جـ٤ ص٧٤٠،٧٤١
النويرى : نهاية الأرب جـ٢٢ ص٢٧

[٤] النويرى : نهاية الأرب جـ٢٢ ص٢٨

فلما التقت الفئتان العباسية بقيادة ابن قحطبة والأموية بقيادة نباته وابنى سيار مشى النصر فى ركاب الفئة الأولى فقتل العباسيون عشرة آلاف من الشاميين ودخلوا جرجان التى لم يستطيعوا السيطرة عليها إلا بعد ترويع أهلها بقتلهم ثلاثين ألفا من ساكنيها[١]

وبهذه النتيجة إزداد موقف نصر سوءاً على سوء فسار إلى حوار[٢] فلم يجد أمامه إلا الكتابة إلى خليفته مروان بن محمد ثم إلى أمير العراق "يزيد بن عمر بن هبيرة" الذى حبس رسول نصر بن سيار إلى مروان وقد كان يحمل الأموال والأمتعة إلى ابن هبيرة التى حازها نصر بن سيار من جيوش الدعوة العباسية حين خاض معها آخر معاركه على مقربة من الرى على الرغم من قلة رجاله فلما وقف نصر بن سيار على ما فعله ابن هبيرة مع رسوله قال : أبى يتلعب ابن هبيره أيشغب على بضغابيس قيس أما والله لأدعنه فليعرفن أنه ليس بشئ ولا ابنه الذى تربص له الأشياء[٣].

فلما علم مروان بحرج موقف "نصر بن سيار" أمر يزيد بن هبيرة بإرسال المدد إليه فأشخص والى العراق جيشا من ثلاثة آلاف رجل عليهم ابن عطيف غير أنه لم يغن عن نصر بن سيار فتيلا فالقائد أخذ يتلكأ فى الوصول إليه لنجدته فمكث طويلا فى الرى[٤]

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم جـ٤ صـ٧٤١
النويرى نهاية الأرب جـ٢٢ صـ٢٧ ، ٢٨
(٢) بضم أوله وآخره راء مدينة كبيرة من أعمال الرى يفصلها عنها نحو من عشرين فرسخا
ياقوت: معجم البلدان جـ٣ صـ٢٥١ ، ٢٥٢
(٣) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ٤٠٣
(٤) خليفة بن خياط: تاريخه صـ٣٩٦
ابن الجوزى: المنتظم جـ٤ صـ٧٤٢ =

ولعل السبب الذى جعل ابن هبيرة وقائده يقفان هـذا الموقـف مـن نصربن سيار راجع إلى أن ابن هبيرة لم يرد لقائده وجيشه الدخـول فى مواجهة حربية مع جيوش الدعوة العباسية تلافيا لهزيمـة قـد تلحقهم فتزيد من حرج موقفهم فى بلاد العراق

وعلى كل حال فإنه لم يقدر لنصر بن سـيار خـوض غمـار معركة حربية ضد جيوش أبى مسلم الخراسانى بعد ما جـاءه مـدد والى العراق حيث وافاه أجله المحتوم وهو بالرى إثر مرض ألم بـه فمات بساوة لإثنتى عشرة ليلة مضت من شوال سنة إحدى وثلاثيـن ومائة للهجرة عن عمر بلغ خمسا وثمانين سنة[1].

حالة عمال نصر وأتباعه بعد وفاته

إهتبل قحطبة وفاة نصر بن سيار فأوغل فى ملاحقة أتباعـه فضرب حصارا على نهاوند[2] أربعة أشهر نال فيـه سـاكنوها مـن الضيق ما نالهم إلى حد أنهم أكلوا أوراق الأشجار الأمر الـذى ألجـأ مالك بن أدهم إلى طلب مصالحة قحطبة الذى ما إن دخلهـا حتـى أعمل السيف فى أتباع نصر بن سيار على زعم أنهم غير داخلين فـى

-النويرى: نهاية الأرب جـ٢٢ صـ٢٩
عبد القادر البغدادى: خزانة الأدب جـ٢ صـ٢٢٣
[1] خليفة بن خياط: تاريخه صـ٣٩٦
الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٧ صـ٤٠٣ ، ٤٠٤
ابن كثير: البداية والنهايـة جـ١٠ صـ٣٧ ابـن خلكـان وفيـات الأعيـان جـ٣ ص ١٥٠
عبد القادر البغدادى: خزانة الأدب جـ٢ صـ٢٢٣
[2] بفتح النون الأولى وتكسر والـواو مفتوحـة ونـون سـاكنة ودال مهملـة ، وهى مدينة عظيمة فى قبلـة همـذان بينهما ثلاثـة أيـام - يـاقوت: معجـم البلدان جـ٨ صـ٤٠٩

الصلح الذى أبرمه مع مالك وأوقف على مداخل المصر من تلقف كل خراسانى نابه كان شايع نصراً فضرب أعناقهم ليس هذا فحسب بل إنه قطف رءوس بنى نصر بن سيار الذين كانوا فى نهاوند زمن الحصار[1].

ولما قامت الدولة العباسية وحان الوقت الذى جلس فيه أبو جعفر المنصور على أريكة خلافتها لم ينس ولى عهده عيسى ابن موسى ما كان لنصر بن سيار من مواقف كافح فيها ضد دعاة هذه الدولة فأنشأ يتلمس أخبار عمال نصر وبنيه الذين تواروا عن الأنظار بعد وفاته حتى ظفر عيسى بن موسى بواحد من ولد "نصر بن سيار" فقتله بالكوفة فلما بلغ ذلك الأمر "أبا جعفر المنصور" أنكره وأعظمه فكتب إليه:

أما بعد فإنه لولا نظر أمير المؤمنين وإستبقاؤه لم يؤخرك عقوبة قتل "ابن نصر بن سيار" واستبدادك به بما يقطع أطماع العمال فى مثله،فأمسك عمن ولاك أمير المؤمنين أمره من عربى وأعجمى ، وأحمر وأسود ، ولا تستبدن على أمير المؤمنين بإمضاء عقوبة فى أحد قبله تباعة فإنه لا يرى أن يأخذ الله أحداً بظنة قد وضعها الله عنه بالتوبة ، ولا بحدث كان منه فى حرب أعقبة الله منها سلماً ستر به عن ذى غلة وحجز به عن محنة ما فى الصدور وليس ييأس أمير

---

(١) خليفة بن خياط: تاريخه صـ٣٩٧

المؤمنين لأحد ولا لنفسه من الله من إقبال مدبر كما أنه لا يأمن إدبار مقبل إن شاء الله والسلام[1].

فأنت ترى أبا جعفر المنصور يعطى ولى عهده درسا فى السياسة التى ينبغى للإمام أن يسوس بها أمته فلا يظل ملاحقا لعقب من غلبه ما دام لم يبدر منهم شئ من عداوة وبغضاء للنظام العباسى الجديد وذلك هو العدل الذى يحفظ للجبهة الداخلية أمنها ويجعل الخليفة يصرف جل همه إلى النهوض بالأعباء الأخرى التى ألقاها المنصب على كاهله.

ولقد جنى من تواطأ من عمال نصر بن سيار مع العباسيين من بنى هاشم ودعاتهم ثمار تواطئهم بعد غروب شمس نصر وشروق شمس العباسيين الذين غرسوا فى أفئدة المسلمين أنهم ما خرجوا على الأمويين إلا لنيل وتر العلويين ، ومن ثمّ فإن أبا مسلم الخراسانى لما إستقامت الأمور لخليفته السفاح أنشأ يلاحق من حاربوا يحيى بن زيد بخراسان حتى يقتلهم به[2] إن وجدهم أو يستصفى أموالهم إذا ما نجوا من بين يديه فلاذ من بقى منهم بخراسان إلى بلاد تحميه أو بأماكن تواريه عن أعين أبى مسلم بخلاف داود بن طهمان الذى كان واخوته كتابا [3] لنصر بن سيار ، لأنه كان حين ظهر يحيى بن زيد يطلّع بدور الجاسوس على نصر

(١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك جـ٨ صـ ٦٣،٦٢

(٢) المسعودى: مروج الذهب جـ٣ صـ٢٢٢

ابن حبيب: المحبر صـ٤٨٤

(٣) الجهشيارى: الوزراء والكتاب ص ١٥٥.

ابن سيار" فكان ينقل إلى يحيى وأصحابه ما يسمع من نصر ، فـأتى داود بن طهمان ابا مسلم مطمئنا لما كان يعلم مما جرى بينه وبينـه ،فآمنه أبو مسلم ولم يعرض له فى نفسه ، وأخذ أمواله التى استفاد أيام نصر ،وترك منازله وضيّعه التى كانت له ميراثا بمرو [1]

وهكذا رأى القارئ "نصربن سيار" ظهر فى زمن سادته الفتن والاضطرابات فكان مثله كمثل من يعوم فى وجه التيار فيصادف عقبات لا قبل له بها ، وفى يقينى أن الأمر لو اطرد على نهجه أيام عبد الملك بن مروان والوليد وعمر بن عبد العزيز ، لكان لامثال نصر جهد أكبر وثمرا أنضج والشاعر يقول :

أتى الزمان بنوه فى شبيبته فسرهم وأتيناه على الهرم[2]

نعم لم يأت نصر فى زمن الشبيبة بل جـاء فـى زمـن الهرم حين قامت الفتن بين الخوارج والاموية وبين القيسية واليمنية وبين العلوية والمروانية ناهيك عن وجود تلك الفتن والخلافات بيـن أفراد الأسرة الأموية الحاكمة وكلها فتن تزحـزح الجبـال الـرواس وتهدم ما اجتمع من كلمة الأمة الإسلامية.

فى هذا الجو الكريه كان ظهور "نصر بن سيار"وكان لابـد أن يجد العوائق المانعة من النشاط ، فبدل أن يمتد به الأمل إلـى أرض جديدة يضمها إلى الإسـلام أصبح كرجـال أهـل جيلـه منتميا إلى الأموية يدافع عنهـا وله خصـوم كبـار

---

(٢)الطبرى : تاريخ الرسـل والملـوك جـ ٨ ،ص١٥٤ ، ص١٥٥

(٢) هذا البيت للمتنبى من قصيدة مظلعها:-

ختاما نحن نسارى النجمة فى الظلم وما ثراه علي خُف ولا قدمِ

جـ٢ ص ٣٨٦

أمثال أسد بن عبد الله والكرمانى والحارث بن سـريج وأبـى مسـلم فلقى من هؤلاء شراً مستطيراً مما عجل بنهاية ولايته فى خراسان.

ويمكن للمرء إلتماس الأسباب التى جعلت الإخفاق يمشى فـى ركاب نصر بن سيار وهو يحاول السيطرة على الفتن الداخليـة فـى مصره وهى كما أرى تتلخص فيما يلى:-

(١)التنافس المحموم الذى كان بينه وبين تربه جديـع ابن على الكرمانى فإن هذا الأمر جعل نصراً ينفق كثيراً من وقته مـن أجل السيطرة عليه ، ولا مراء فى أن ذلك قد كان على حساب أمـور أخرى كان بالإمكان لنصر بن سيار أن ينهض بها حتى يجعل إقليمـه يحيا حياةً مزدهرةً تجعله بمنأى عن الصراعات الداخلية التى لم يجـن منها الخراسانيون إلا البوار.

(٢)إن نصر بن سيار لما استوى على كرسـى الولايـة لـم يمكث طويلاً وهو يدبر أمر إقليمه حتى توفى هشام بن عبـد الملـك فجاء من بعده خلف كانوا على النقيض منه فشغلهم التنافس الأسـرى عن العناية بأمور الكثير من أقاليم الدولة الإسلامية ومنها خراسـان. ليس هذا فحسب بل إن بعضهم عكـف علـى الملاهـى والشـهوات ونسبت إليه أقوال وأفعال تجعل الناس ينفضون عن الخليفة الأمـوى إذ ذاك.

ومن هؤلاء الوليد بن يزيد ، ويزيد بن الوليد ، فزالت هيبـة السلطان فى أعين الثائرين الذين لم يجدوا مقاومةً تذكر وهم ينشرون مبادئهم فى أرجاء خراسان.

(٣)إن تعصب بعض ولاة الأمويين فى خراسان للعرب بسبب أمور تتعلق بأشخاصهم والقبائل التى ينتمون إليها كان هو الآخر بمثابة عقبة كؤود حالت بين نصر بن سيار وبين تآلف العجم الذين قطنوا خراسان وأولئك الذين خضعوا لها إداريا فكلما قام نصر بعمل يدنى منه هؤلاء صدر عن والى العراق صاحب الأمر على خراسان ما ينفر هؤلاء من حكم الأمويين وأميرهم نصر بن سيار مثلما رأيته من يوسف بن عمر حاكم العراق من الكتابة إلى نصر بن سيار فى تنحية العجم عن وظائفهم فى الإدارات المالية وقصرها على العرب فذلك بلا ريب أوغر صدور هؤلاء على عامل الأمويين وعجّل بانضمامهم إلى كل ثائر منّى نفسه باهتبال الضعف الذى تمر به الدولة للقيام بثورة لعله يحقق بها مكسباً سياسياً يعود عليه وعلى قبيلته بالنفع .

٤)تآمر يزيد بن عمر بن هبيرة على نصر بن سيار كان هو الآخر من الأسباب الجوهرية التى مكنت أعداء الدولة الأموية فى هذا الإقليم فلقد رأى القارىء الكريم مُطل الوالى فى إرسال المدد إلى نصر بن سيار حتى يستطيع به التصدى لأبى مسلم الخراسانى وأبناء الكرمانى فى وقت تمكن فيه ابن سيار من إحراز الإنتصارات على الجند الخراسانية الذين إلتقوه ورجاله على مقربة من الرى فلم يهتم بالغنائم التى أرسلها ابن سيار إليه فأظهر وقائده أنهما يريدان إستنقاذ نصر ورجاله فى حين أن واقع أمرهما كان على النقيض من ذلك فمات نصر وهو ينتظر المدد المرتجى دون أن يأتيه. تاركا للتاريخ الحكم له أو عليه خلال مدة إقامته بخراسان سواء تلك التى كان فيها عاملاً لولاتها أو حاكماً لها فالتاريخ قاض يصدر الحكم الفصل فيما

كان من جليل الأحداث والأعمـــال دون مجاملـــة لحـــاكم أو إنحيـــاز لمحكوم.

"وسبحان من له الدوام والملك والملكوت الذى يغير ولا يتغير"

بسم الله الرحمن الرحيم

خاتمة الكتاب

أحمدك اللهم حمد الشاكرين وأصلى وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين .

وبعد

فها نحن أولاء نرى بعد مطالعتنا لهذا الكتاب أن اقليم خراسان ليس كغيرة من مناطق العالم الاسلامى ، لا لجغرافيته فحسب بل لعظم وضخامة الأحداث التى وقعت على أرضه تلك التى صنعها أعلام كبار سجل لهم التاريخ أمجادهم بأحرفٍ من نورٍ مثل "عبد الله بن عامر وسعيد بن العاص وابن خازم وقتيبه وغيرهم كثير رأيناهم ونحن نطالع أعمال ولاة هذا الصقع العظيم .

ولقد ظهر لنا جلياً من خلال تلك الدراسة أن معظم الخلفاء الأمويين لم يكونوا على غرار أسلافهم الراشدين فى التدقيق عند اختيارهم عمال الأعمال فالقرابة وبذل الهدايا كانتا من اهم العوامل الموصلة لعدد هائل من الولاة إلى كرسىّ الامارة .

وأمر آخر لابد من إبرازه ، أن أيلولة خراسان إلى والى العراق فى معظم سِنِىّ الدولةِ الأمويةِ جعلت من يتولى العراق ذا نفوذ وثراء يحسده عليه الآخرون ممن خالطوا الخليفة أو كانوا على قرب منه جعلهم من أصحاب المجالس التى كان الخليفة الأموى يدأب على عقدها فى قصره بين الفينة والفينة إما للسمر وإما للمشاورة وهذا

الأمر كان بمثابة فرصةً لمن أراد كيداً بوالـــى العـــراق مثلـــه مثـــل وفـــود خراسان التى كانت تـــأتى دمشـــق للتهنئـــة بالمناســـبات او للزيـــارة فـــأثر ذلك على استقرار الحكم بخراســـــان .

وثالث النقـــاط التـــى اســـتوقفتنا خـــلال تلـــك الدراســـة أن العصبيـــة القبلية ـ ـت عاملاً من العوامل التى اعـــاقت نهضـــة خراســـان ومـــن ثـــم عدم مُكث الولاة مدةً أطول من التـــى حكموهـــا بـــل إن شـــئت فقـــل إنـــها السبب الذى عكر صفو حياة من حكم خراســـان وقـــد اشـــتدت أوار نـــيران هذا الصراع فى فترات ضعف الدولة الأموية مثـــل تلـــك التـــى حكـــم فيـــها ابن الزبير العديد من أمصـــار الدولـــة ومنـــها خراســـان، والحقبـــة التـــى تولى فيها خلفاء ضعاف من المروانييـــن المتـــأخرين، ومـــا صـــراع ابـــن خازم وسليمان بن مرثد وأوس بن ثعلبه بن زفر مـــن أجـــل التفـــرد بحكـــم خراسان دون الآخرين إلا خير برهان على صـــدق مـــا قررنـــاه .

ومن الحقائق التى تـــرى أن الدراســـة ابرزتـــها أن الـــترك ومـــن دار فى فلكهم يتحملون مسئولية سفك الدمـــاء الغزيـــرة علـــى أرض خراســـان وإزهاق ألوف الأرواح من الفريقين بالنظر إلى أنـــهم دأبـــوا علـــى نقـــض المعاهدات التى أبرموها مع الولاه المسلمين المتعـــاقبين علـــى حكـــم هـــذا الأقليم مثلما رأيناه من موقف ملكه بخـــارى مـــع اكـــثر مـــن والٍ حكمـــوا خراســـان.

وقد سجلت الدراسة ذكاء دعاة العباســـيين حيـــن اختـــاروا خراســـان نقطة انطلاقة لزلزلة الارض من تحـــت اقـــدام الخلافـــة الأمويـــة ذلـــك أن

صراع العجم مع العرب والعصبية القبلية بين الموجـودة فـي ذلـك الحيـنَ هيأ الجو لدعـاة العباسـيين فاسـتعانوا ببعـض اطـراف الصـراع علـى بعضهم الاخر فإذا مـا احـرزوا انتصـاراً علـى طـرف بمسـاعدة آخـرا تقلبوا على من عاونوهم ليمكنوا انفسـهم فـى البلـد رويـداً رويـداً ولأن السواد الأعظم من قاطنى خراسان كانوا مـن غـير العـرب فقـد أعـانوا من تعصب الدولة الأموية للعنصر العربى علـى حسـابهم، فـاهتبل دعـاة العباسيين ذلك حين نادوا فـى سـكان خراسـان العُجـم بمبـدأ المسـاواة بينهم وبين العرب فـى الحقـوق والواجبـات والمنـاصب طبقـاً لتعـاليم الإسلام ، ففعلت هـذه الدولـة فعـل السـحر فـى العاصمـة مـن سـكان خراسان ، فكانوا بين معم على الدولة أمـر الدعـاة واتباعـهم ، او معيـن على إخفاء الخارجين او حـامل سـيف لشـد أزر الخـارجين علـى حكـم الدولة الأموية بخراسان ، من ثُـم كـان الانقـلاب علـى الحكـم الامـوى بهذا البلد انقلاباً عظيماً فاق كـل الحركـات الثوريـة التـى قـامت علـى الدولة الأموية فى أكثر من مَصِرٍ بالدولـة الاسـلامية .

وإن ننسى فلا ننسى ونحن نـبرز للقـارئ أهـم النتـائج والحقـائق التى توصلت اليها الدراسـة ، الاشـارة إلـى أن نصـر بـن سـيار فـى العصر الاموى بذل قصارى جهده حتـى يحفـظ لدولتـه وجودهـا ويـدرأ عنها خطر دعاة للأخطار العديدة التـى حـاقت بخلافتـه إلا أن تلكـؤ ابـن هبيرة ، و إنشغال مروان بـن محمـد بـالتصدي للأخطـار العديـدة التـي حاقت بخلافتة حال بين نصر وتحقيق مأربه فـلا يتحمـل ادنـى مسـئولية

لانهيار الدولة الاموية فى عهده . صحيح أن ذلك كان فى ولايته لكنه يمتد ببذوره قبل أيلولة أمر خراسان إليه كما رأيت ذلك وأنت تطالع موقف أسد بن عبد الله القسرى من دعاة العباسيين حين قدموا خراسان .

تلك كانت إطلالة على بعض النتائج والحقائق التى أبرزتها الدراسة فى صفحاتها ، أردنا بها ومن خلالها أن يعلم الجميع علماً يقيناً أن التاريخ قاضٍ يحكم بالقسطاس المستقيم للقادة أو عليهم ويتعاقب الزمان وتفنى الأعلام ولا يبقى إلا ما فعلوه وما عملوه عبرةً لمن أراد الاعتبار .

وسبحان مقلب الليل والنهار الباقى الواحد القهار ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان

محسن سعد عبد الله ناصر
استاذ ورئيس قسم التاريخ
بجامعة الأزهر

ثبت المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم:

ابن الأثير: عز الدين أبى الحسن على بن محمد الجزرى ت ٦٣٠هـ

٢-الكامل فى التاريخ

ط دار صادر بيروت ١٩٧٩م عدد الأجزاء ١٣ جزء

٣-أُسد الغابة

ط/مجددة إشراف مكتب البحوث والدراسات دار الفكر ١٩٩٥م عـــدد الأجزاء ٦.

أحمد : أمين

٤-ظُهر الإسلام : دار الفكر العربى / بـــيروت لبنـــان ط الخامســة ١٩٦٩م

أحمد : شلبى

٥-موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

مطابع سجل العرب ط الأولى ١٩٨٣ الجزء الثامن

أحمد : عطية الله

٦-القاموس الإسلامى نشـــر مكتبـــة النهضـــة المصريـــة ١٩٦٣م عدد ٥ أجزاء

الأصفهانى : أبو الفرج الأصفهانى ت ٣٥٦

٧-مقاتل الطالبيين

شرح وتحقيق السيد أحمد صقر. دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .

٨-الأغانى

تحقيق على محمد البجاوى. دار العودة ـ بيروت / دار إحياء التراث العربى ط١٩٧٠ الجزء ١٧ فقط

ابن أعثم الكوفى: العلامة أبى محمد ت نحو ٣١٤هـ ٩٢٦م

٩-الفتوح

ط الأولى ١٩٧٥م عدد الأجزاء ٨

البغدادى: عبد القادر عمر

١٠-خزانة الأدب ولُب لباب لسان العرب

تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون

الناشر: مكتبة الخانجى للطبع والنشر (بدون) الجزء الثانى

البلاذرى: أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ

١١-فتوح البلدان

نشر وتحقيق : صلاح المنجد. ط/ ١٩٥٦م ،٣ أقسام فى مجلد واحد

ابن تغرى بردى: جمال الدين أبى المحاسن يوسف الأتـــابكى ٨١٣ ،

٨٧٤

١٢-النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ط الأولى ١٩٩٢م الجزء الأول

ثريا حافظ عرفة:

١٣-الخراسانيون ودورهم السياسى فى العصر العباسى الأول

ط الأولى ــ جدة ــ المملكة العربية السعودية ١٩٨٢م

الجهشيارى: أبو عبد الله محمد بن عبدوس الكوفى ت ٣٣١هـ

١٤-الوزراء والكتاب

القاهرة ١٩٨٠ ط الثانية

ابن الجوزى: جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن على ت ٥٩٧هـ

١٥-المنتظم فى تواريخ الملوك والأمم تحقيق د/ سهيل زكار

ط ١٩٩٥م عدد الأجزاء ١٣ جزء

ابن حبيب أبو جعفر محمد

١٦-المحبر

اعتنى بتصحيحه د / ايلزه ليختن ستيتر

ط / دار الآفاق الجديدة ـــ بيروت (بدون)

حسن الباشا

١٧-الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية

ط ١٩٦٥ ، ١٩٦٦م عدد الأجزاء ٣ أجزاء

حسين عطوان

١٨-الأمويون والخلافة

دار الجيل ط الأولى ١٩٨٦م

الخضرى : محمد بك

١٩-محاضرات فى تاريخ الدولة العباسية

تحقيق الشيخ / محمد العثمانى

دار القلم بيروت ـــ لبنان

ط الأولى ١٤٠٦هـ ـــ ١٩٨٦م

ابن خلدون: عبد الرحمن المغربى ت ٨٠٨هـ

٢٠-تاريخه المسمى ديوان المبتدأ و الخبر فى تاريخ العرب والـبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر

إعداد خليل شحادة. دار الفكر ط الثالثة ١٩٩٦م

ابن خلكان : أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبـــى بكـــر ٦٠٨ـ٦٨١

٢١-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق : إحسان عباس

دار صادر بيروت. عدد الأجزاء ٨ أجزاء

خليفة بن خياط : ت ٢٤٠هـ

٢٢-تاريخه

تحقيق أكرم ضياء العمرى

دار طيبة للنشر والتوزيع ١٩٨٥

الذهبى : الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ

٢٣-سير أعلام النبلاء تحقيق محب الدين أبـــى ســـعيد / ط الأولـــى ١٩٩٧ عدد الأجزاء ١٧

٢٤-العبر فى خبر من غبر

حققه وضبطه على مخطوطتين أبو هاجر محمد السعيد

دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان عدد الأجزاء ٣ أجز

١٠٠

الزركلى : خير الدين

٢٥-الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب المتعربين والمستشرقين

دار العلم بيروت ـ لبنان ط ١٩٧٥م

السيوطى : الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ٩١١هـ

٢٦-تاريخ الخلفاء

تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط الأولى ١٩٥٢

شاكر: محمود

٢٧-تاريخ العلم الإسلامى الحديث والمعاصر

الجزء الأول قارة آسيا شارك فى تأليفه د/ إسماعيل أحمد ياغى

دار المريخ ـ الرياض ط ١٩٩٣

٢٨-التاريخ الإسلامى

المكتب الإسلامى ـ بيروت

ط السابعة ١٩٩١ عدد الأجزاء ٩ أجزاء

الطبرى : أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ت ٣١٠هـ

٢٩-تاريخ الرسل والملوك

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

ط ٤ دار المعارف عدد الأجزاء ١٠ أجزاء

ابن عبد الحق : صفى الدين عبد المؤمن البغدادى ت ٧٧٩هـ

٣٠-مراصد الإطلاع تحقيق وتعليق : على محمد البجاوى

ط الأولى ١٩٥٥م عدد الأجزاء ٣ أجزاء

عبد الشافى : محمد عبد اللطيف

٣١-العالم الإسلامى فى العصر الأموى

ط الأولى ١٩٨٤م

العشرى : بكر محمود

٣٢-خراسان بين دعاة العباسيين وولاة الأمويين

مكتبة الأشول للطباعة

ط الأولى ١٩٩٦م

على : أدهم

-مجلة الثقافة عدد٥٨٠ فى ٦ / ٢ /١٩٥٠م

٣٣_ مقال تحت عنوان من الأدب " نصر بن سيار "

أبو العنين فهمى محمد

٣٤-أفغانستان بين الأمس واليوم

دار الكتاب العربى للطباعة

فرع مصر ط ١٩٦٩

- ابن قتيبة : أبى محمد عبد الله بن مسلم ت ٢١٣-٢٧٦هـ

٣٥-المعارف

حققه: د/ ثروت عكاشة. ط الثانية دار المعارف ـ مصر ١٩٦٩م

٣٦-الشعر والشعراء

تحقيق وشرح محمود شـاكر. دار الـتراث ط ثالثـة ١٩٧٧م عـدد الأجزاء ٢ جزء

٣٧-الإمامة والسياسة المنسوب إليه

مؤسسة الوفاء

ابن كثير : أبى الفداء الحافظ ت ٧٧٤هـ

٣٨-البداية والنهاية .

ط جديدة منقحة ١٩٧٨م

دار الفكر بيروت عدد الأجزاء ١٤ جزء

كى لسترنج

٣٩-بلدان الخلافة الشرقية

ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد

مؤسسة الرسالة. ط الثانية ١٩٨٥م

المتنبى: أحمد بن الحسين

٤٠-ديوان المتنبى شرح الشيخ نصيف اليازجى

دار صادر بيروت (بدون)

المجلد الثانى

ابن منظور : محمد بن مكرم الأنصارى سنة ٧١١هـ

٤١-لسان العرب ط دار المعارف .

المسعودى : أبى الحسن على بن الحسين المسعودى ت ٣٤٦هـ

٤٢-مروج الذهب معادن الجوهر

تحقيق وتعليق : سعيد محمد اللحام

ط الأولى ١٩٩٧م عدد الأجزاء ٤ أجزاء

النرشخى : أبى بكر محمد بن جعفر ٢٨٦-٣٤٨هـ

٤٣-تاريخ بخارى

عربه عن الفارسية وعلق عليه أمين عبد المجيد بدوى / نصـــــر الله مبشر الطرزى ط الثالثة دار المعارف القاهرة .

النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ٦٧٧ ، ٧٣٣ هـ

٤٤-نهاية الأرب

تحقيق محمد جابر عبد العال / إبراهيم مصطفى

ط ١٩٨٤م الهيئة المصرية العامة للكتاب

ابن الوردى : زين الدين عمر بن مظفر ت ٧٤٩هـ

٤٥-تاريخه . دار الكتب العلميـــة ــ بـيروت ــ لبنـــان ط الأولـــى ١٩٩٦م عدد الأجزاء ٢جزء

ياقوت : الإمام شهاب الدين أبى عبد الله بن عبد الله الحموى الرومـــى ت ٦٢٦هـ

٤٦-معجم البلدان

ط الأولى ١٩٩٧م ــ ٤ مجلد ٨ أجزاء

يسرى : الجوهرى

٤٧-آسيا الإسلامية . ط ١٩٨٠م دار المعارف

٤٨-جغرافية الشعوب الإسلامية

الناشر منشأة المعارف ــ اسكندرية. ط ١٩٨١

اليعقوبى: أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح ت نحـــو ٢٨٤هـــ

٤٩-البلدان

دار إحياء التراث العربى. ط الأولى ١٩٨٨م

٥٠-تاريخه. ط ١٩٩٢م دار صادر بيروت عدد الأجزاء ٢ (بدون)

فهرس